
المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي



مجلة المجمع العلمي



الفهـــرس

عالمية اللغة العربية

الدكتور احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي

الملخص :

العربية لغة عالمية لا ريب في ذلك على الرغم من لغات انتشرت في القرن العشرين بوسائل مختلفة ، وكانت لغة القرآن واسعة الانتشار في العالم القديم بفضل الاسلام ، وقد أثرت في كثير من اللغات ولاسيما في ألفاظ الحضارة التي كانت من أهم معالم ذلك التأثير .

وتقف اللغة العربية اليوم الى جانب لغات عالمية أخرى كالانكليزية والفرنسية والاسبانية ، وهي إحدى اللغات المعتمدة في منظمة هيئة الامم ، ومن اللغات التي اهتم بها الأجانب اكثر من اهتمام بنيها ، وذلك لاغراض شتى منها العلمية والسياسية والاقتصادية ، وستكون أكثر انتشارا حينما يأخذ العرب دورهم في بناء الحضارة الانسانية .

هذا وغيره ما وقف عنده البحث الذي كان رصدا لواقع اللغة العربية قديما وحديثا ، وما ينبغي أن يقوم به العرب في داخل وطنهم وخارجه ، لتظل لغة العلم والتقدم والازدهار .

(١)

كثر الحديث عن اللغة العالمية كثرة جعلت الناس في دوامة ، وأخافت من يؤمن بهويته ولغته وثقافته ، بعد أن ذَرَّت العولمة بقرنيها ، وأخذت تجتاح البلدان باسم التقدم العلمي وحرية الانسان .

إن أكثر اللغات استعمالا في العصر الحديث : الصينية ، والاسبانية ، والانكليزية ، والفرنسية ، ولا تعد الصينية لغة عالمية وان تكلم بها أكثر من مليار ؛ لأنها لا تستعمل خارج بلاد الصين ، وأما اللغات الثلاث الاخرى فهي مما أشاعه الاستعمار في الأمريكتين ، واسترالية ، ونيوزلندة ، وفي بعض أنحاء افريقية ، وآسية ، ولولا الاستعمار ما عرفتها هذه البلدان التي كانت مكتفية بلغتها القومية والوطنية ، ولا انتشرت هذا الانتشار الواسع ، وفرضت على البلدان المحتلة ، وأصبحت لغات رسمية ، أو لغات التعليم والمعاملات التجارية ، أو وجها من وجوه الحضارة .

أما اللغة العربية فهل تعد عالمية ؟ وكيف تكون عالمية في العصر الحديث ؟

(٢)

كانت العربية قوية حينما كان العرب أقوياء ، وكانت عالمية يوم كان العرب أحرارا لهم دولة تمتد من الأندلس الى الصين ، وكانت في هذه الأصقاع المترامية لغة تخاطب ودين وتعليم وتأليف في مختلف العلوم التي ذكر منها طاش كبري زادة في كتابه (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) ثلثمائة واثنين وعشرين علما ، اقتضتها الحياة والتقدم العلمي الذي ازدهر في ظل الدولة العربية الاسلامية ، وكان من تلك العلوم ــ ولا غرابة ــ علما الرقص والغنج ، وفي هذا دلالة على تفتح العرب ، واهتمامهم بكل ما يخص الانسان من علم وترفيه وحياة رغيدة .

استطاعت العربية أن تعبر عن تلك العلوم والفنون ، ولو كانت تلك المستجدات أكثر لاستوعبتها لما فيها من طاقات تتمثل

في وسائل تنميتها كالقياس ، والاشتقاق ، والتوليد ، والنحت ، والتعريب .

لقد عرف العرب أهمية اللغة ، ولمحوا الصلة بينها وبين الحضارة فاهتموا بها لتكون وعاء للحضارة التي عاشوا في ظلها ولتكون خير وسيلة تعبر عن حضارتهم وملامح حياتهم . وقد بدأت تزدهر بعد نزول القرآن الكريم الذي أحدث ثورة فكرية ، وهزة لغوية ، إذ نقل الاسلام ألفاظا من مواضع الى مواضع ، واستحدث ألفاظا لم تكن معروفة من قبل ببنيتها أو بمعناها الجديد ، فنمت في ظله وازدهرت لتستوعب الجديد ، ولم تعد لغة الشعر والخطابة فحسب ، وإنما أصبحت لغة العلوم التي بدأت العناية بها في عهد بني أمية ، وكان خالد بن يزيد بن معاوية قد اهتم بالعلوم الطبيعية ، وأمر بنقل الكتب من اللسان اليوناني الى اللسان العربي ، وكانت له كتب ورسائل ، وفي كتاب (الفهرست) لابن النديم ، إنه الذي عني باخراج كتب القدماء في الصنعة ، وأول من تُرجم له كتب الطب والنجوم والكيمياء ، ورأى ابن النديم من كتبه : كتاب الحرارات ، وكتاب الصحيفة الكبير ، وكتاب الصحيفة الصغير ، وكتاب وصيته الى ابنه في الصنعة .

استوعبت العربية هذه العلوم منذ عهد مبكر ، وكانت وعاء للنهضة العلمية التي بدأت تطرق الحياة العربية ، وللحضارة التي بدأت تورق وتزدهر وتقدم ثمرا جنيا في العصر العباسي الذي بدأت فيه حركة التدوين والتأليف، والترجمة تنمو وتتسع ، وكان لظهور كتب الفقه وعلوم القرآن والحديث واللغة والفلسفة وعلم الكلام أثر كبير في نمو العربية واتساعها ، إذ أخذ المؤلفون والمترجمون يضعون المصطلحات مستفيدين من قدرتها في

الوضع ، وكان للمتكلمين ــ علماء الكلام ــ فضل في نموها واستيعابها العلوم الجديدة ، قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاظ في كتاب (الحيوان) : ((وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له من لغة العرب اسم ، فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف ، وقدوة لكل تابع)) .

وأشار في كتاب (البيان والتبيين) الى وضع الخليل بن احمد الفراهيدي لاوزان الشعر ألقابا لم تكن العرب تتعارف الأعاريض بتلك الألقاب ، وتلك الأوزان بتلك الأسماء ، وأشار الى وضع النحاة وأصحاب الحساب أسماء جعلوها علامات للتفاهم ، وقال : ((وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني)) .

وأخذت العلوم تتسع ، وبدأت الكتب تؤلف فيها أو تترجم اليها ، وشهد العصر العباسي نهضة فكرية وعلمية واسعة المدى ، وكان لتشجيع أولي الأمر على التأليف والترجمة أثر في ذلك الازدهار ، وكان لمرونة العربية دور كبير في استيعاب ألوان الثقافة ، والتعبير عن الحضارة التي ازدهرت ، وكانت حركة التأليف صدى لها إذ وضعت الكتب في العلوم المختلفة ، وترجمت كتب الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات والفلك والكيمياء والصيدلة والموسيقى ، وغيرها من العلوم التي ذكرها الفارابي في (إحصاء العلوم) ، وابن النديم في (الفهرست) وإخوان الصفا في رسائلهم ، والخوارزمي في (مفاتيح العلوم) ، وطاش كبري زاده في (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) ، وكارل بروكلمان في (تأريخ الأدب

العربي) والدكتور فؤاد سزكين في (تأريخ التراث العربي) ، ومؤلفوا كتب التراث العلمي عند العرب .

(٣)

كانت العربية يوم ازدهار الحضارة العربية الاسلامية لغة عالمية ، ولم تتوقف عن النمو وإنما سايرت المستجدات ، وحملت الحضارة الى العالم المعمور يومذاك ، وكان غير العرب يتعلمونها ؛ لأنها لغة الدولة والعلم والتأليف . وتتجلى عالميتها في ذلك العهد في :

أولا : التأليف بالعربية ، إذ منذ أن شع نور الاسلام على العالم بدأ التأليف بها ، وكان لها أثر كبير في قلوب المسلمين لأنها لغة القرآن الكريم ، واعتزوا بها كل الاعتزاز وهذا أبو الريحان البيروني قد قال في مقدمة كتاب (الصيدنة) : ((والهجو بالعربية أحبّ اليَّ من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسودَّ وجهه ، وزال الانتفاع به ، إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية ، والأسمار الليلية)) .

وقال جار الله الزمخشري في مقدمة كتاب (المفصل) : ((الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية ، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية ، وأبى لي أن أنفرد من صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوي الى لفيف الشعوبية وانحاز)) .

ومعنى هذا أن الاعتزاز بالعربية لم يكن مقصورا على العرب وحدهم ، وإنما كان المسلمون من غير العرب يعتزون بها ، ويفضلونها على لغاتهم ، ويؤلفون بها . وينظمون الشعر بها ، وهو ما يتضح في

التراث العربي الاسلامي الذي ظل شاهدا على العناية بلغة القرآن الكريم حتى اليوم .

وامتدت العناية بالعربية الى أوربة ، وكان للكتب العربية أثر في النهضة الأوربية ، إذ نشطت ترجمتها الى اللغات الأوربية منذ القرن الحادي عشر للميلاد ، ولم يقتصر الغرب على ترجمة مؤلفات العرب والمسلمين ، وإنما نُقلت كتب علماء اليونان التي ترجمها العرب مثل كتب جالينوس ، وبقراط ، وافلاطون ، وأرسطوا ، واقليدس ، وأرخميدس ، وبطليموس .

وكان اهتمام أوربة بترجمة كتب العرب العلمية أكثر من اهتمامها بغيرها ، ولذلك عُنيت بترجمة كتب الفلك والطب والفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلم حيل (التقنيات) وأصبحت بين أيدي الدارسين وطلبة الجامعات كتب : البتاني ، والخوارزمي ، والرازي ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، وجابر بن حيان ، وابن النفيس ، والزهراوي ، فضلاً عن ترجمة بعض العلوم الانسانية مثل كتب الفقه ، والتأريخ ، والمسالك والممالك ، التي خدمت أوربة في تحقيق أهدافها التوسعية في القرنين الماضيين .

ثانيا : الاستعانة بالمصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية ، إذ تأثر كثير من اللغات الغربية والشرقية بالعربية ، ودخلت فيها ألفاظ عربية ، ومن تلك اللغات الاسبانية ، والانكليزية ، والفرنسية ، والالمانية ، والمالطية ، والفارسية ، والتركية ، والأوردية ، واعترف المنصفون من الباحثين بهذا التأثير ، قالت الدكتورة زيغرد هونكه في كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) : ((إن في لغتنا ــ تقصد الألمانية ــ كلمات عربية عديدة ، وإننا لندين ــ والتأريخ شاهد على ذلك ــ في كثير من أسباب الحياة الحاضرة

للعرب ، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة الى النفوس ، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب الذي كان يوما من الأيام قاتما كالحا باهتا ، وزركشته بالتوابل الطيبة النكهة ، وطيبته بالعبير العابق ، وأحيانا باللون الساحر ، وزادته صحة وجمالا وأناقة وروعة)) .

ثالثا : اتخاذ مناهج علوم اللغة العربية في تأليف الكتب اللغوية ، ومن ذلك تأثر النحو العبري بالنحو العربي ، إذ أن النموذج العربي هو الذي احتذاه العبرانيون ، وأنه كان الحافز لنحاة العبرانية على تأليف كتبهم ، وأن كتب اليهود النحوية الأولى كتبت بالعربية واستخدمت مصطلحات النحو العربي ، واتبعت النسق الذي كان النحاة العرب يتبعونه في كتبهم .

وتأثرت علوم اللغة الفارسية بعلوم اللغة العربية ، ونحا المؤلفون بالفارسية منحى العرب ، ومن أوضح ذلك كتب البلاغة مثل (ترجمان البلاغة) لمحمد بن عمران الرادوياني ، و (حدائق السحر في دقائق الشعر) لرشيد الدين الوطواط .

رابعا : التأثر بايقاع الشعر العربي ، وقد أثبت الباحثون أن الشعر الأوربي والسرياني والعبري تأثر بأوزان الشعر العربي وقوافيه ، يقول لوبون في كتاب (حضارة العرب) : ((إن الاوربيين اقتبسوا فن القافية من العرب ، ودلت مباحث (فيادرو) وغيره من الكتاب الكثيرين على هذا الأمر الذي كان الأسقف (هويه) بيّنه منذ زمن طويل)) ، ويقول : ((ويعزى الشعر الاسباني والشعر البروفنسي الى ما كان لشعراء الاندلس من تأثير)) . وذكرت الدكتورة زيغرد هونكه أن الشعراء الغنائيين أخذوا عن الأوزان والقوافي العربية ، وعن كل طابع مميز للشعر الأندلسي .

ودرس الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف أثر أوزان الشعر العربي وقوافيه في الشعر السرياني والعبري ، وأوضح ذلك التأثير في كتابيه (القوافي والأصوات اللغوية) و (بدايات الشعر العربي) .

خامسا : اتخاذ بعض اللغات كالتركية القديمة ، والأوردية ، والفارسية ، وبعض اللغات الافريقية الحرف العربي وسيلة للكتابة ، واتخذ الحرف العربي ـ فضلا عن ذلك ـ زينة جمالية في المباني واللوحات الفنية .

إن هذا التأثير وغيره ما كان ليتم لولا قدرة اللغة العربية على استبعاب المستجدات ، وما فيها من جمال الايقاع ، وهذا من عالميتها التي اتسمت بسمات حددها الدكتور ابراهيم أنيس في كتاب (اللغة بين القومية والعالمية) بثلاث سمات :

الأولى : أنها لا تخاطب الكبير بخطاب ، والصغير بخطاب آخر ، ولا تخلط بين ضمير المفرد وضمير الجمع ، فيقول ـ سبحانه وتعالى ـ : ((أنا ربكم الأعلى)) ، ويقول الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((إنما أنا بشر)) ، ويقول الناس : ((ما أنت إلا بشر مثلنا)) الى غير ذلك من أساليب أصيلة سوّت بين الناس في الخطاب والغيبة والتكلم .

الثانية : سعة انتشارها ، واصطناع شعوب متعددة لها .

الثالثة : ترحيبها بالألفاظ التي اقترضتها من اللغات الأخرى واستغلتها في المصطلحات ولغة الكلام .

وكان يوهان فك قد قال في كتاب (العربية) : ((إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسا لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها

قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الاسلامي رمزا لغويا لوحدة العالم الاسلامي في الثقافة والمدنية)) .

(٤)

هذا ما كان من عالمية اللغة العربية في القديم ، فما حالها في العصر الحديث ؟

عرف العرب أهمية لغتهم في بداية النهضة الحديثة ، وأولوها عناية كبيرة ، ونشروا كثيرا من كتب التراث ليكون ردءً لهم يحمي ثقافتهم وحضارتهم وقيمهم التي بدأت تتعرض للغزو الثقافي والاستلاب . وكان من اعتزازهم بلغة القرآن الكريم تدريس العلوم بها ، وكانت مدرسة القصر العيني بالقاهرة تدرس الطب بالعربية ، ويضع أساتذتها الكتب بها ، ودرست الجامعة الامريكية في بيروت ــ في أول نشأتها ــ الطب بالعربية ، ووضع أساتذتها الكتب النافعة ، وكانت تهتم بلغة الكتاب العزيز ، وقد أنشأت (جمعية تنشيط اللغة العربية) للعناية بلغة الضاد ، واستقطاب الأدباء من كل حدب وصوب ، كما كان يحدث في مطلع القرن العشرين ، وفي ديوان خليل مطران ما يلقي الضوء على هذه الجمعية النشطة حين ألقى سنة ١٩٢٤ قصائد في الجامعة الامريكية بدعوة من هذه الجمعية التي كانت تنشط للعناية بالعربية . هذا فضلا عما كانت تقوم به من رعاية لأصحاب المواهب الفنية ، وقد تخرج فيها حينذاك شعراء كبار مثل وجيه البارودي ، وحافظ جميل ، وابراهيم طوقان .

ولكن مدرسة القصر العيني والجامعة الأمريكية تنكرتا للعربية بعد ذلك وفرضتا لغة المستعمر ، وسارت على نهجهما الجديد الجامعات العربية ،

ما عدا القليل منها ، حيث تتعرض اللغة العربية لهجمات ضارية تحاول حرف هذه الجامعات عن نهجها الذي اختطته من ايمانها بالأمة العربية ولغتها التي أثبتت قدرتها على تدريس العلوم بها ، وتفوق الدارسين بها على أقرانهم في البلدان الأجنبية عند إكمالهم الدراسات العليا أو التخصصية .

إن متابعة اللغة العربية منذ مطلع القرن العشرين تظهر قدرتها على استيعاب الجديد ، فبعد ان كانت لغة الصحافة ــ مثلا ــ محصورة بالألفاظ والأساليب القديمة اتسع نطاقها وأصبحت قادرة على التعبير عن المستجدات ، ومثلها الاذاعتان المسموعة والمرئية ، وأصبح لوسائل الاعلام دور في إشاعة العربية الفصيحة ، ونقل ألوان الحضارة ، وصنوف العلوم بألفاظ صافية ، وأسلوب عربي مبين . وما كان لها أن تقوم بذلك لولا مرونة العربية ، ولولا رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وأخلصوا لأمتهم وكتاب العربية الأكبر ، القرآن الكريم .

وتتضح الصلة بين اللغة والحياة الجديدة في مجال التأليف والترجمة ــ أيضا ــ إذ صدرت ملايين الكتب في الآداب والعلوم والفنون بلغة عربية سليمة ، ووضعت في كل علم وفن مئات الآلاف من المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية ، وأصبح التأليف والترجمة ميسورين بعد أن كانا محصورين في مجال ضيق في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .

لقد تآزرت عدة جهات لجعل العربية قادرة على استيعاب الجديد ، ومن تلك الجهات :

أولا : أساتذة اللغة العربية حيث عنوا بها وتابعوا سيرها ، ووضعوا الكتب في وسائل نموها ، وكان هذا إخلاصا للغتهم وادراكا لارتباطها

بالمجتمع الجديد الذي يحيون فيه ، كما أدرك العرب القدماء أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، فعنوا بها ، وسعوا الى تنميتها لتساير تقدم المجتمع وازدهار الحضارة في ظله .

ثانيا : المجامع العلمية واللغوية التي كان لها دور كبير في تنمية العربية بما وضعت من مصطلحات علمية وألفاظ حضارية ، وما ألفت من معاجم ، ونشرت من بحوث ودراسات . وهذا عمل كبير له تأثير في واقع اللغة العربية المعاصرة ، وقد يكون له تأثير أعظم لو كان لجميع المجامع سلطة تنفيذ قراراتها وتوصياتها ، وما تتخذ من أعمال .

ثالثا : وسائل الإعلام ، ولها دور في نهضة العربية على الرغم من دعوة بعضها الى تمزيق شمل العرب ، وحرف لغتهم التي عاشت في ضميرهم آلاف السنين .

رابعا : الاستشراق ، إذ عكف المستشرقون على دراسة اللغة العربية وتحقيق التراث العربي ، وكتابة البحوث التي نفعت اللغة ، وتأسيس المعاهد لتدريس العربية ، بغض النظر عما وراء ذلك من أهداف .

إن واقع العربية في هذه الأيام يؤهلها لتكون عالمية كما كانت في عهد ازدهار الحضارة الاسلامية على الرغم مما يحاك ضدها من دعاة العامية ، ودعاة الأخذ بلغة أجنبية .

(٥)

كانت اللغة العربية عالمية في القديم ، وهي الآن ثالث لغة في العالم وإحدى اللغات المعتمدة في منظمة هيئة الأمم ، ولكن أيكفي ذلك ؟ وهل هناك من أمل في أن تصبح عالمية ؟

قبل كل شيء لابدّ من تحديد معنى العالمية ؛ لأن هناك اختلافـا في وجهات النظر ، فمنهم من يرى أنها في كثرة المتحدثين بها ، ومنهم من يرى أنها القادرة على استيعاب المستجدات ، ومنهم من يرى أنها اللغة الأجنبية التي يعرفها ، ومنهم من يرى أن لغة المستعمر هي العالمية ، ومنهم من يرى لغته هي العالمية .

ثم هل لابدّ من أن تسود العالم لغة واحدة كالانكليزية التي يسعى بعضهم الى أن تسود وتصبح اللغة العالمية المنشودة ؟ يبدو أن هذا حلم الانكليز وأتباعهم ، وكان م . م لويس قد سأل في كتابه (اللغة والمجتمع) : ((ما الشكل الذي ستتخذه اللغة العالمية ؟)) وأجاب : ((يبدو أننا نستطيع أن نسجل احتمال أن تكون الانجليزية هي اللغة العالمية الاولى ، ويحتمل أنه لا يوجد لغة يفهمها عدد من الناس اكبر من عدد من يفهمون الانجليزية)) . ودليله أنها ((لغة اثنتين من الدول الأربع الكبرى ، ويقف وراءها النفوذ الشاسع للفلم الأمريكي والراديو البريطاني ، وهي في صورتها المعدلة لتصير ما يسمى انجليزية أساسية Basice English ، أصبحت لغة الكومونولث البريطاني للاتصال الخارجي والداخلي على السواء)) .

وهذه الفكرة نابعة من العقلية الاستعمارية يوم كانت الشمس لا تغيب عن التاج البريطاني ، وقد يقول هذا القول الفرنسيون أو الاسبان أو الصينيون أو الروس أو أية دولة لها نفوذ وامتداد في الساحة الدولية .

إن قدرة أية لغة على التعبير عن المستجدات هي اللغة التي يكون لها وجود على النطاق العالمي بغض النظر عن وجود لغات أخرى لها القدرة نفسها ، واللغة العربية التي يتحدث بها اكثر من ثلثمائة مليون عربي ، وينتفع

بها مليار مسلم ، وغير عربي أو مسلم من المهتمين بالاستشراق واللغات الأجنبية لأغراض سياسية وعلمية ، فضلا عن قدرتها على النمو بالوسائل المعروفة لما فيها من حيوية واتساع ، كل هذا يضع لغة القرآن الكريم في مصاف اللغات العالمية التي تنتشر لولا الاستعمار وسيطرة المحتلين القدامى والجدد الذين اندفع بعضهم بالجيوش ، وبالعولمة والشركات المتعددة الجنسية ، والنزعة الانسانية ، والتحرير من الأغلال .

ولكن أيكفي واقع العربية لأن تظل كما هي ؟

إن اللغة لا تنمو وتزدهر إن لم يهتم بها أهلوها ، وقد اهتم العرب والمسلمون الاوائل بالعربية لانها لغة قوميتهم وعقيدتهم وثقافتهم ، وكانوا حريصين عليها كل الحرص ، معتزين بها كل الاعتزاز ، ولم يظهر خارجي يدعو الى التقليل من شأنها أو الغائها واستعمال لغة أخرى إلا بعد أن تفكك العالم الاسلامي وظهرت دول أحيت لغاتها واتخذتها لغة قومية ، كما فعلت جمهوريات الاتحاد السوفيتي بعد انهيار الاتحاد ، حيث عادت كل جمهورية الى لغتها بعد أن كانت اللغة الروسية اللغة الرسمية في تلك البلاد .

إن ما يواجه العربية اليوم ليس الأجانب وحدهم وإنما الخوارج المنتسبون الى الوطن العربي ، وكان القرن العشرون قد شهد دعوات الى تغيير قواعدها والحرف الذي يكتب بها ، أو الأخذ بالعامية لغة تعليم وتأليف . وخلقت تلك الدعوات بلبلة في الأوساط الثقافية ، وخدع بها بعض الباحثين فدعوا الى ذلك متخذين الاسلوب العلمي ذريعة وسبيلا . ولا يدري العربي الغيور وهو يقرأ لهؤلاء أأريد بلغته خيرا أم أريد بها شرا ؟

إن الذي يعوق جعل العربية عالمية بعض بنيها أو المحسوبون عليها ممن لا يخدمونها كما يخدم الأجانب لغاتهم ، ولا يصونونها كما يفعل غيرهم ، فضلا عن تنكر كثير من أولي الأمر لها خلافا لما يفعله أولو الأمر في الدول الأجنبية ، وما كان يفعله العرب القدماء ، من حرص على العربية واعتزاز بها وسعي الى تنميتها . والتأريخ يتحدث عن جهودهم واهتمامهم بلغة القرآن الكريم ونشرها ، وكان الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان من اولئك الرجال حيث كان شديد الحرص على العربية وكان يصغي الى ما يبدعه الشعراء ، ويحث على اتقان العربية . وقد ذكر الدكتور ابراهيم أنيس في كتاب (اللغة بين القومية والعالمية) أن عبد الملك كان يقول عن ابنه الذي كان لحانا : ((أضر بالوليد حبنا له فلم نرسله للبادية)) وكان يربط ولاية الحكم بالعربية ويقول لابنه الوليد : ((إنه لا يلي أمر العرب إلا من يحسن كلامهم)) وأين هذا من ولاة الأمور في هذه الأيام ؟

والعرب إذا أرادوا أن تتبوأ لغتهم مكانة بين لغات العالم ، عليهم أن يعنوا بها ، وإن تكون تلك العناية هاجس ولاة الأمور قبل كل شيء ، ثم تأتي وجوه العناية ومنها :

أولا : الايمان بأن اللغة كيان الأمة والوطن ، ومن ثم يأتي التخطيط العلمي الذي ينفذ على مراحل ، ويضاف اليه ما يستجد . ولا يتم ذلك إلا باصدار قانون يحدد الأسس التي يقوم عليها الحفاظ على سلامة اللغة ، وتأسيس هيئة عليا تشرف على تنفيذ القانون ، وتضع الوسائل التي تنهض باللغة ، وتقترح القوانين الخاصة بها ، وهو ما معمول به في العراق إذ فيه ((الهيئة العليا للعناية باللغة العربية)) ، وما في الجزائر إذ فيها

((المجلس الأعلى للغة العربية)) ومهامه تشبه مهام هيئة العراق . ومثل هذا في فرنسة ((اللجنة العليا للغة الفرنسية)) فضلا عن الجمعيات التي تعنى بسلامة اللغة ، وهذا من إيمانها بأن اللغة تحتاج الى من يتابع مسيرتها ، وكان خليل مطران قد قال في سنة ١٩٢٣ ، والعرب في أوج حرصهم على لغتهم :

يودي الفصيح من اللغات إذا غفا عنه الرقيب

ثانيا : المجامع العلمية واللغوية إذ لها دور كبير في الاهتمام بالعربية ، وجعلها قادرة على استيعاب المستجدات . وقد عملت منذ نشأتها على وضع الدراسات والمصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية ، ولكن لم ينتفع كثيرا بما أنجزت ؛ لأنها لا تملك سلطة تنفيذيه كالمجمع العلمي ببغداد ، إذ نصت المادة التاسعة من قانون ((الحفاظ على سلامة اللغة العربية)) ذي الرقم (٦٤) لسنة ١٩٧٧م على :

((يكون المجمع العلمي العراقي المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلمية والفنية ، وعلى الأجهزة المعنية الرجوع اليه بشأنها)) .

ولا يقوم مجمع بغداد بهذا فحسب ، وإنما يقوم بتنفيذ ما جاء في قانون ((الحفاظ على سلامة اللغة العربية)) ومنها منح الموافقة على تسمية الشركات والمحال التجارية بأسماء عربية قبل أن تمنحها الجهات المختصة الاجازات الرسمية ، فضلا عما يرد الى المجمع من استشارات لغوية ، وغير ذلك مما يهم شؤون لغة الضاد .

هذه هي الخطوة العملية في الاهتمام باللغة العربية وجعلها عالمية ، لأنه لا ينجح أي عمل من غير تخطيط وتشريع لغوي ، واللغة ــ وإن كانت

ظاهرة اجتماعية ـ لا تترك للتيارات المتصارعة ، والآراء المتضاربة ، والنظريات البعيدة عنها ، وإنما على بنيها أن يتابعوا مسيرتها ، ويرصدوا الانحرافات التي يفضي اهمالها الى مسخ اللغة . وكان العرب الأوائل حريصين على لغتهم ، ولذلك ألفوا الكتب في ضبط أصولها ، ووضعوا المعاجم لتحديد مبانيها ومعانيها ، وأعادوا الى اللغة ما انحرف عنها بكتب التصحيح اللغوي ، ولذلك ظلت نقية الى حد كبير على الرغم مما مرّ به العرب من تقهقر وسبات قبل بدء نهضتهم الحديثة في مطلع القرن العشرين .

ثالثا : الاهتمام بتدريس اللغة العربية في جميع المراحل الدراسية ، وجعلها مادة أساسية في مختلف الاختصاصات الجامعية ، ولاسيما في كليات التربية ، لأن خريجيها يتولون التدريس في التعليم العام ، وفي كليات الحقوق (القانون) ؛ لأن خريجيها يتولون القضاء والمحاماة ، واتقانهم العربية وأساليبها ودلالة ألفاظها الدقيقة ييسر فهم القوانين وتنفيذها بدقة وعدل وانصاف .

ولا ينفذ هذا إلا بقرار ملزم من الدولة ، وفي اقراره تعزيز لمكانتها واحترام لهويتها ، وتأكيد لاستقلالها . وليس صحيحا ما يقال من أن الدول قد تتحد ولغاتها مختلفة كما في الاتحاد الأوربي ، لأن هذا الاتحاد لم يقم على أساس قومي أو وطني وإنما على أساس مصالح سياسية واقتصادية . بحيث ظلت كل دولة محتفظة بهويتها ولغتها ، وقد ينهار الاتحاد بأسرع ما يتوقع حينما تتعارض المصالح بين دوله ، وهو ما حصل للاتحاد السوفيتي حينما انهار وعادت كل جمهورية من جمهورياته الى هويتها ولغتها . وهذا يؤكد أن كل أمة لا تتخلى عن لغتها إذا ملكت إرادتها ، وحققت سيادتها واستقلالها .

رابعا : تعريب التعليم في الجامعات ؛ لأن التدريس باللغة الأم يخدم العملية التربوية ويحقق نتائج باهرة ، بخلاف التدريس بلغة أجنبية . وقد وقف التربويون عند هذه المسألة منذ عقود كثيرة ، وأكدوا أن التعليم بغير لغة الأم يعد ناقصا ، ومن ذلك التقرير الذي رفعه الدكتور فاضل الجمالي – مدير التدريس والتربية العام – الى وزير المعارف العراقية في الرابع من شهر آذار سنة ١٩٣٨م ، إذ جاء فيه :

((إن عدم اتقان الطلبة اللغة الانكليزية يجعل دراستهم عقيمة ، ولاسيما والكتب كلها انكليزية ، والمحاضرون معظمهم انكليز . وقد حدث أن رأيت أحد الطلاب المتخرجين لم يستطع قراءة وفهم الكتاب الذي درسه في كلية الطب ، وفي هذا خطر على الأرواح لا يمكن أن يقدر)) ، وهدفه من هذا الاهتمام باللغة الانكليزية .

كان هذا والزمان موات ، والأساتذة انكليز ، والطلبة جادون ، فماذا يقول الدكتور الجمالي اليوم ؟

إن التعليم بالعربية في جميع المراحل الدراسية ييسر الفهم ، ويسرع في استيعاب المادة العلمية ، ويعزز مكانة لغة الضاد ، ويوسع قدراتها للتعبير عن المستجدات ، ويدفع العاملين في حقولها الى المثابرة والعمل الجاد في سبيل الحفاظ عليها وتنميتها ، ورفدها بكل جديد ، فضلا عن ردم الهوة بين التعليم العام والتعليم الجامعي التي توقع الطلبة في مشكلة حين الانتقال من اللغة الأم الى اللغة الأجنبية عند التحاقهم بالجامعات التي لم تعرب التعليم .

ولا يخدم التعريب العربي وحده ، وإنما يعزز العربية في الخارج ، ويدفع الأجانب الى تعلمها للرجوع الى ما ينشر ويذاع بها ، كما يتعلم العربي اللغة الأجنبية للرجوع الى ما يريد معرفته . وقد يجعل اهتمام العرب بلغتهم دافعا لاهتمام المراكز الاستشراقية ومعاهد تعليم العربية أكثر من عنايتها في الوقت الحاضر لتتابع ما يحدث في الوطن العربي من تقدم في اللغة واستيعابها المستجدات .

خامسا : جعل النجاح في اللغة العربية شرطا من شروط التعيين في مؤسسات الدولة والقبول في الدراسات العليا أسوة بامتحان الكفاءة باللغة الأجنبية . والالتزام بذلك في تعيين التدريسيين في الجامعات ، وهو ما يجري الآن في العراق إذ لا يعين التدريسي إلا بعد الامتحان باللغة العربية مهما كان تخصصه العلمي ، ويسري هذا على الموظفين الذين تؤهلهم شهاداتهم العليا لتغيير عناوين وظائفهم والعمل في الجامعات ليأخذوا مكانتهم العلمية ، وينتفعوا بما في ذلك من امتيازات .

سادسا : الاهتمام بلغة الإعلام المقروء والمسموع والمرئي ، لأنه ألصق بحياة الناس من غيره ، ولاسيما المرئي الذي امتلأت به الأجواء ، وأصبح ضروريا كالماء والهواء والغذاء .

(٦)

هذا ما ينبغي أن يكون داخل الوطن العربي لتأخذ لغة الضاد دورها في النطاق الاقليمي العربي ، ولتبقى حقيقة لا ريب فيها ، يؤمن بها العربي ، ويحافظ عليها ويسعى الى تنميتها وازدهارها . أما في خارج الوطن العربي فمما يعززها :

أولا : إنشاء معاهد لتدريس اللغة العربية ، وفتح المدارس لأبناء العرب المقيمين في ديار الغربة ، ولمن يريد التزود من الثقافة العربية ، وهذا ما تقوم به الدول الأجنبية ، إذ لمعظمها معاهد ومراكز ثقافية في الخارج ، مهمتها نشر لغتها وثقافتها الى جانب تحقيق أهداف تتصل بسياستها الخارجية . وقد كان للمعاهد الثقافية أثر في جذب الملتحقين بها الى الدول التي أنشأتها ، والسفر اليها ، والتشبث بما لديها ، وإكمال التحصيل العلمي فيها ، وبذلك تكون لها مراكز جذب في مختلف البلدان .

ثانيا : نشر الاسلام خارج الوطن العربي لصلته باللغة العربية ، لأن القرآن الكريم بلسان عربي مبين . ولولا الاسلام ما عُرفت العربية في مشارق الأرض ومغاربها ، ولا اهتمت بها المدارس والجامعات في كل بلد ترتفع في مآذنه عبارة ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) . ولعل ما تفعله بعض دول افريقية ودول شرقي آسية خير دليل على الاهتمام بالعربية من خلال الاسلام وقراءة القرآن الكريم .

ثالثا : تعيين مستشارين ثقافيين في السفارات العربية من ذوي الاختصاص باللغة العربية ، أو المهتمين بها والحريصين عليها ليتابعوا نشاط المعاهد اللغوية والمراكز الثقافية التابعة لدولهم ، وأن تكون لهم صلاحيات تؤهلهم للقيام بواجبهم خير قيام .

رابعا : إلقاء المسؤولين العرب كلماتهم في هيئة الأمم والمحافل الدولية باللغة العربية ، أسوة بما يفعله المسؤولون في دول العالم ، واعتزازا بلغتهم ، وتأكيدا لهويتهم ، واحتراما لوطنهم .

خامسا : تقديم البحوث والقاؤها بالعربية في المؤتمرات ، إذ ليس من العزة الوطنية أن يقدم العربي بحثه بلغة أجنبية وهناك من وسائل الترجمة ما يعين الحضور على متابعة البحث ومناقشته .

سادسا : وضع المواقع بالعربية في شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) لما في ذلك من أهمية في جعل الأجنبي يتعلم لغة القرآن الكريم ليتابع ما في الموقع من معلومات تعينه فيما يحتاج اليه الى جانب المواقع باللغات الأجنبية .

سابعا : الاهتمام بالفضائيات التي تعد ــ اليوم ــ من أوسع وسائل الاتصال انتشارا ، وتستطيع الدول أن توجه فضائياتها الرسمية وغير الرسمية وجهة تخدم العربية حين تقدم ما تعرضه بلغة واضحة سليمة .

(٧)

هذه خطوات تعزز اللغة العربية وتقربها الى العالم ، ولن يتحقق ذلك إلا بانشاء هيئات أو مجالس عليا ليستطيع العرب الحفاظ على سلامة لغتهم ونموها وازدهارها ، وتكون لغة الضاد إحدى اللغات العالمية .

هذا على المستوى الوطني ، أما على المستوى العالمي فمن الضروري والمهم أن تقوم ((منظمة دولية للغة العربية)) تضع الخطط الكفيلة بالحفاظ على لغة القرآن الكريم ونشرها في العالم ، وأن يكون للمنظمة سلطان لتحقق أهدافها ، وأن تعمل بجد وإخلاص كما تعمل الفرنكفونية في الساحة الدولية . وهذه دعوة أطلقتها في شهر نيسان من عام ٢٠٠٢م في الكلمة التي ألقيتها نيابة عن المشاركين في افتتاح ((مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة)) الذي عقده في بيروت ((معهد الدعوة الجامعي للدراسات

الاسلامية)) ، وما اقترحته في بحثي ((اللغة العربية وتحديات العولمة))
الذي قدمته في ندوة ((قضايا اللغة العربية في عصر الحوسبة والعولمة))
التي عقدت في مجمع اللغة العربية الاردني في أيلول سنة ٢٠٠٢م ، بدعوة
من اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية ، وما ذكرته في ورقتي
((التشريع اللغوي)) التي قدمتها في المؤتمر الرابع لمجمع اللغة العربية
بدمشق في تشرين الثاني سنة ٢٠٠٥م .

وكان معهد الدعوة الجامعي للدراسات الاسلامية قد أقر في مؤتمره
الذي عقده ببيروت في نيسان ٢٠٠٢م ، تأسيس ((مجلس عالمي لرعاية
اللغة العربية وتنميتها)) ووضع مشروع النظام الأساسي الذي شاركت في
وضعه . وقد نصت المادة الأولى على :

((يؤسس مجلس علمي باسم المجلس العالمي لرعاية اللغة العربية
وتنميتها ، له شخصية اعتبارية)) .

ونصت الفقرة الخامسة من المادة الرابعة على :

((العمل على نشر اللغة العربية خارج الوطن العربي ، والاهتمام بلغة
أبناء الجاليات العربية حفاظا على الهوية العربية والاسلامية)) .

واطلع على النظام العماد أميل لحود ــ رئيس الجمهورية اللبنانية ــ
وقال في رسالته التي وجهها الى رئيس المعهد ــ الدكتور عبد الناصر
جبري ــ في العشرين من تشرين الثاني سنة ٢٠٠٢م .

((لقد اطلعت بامعان على مشروع نظام المجلس التأسيسي لرعاية اللغة
العربية وتنميتها ، وقد رغبتم من خلال اطلاعنا عليه أن تحصلوا على
إشارات بهذا الخصوص .

إننا نهنئكم على جهودكم في إظهار لغتنا العربية لا لغة الشعر والمنطق فحسب ، بل لغة العلم والتطور والحضارة ، وما رغبتم في إنشاء مجلس عالمي لرعاية اللغة العربية وتنميتها إلا تلبية لهاجس التفوق الذي تبثه فينا جماليات قوالب هذه اللغة وعبقريتها)) .

ويعزز هذه الدعوة توصية الندوة التربوية التي عقدت في باريس سنة ٢٠٠٤م وشاركت فيها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وجمعية الدعوة الاسلامية العلمية ، وجاء فيها :

((إنشاء هيئة عالمية للغة العربية تكون إطارا جامعا للدول والمجتمعات الناطقة باللغة العربية ، وجهازا متخصصا يخدم لغة الضاد ، ويعمل على تيسير تعليمها ، والسهر على تطويرها ، وتوسيع دائرة انتشارها)) .

وقد تتبنى جامعة الدول العربية هذا المشروع ليكون عربيا لما للجامعة من أثر في الساحة الدولية ، وما لاجهزتها من حضور في مختلف بلدان العالم ، أو تتبناه منظمة المؤتمر الاسلامي ليكون المشروع عربيا إسلاميا ، لما لها من سلطان في كثير من الدول الاسلامية .

فان عجزت هاتان المنظمتان ، أو لم تعدا ذلك من عملهما ــ على الرغم من أنهما أسستا لخدمة العرب والمسلمين ــ فقد تقوم بذلك دولة عربية لها من القدرات ما يؤهلها لانشاء ((منظمة دولية للغة العربية)) على غرار الفرنكفونية التي تقوم بها واحدة ــ هي فرنسة ــ التي أولت لغتها اهتماما عظيما ، وبشرت بها في العالم بالوسائل المختلفة ،

مثل فتح معاهد تدريسية ، ومراكز ثقافية ، وعقد مؤتمرات ، ومنح جـوائز لمن يكتب بها من غير الفرنسيين . وقد حققـت كثيـرا ممـا سـعت اليـه في السنوات الأخيرة بفضل الجهود التي بذلت ، واسناد أمانتها العامة الـى غير الفرنسيين مثل بطرس غالي المصري ، وعبدو ضيوف ـ السنغالي ـ لتضفي عليها عالمية ، وتكسب الأجانب من شتى بقاع العالم .

(٨)

وبعد :

هل تصبح العربية لغة عالمية ؟

العربية اليوم من حيث انتشارها اللغـة الثالثـة أي بعـد الانكليزيـة والفرنسية ، وهي إحدى اللغات المعترف بها في هيئة الأمم ، وهـي قـادرة على التعبير عن حاجات الناطقين بها علميا وحضاريا لنموها فـي العـصر الحديث ، وكثرة ما تولد من مصطلحات علمية ، وألفاظ حضارية ، وما ذلك إلا لتفاعلها مع معطيات الحياة الجديدة .

إن اللغة العربية في هذا العصر قادرة على تلبيـة مطالـب المجتمـع ومواكبة العلوم الحديثة ، وسواء أكانت عالمية أم لـم تكـن ، فهـي هويـة العرب ، كما أن اللغات الأخرى هوية أقوامها . ومسألة اللغة العالميـة حلـم راود بعضهم منذ القرن السابع عشر ، وظهرت عدة محاولات لاصطناع لغة عالمية ، ومن أشهر تلك المحاولات (الاسبرانتو) التي اعتمدت على أربـع لغات أوربية هي : اللاتينية ، والانكليزية ، والفرنسية ، والالمانية . ولم تسد هذه اللغة التي اصطنعت لأغراض قد تكون غير لغوية ، لتمسك الدول بلغاتها

القومية ، على الرغم من الاتحادات كالاتحاد السوفيتي ، والاتحاد الأوربي ، وكانت جمهوريات الاتحاد السوفيتي قد عادتَ الى لغاتها القومية بعد انهيار الاتحاد ، وظلت دول الاتحاد الأوربي محتفظة بلغاتها التي تحدد هويتها القومية والوطنية .

إن قيام لغة تسود العالم كله حلم بعيد المنال ، ولن يتحقق إلا إذا أصبح العالم دولة واحدة ـ وهذا من المحال ـ لاختلاف الاجناس والأديان والمصالح ، ولن تدوم تلك اللغة ـ إن تحققت الدولة الواحدة ـ لأنها سرعان ما تنتهي بعد أن تنهار الدولة الموحدة ويعود كل قوم الى حدود أرضهم ولغتهم .

إن الدعوة الى لغة عالمية تقف وراءها الآن قوى معروفة ، وقد جعلت من العولمة سبيلا للوصول الى تحقيق هذا الهدف الى جانب الأهداف السياسية والاقتصادية ، واللغة العربية لغة العرب والمسلمين لا يعنيها أن تكون عالمية أو لا تكون ، ما دامت واسعة الانتشار ، وقادرة على التعبير عن المستجدات ، وتلقي العلوم المستحدثة بها ، على الرغم من الأصوات المنكرة التي يطلقها الخارجون على الأمة العربية ، والمنكرون تفوق المتلقين علومهم بها ، وهم يعلمون أن جميع الدول الحرة تدرس العلوم بلغتها ، وليس فيها من يدعو الى هجر لغته الأم واتخاذ لغة أجنبية ، كما في الوطن العربي الذي ابتلي بخوارجه قبل أن يبتلى بالاحتلال .

خدمات الحكومة الإلكترونية وآفاق تطورها

الدكتور داخل حسن جريو

عضو المجمع العلمي ــ بغداد

الملخص :

شهد العالم منذ أواخر عقد التسعينيات من القرن المنصرم ظهور فكرة الحكومة الإلكترونية ، أي الحكومة التي تقدم خدماتها إلى المواطنين وهم في بيوتهم أو مواقع عملهم ، أي دون الحاجة للذهاب إلى الدوائر الحكومية ، وكذلك التواصل بين الدوائر الحكومية المختلفة ، وذلك عبر شبكة المعلومات الدولية والوسائل الإلكترونية المختلفة. ويأتي ذلك نتيجة طبيعية للتقدم الهائل في تقنية المعلومات والإتصالات التي أتاحت فرصا واسعة لإستخدامها في مجالات كثيرة ، منها التعليم الإلكتروني والتجارة الإلكترونية والحكومة الإلكترونية وغيرها. تسلط هذه الدراسة الضوء على متطلبات إنشاء الحكومة الإلكترونية وسبل إنشائها وخدماتها وإستشراف آفاقها المستقبلية.

مقدمة

يشهد العالم منذ عقد التسعينيات من القرن المنصرم تغيرات اقتصادية كبيرة بسبب الإستخدام المتزايد لتقانات المعلومات والإتصالات . لقد ساعدت هذه التقانات على إنشاء الحكومات الإلكترونية التي ساعدت بدورها على تحسين العلاقات بين المؤسسات الحكومية والمؤسسات الإقتصادية وعموم أفراد المجتمع .

يقصد بالحكومة الإلكترونية قيام دوائر الحكومة المختلفة بإنجاز المعاملات الحكومية بإستعمال شبكة المعلومات الدولية والوسائل الإلكترونية المختلفة .

لقد ساعدت التطورات الحاصلة في مجالات الشبكات والتصوير المرئي وتعشيق الرسومات على إنشاء مواقع حكومية على شبكة المعلومات الدولية، تحتوي هذه المواقع على معلومات حكومية كثيرة يمكن التعامل معها مباشرة عبر شبكة المعلومات الدولية، إذ أصبح بإمكان المواطنين إنجاز الكثير من معاملتهم من دون الحاجة للذهاب شخصيا إلى تلك الدوائر.

تستند الحكومة الإلكترونية الى خمسة مرتكزات هي :

١. التقانة ، ٢. القوانين ، ٣ . التنظيم ، ٤ . الإقتصاد والإجتماع، ٥ .الديمقراطية.

تقدم الحكومة الإلكترونية أنماطا جديدة من الخدمات تمتاز بالآتي :

١- انواع مختلفة الأشكال من المعلومات والخدمات.

٢- طرق جديدة لوضع المعلومات تحت تصرف المواطنين.

٣- طرق جديدة لتفاعل دوائر الحكومة مع المواطنين.

٤- طرق جديدة لربط المجتمعات المحلية والدولية وذلك بخلق مجتمعات إفتراضية عبر شبكة المعلومات الدولية.

٥- طرق جديدة لتوفير الخدمات حسب حاجات الأفراد.

٦- طرق مبتكرة لإشراك المواطنين في صنع القرارات الحكومية.

٧- تطوير مهارات الأفراد للإفادة من خدمات الحكومة الإلكترونية.

٨- المساعدة بتقليل الفجوة الرقمية بين الفئات المجتمعية المختلفة.

يتطلب إنشاء الحكومة الإلكترونية توفر الإرادة السياسية المنفتحة والمؤمنة بجدوى خدماتها، وتذليل العقبات القانونية التي قد تواجهها في أثناء عملها، والعمل على تكامل خدمات الدوائر الحكومية ومهامها المختلفة ، وإعتماد التخصيصات المالية اللازمة لشراء الأجهزة والمعدات ، والعمل على محو الأمية الحاسوبية بين المواطنين وتضييق الفجوة الرقمية بين فئات المجتمع المختلفة.

تساعد الحكومة الإلكترونية على تحسين التواصل بين المواطنين والدوائرالحكومية، وبين الدوائر الحكومية المختلفة. كما تساعد على سرعة إنجاز المعاملات وتحسين نوعية وجودة الأعمال الحكومية لاسيما الأعمال المتعلقة بالمبادلات مثل تسديد القوائم المختلفة والأجور والضرائب ، وتقديم الخدمات المستندة إلى المعلومات مثل منح الرخص والإجازات وتقديم الإستشارات والتوجيهات.

اعتمدت بعض الحكومات الإلكترونية شبكات معلومات محلية، فضلا عن شبكة المعلومات الدولية، وذلك لغرض الإتصالات الداخلية بين دوائر الحكومة المختلفة والإفادة من قواعد المعلومات بصورة مشتركة.

تستخدم شبكة المعلومات المحلية البرامج والتقانات نفسها التي تستخدمها شبكة المعلومات الدولية ، ولكن استعمال شبكة المعلومات المحلية يكون محدودا لمجموعة معينة من الموظفين.

إن أهم مزايا شبكة المعلومات المحلية – المعلومات الدولية هي زيادة مرونة الشبكة، إذ يصبح كل حاسوب بمثابة محطة لأي عمل من الأعمال، ويمكن إضافة أو حذف أي من الإستشاريين أو عمال

الإتصالات والمعلومات من شبكة المعلومات المحلية، فضلا عن تخفيض تكاليف التدريب.

ويعد إعداد خطة عمل فاعلة المفتاح الرئيس لنجاح إنشاء الحكومة الإلكترونية التي تستطيع تلبية حاجات مجتمعها. ولغرض إعداد هذه الخطة بنجاح لابد من تحديد الحاجات المجتمعية المطلوب تنفيذها من الحكومة الإلكترونية بكل دقة وعناية.

متطلبات إنشاء الحكومة الإلكترونية

لكي ينجح مشروع الحكومة الإلكترونية في أي بلد من البلدان لابد من رؤية علمية واضحة لعمل دوائر الحكومة المختلفة وترابطها ببعضها من جهة، وترابطها بالمواطنين وقطاعات المجتمع من جهة أخرى ، وإعادة نظر جادة وشاملة بجميع إجراءات هذه الدوائر، وهيكلية عملها بهدف تبسيط هذه الإجراءات وتحديثها بما يتماشى ومفاهيم الإدارات الحديثة، وتحسين جودة عمل هذه الدوائر ورفع كفاءة أدائها، وبناء علاقات إنسانية بين موظفي الحكومة والمواطنين في إطار مفهوم الخدمة العامة.

كما يتطلب المشروع رفع الوعي ونشر الثقافة الرقمية بين موظفي الحكومة أولا ، وبين فئات المجتمع المختلفة لاسيما الفئات العمرية الكبيرة ، والفئات النسوية وسكان القرى والأرياف ، وبخلافه ستكون الإفادة من خدمات الحكومة الإلكترونية محدودة جدا ، وبذلك لاتتحقق الجدوى الإقتصادية والفائدة المجتمعية من إنشاء مثل هذه الحكومات ، وتتسع الفجوة الرقمية بين بلداننا وبلدان العالم الأُخرى التي

تشهد الآن تطورات علمية وتقنية متسارعة في جميع المجالات قد يصعب اللحاق بها مستقبلا.

ولغرض البدء بإنشاء الحكومة الإلكترونية لابد من إتخاذ الإجراءات الآتية :

١. إعتماد التخصيصات المالية للإنتقال من أساليب عمل الحكومة التقليدية الى أساليب عمل الحكومة الرقمية، ولاتمثل التخصيصات المالية عقبة كبيرة أمام الحكومات في معظم البلدان ، قياسا إلى بقية مستلزمات الحكومة الإلكترونية المتمثلة ببرامج تدريب الملاكات التي ستتولى تنفيذ مشاريع وأعمال الحكومة الإلكترونية وهياكلها الإدارية ، ووضع التشريعات المالية والقانونية التي تحدد إطار عمل الحكومة .

٢. برمجة تنفيذ الخدمات التي ستنفذها الحكومة وذلك بأن تقوم كل وزارة باختيار الخدمات التي يمكنها تنفيذها في ضوء قدرات موظفيها في مجالات تقانات المعلومات والإتصالات وتوافر البنى التحتية التقنية المناسبة. وكخطوة أولى في هذا المجال يمكن إعتماد أسلوب النشر الألكتروني ببناء مواقع على شبكة المعلومات الدولية لكل وزارة من الوزارات تتضمن معلومات عامة عن كل منها، وبيان وظائفها ومهامها وخدماتها العامة. يتم الإنتقال بعدها إلى تقديم الخدمات عبر شبكة المعلومات الدولية، واخيرا ربط الخدمات الوزارية المختلفة في موقع واحد للحكومة الإلكترونية، أي تجميع الخدمات في موقع واحد.

٣. إعتماد معايير ومواصفات موحدة لتبادل المعلومات والبيانات بين دوائر الحكومة المختلفة على وفق المواصفات القياسية الدولية،

وإعتماد النماذج الإلكترونية المتعارف عليها في الحكومات الإلكترونية الدولية لتسهيل التواصل معها، ومواكبة التطورات التقنية والمعرفية في مجالات تقانات المعلومات والإتصالات بهدف تطوير أعمال الحكومة الإلكترونية.

٤ . إعتماد برامج تدريبية في إطار برامج التعليم المستمر لجميع موظفي الحكومة لتطوير مهاراتهم التقنية في مجالات الحاسوب وشبكات المعلومات والإتصالات بما يعود بالنفع والفائدة على دوائر الحكومة بتحسين خدماتها وتطويرها.

٥ . العمل المستمر والجهد الدؤوب للقضاء على الأمية الحاسوبية بين جميع موظفي دوائر الحكومة والمواطنين، والتواصل بين المواطنين أنفسهم، وكذلك التواصل بين الدوائر الحكومية ذاتها.

٦ . إعتماد تقانات معلومات واتصالات يشعر معها المواطنون بالالفة ، وعدم النفور من استعمالها، وذات درجة مصداقية عالية، والعمل على تحسين سرعة إنجاز المعاملات، وتحسين جودة الأعمال المنجزة لاسيما الأعمال ذات الصلة المباشرة بالناس مثل تسديد الفواتير الحكومية أو دفع الضرائب وغيرها.

٧ . تخصيص الموارد المالية اللازمة لشراء الأجهزة والمعدات وبناء القدرات البشرية المؤهلة للقيام بمهام الحكومة الإلكترونية وإدارتها.

٨ . إعتماد تشريعات مالية وقانونية لضمان إنسيابية عمل الحكومة من دون المس بحقوق المواطنين . وحماية سرية تداول المعلومات بين من تعنيهم هذه المعلومات.

٩ . ونظرا لما للإعلام من أهمية في نشر الوعي بين الناس ، لذا لابد من القيام بحملات إعلامية مبرمجة لنشر الوعي بفوائد الحكومة

الإلكترونية ومزاياها، وتوضيح سبل وسائل الإتصال بدوائر الحكومة الكترونيا للإفادة من خدماتها.

١٠ . إعتماد أساليب عمل ذات وثوقية عالية، وأن تكون جميع أعمال هذه الحكومة موثقة جيدا بحيث يمكن مراجعتها وتدقيقها كلما دعت الحاجة لذلك ، لضمان حقوق جميع الجهات المتعاملة معها.

١١ . إتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة لحماية سرية تداول المعلومات بحدود الأشخاص والجهات المعنية بذلك ، وكذلك حماية حقوق الملكية الفكرية ، مع تأمين الشفافية التامة عند تداول المعلومات ومراعاة تأثير هذه المعلومات في التنمية الثقافية والإقتصادية والإجتماعية في مناحي الحياة المختلفة .

١٢ . تحديد الأشخاص أو الجهات المخولة بإعطاء المعلومات، وتحديد نوع الأشخاص والجهات المخولة بتسلم هذه المعلومات، ودرجة كتمانها بما لا يلحق ضررا بالمصلحة العامة، أو تفويض هذه المعلومات لأشخاص أو جهات لاعلاقة لها بها .

١٣. إختيار تقنيات المعلومات والإتصالات المناسبة التي تسهل إنسيابية عمل الحكومة زمانا ومكانا ، إذ تحدد معمارية الشبكات سرعة تبادل المعلومات وأنواع المعلومات المتداولة بين المواطنين من جهة، وبين المواطنين والدوائر الحكومية من جهة أخرى ، ومحتويات هذه المعلومات ، وتبادل المعلومات بين الدوائر الحكومية ومؤسسات المجتمع الأخرى ، إذ يؤدي تصميم بنية تقنية متواضعة بإمكاناتها إلى ضعف في أداء الدوائر الحكومية الكترونيا، وتأخير في إنجاز المعاملات، وتأخير في إتخاذ القرارات، الأمر الذي يستلزم بناء بيئة تقنية متطورة معلوماتيا

وسريعة الإتصال وقابلة للتطور ، ومزودة بالبرامج الحاسوبية المتقدمة.

تتخذ بعدها الإجراءات اللازمة لتنفيذ مشروع الحكومة ، تشمل هذه الإجراءات جمع الأفكار ووضع الأهداف وتحديد الموارد المالية المطلوبة وتحديد التكاليف ، واختيار التقانات المناسبة ، وتحديد محتويات المشروع وإدارة تقنياته وتقييم فاعليته وضمان الإسناد المجتمعي للمشروع.

مراحل إنشاء الحكومة الإلكترونية

يتطلب إنشاء الحكومة الإلكترونية درجات مختلفة من التقانة طبقا لما سيوكل إليها من مهام . وتمر الحكومة الإلكترونية بخمس مراحل مختلفة ، هي :

١- مرحلة توفير المعلومات لطالبيها عبر مواقعها على شبكة المعلومات الدولية .

٢- مرحلة التواصل بين الدوائر الحكومية والجهات الأخرى بالإتجاهين عبر مواقع الحكومة الإلكترونية ، إذ يستطيع الأفراد أو المؤسسات الإتصال بالدوائر الحكومية لطلب الخدمات وبالعكس .

٣- مرحلة إنجاز المعاملات عبر مواقع الحكومة الإلكترونية ، بحيث يستطيع الأفراد إنجاز معاملاتهم من دون الحاجة للذهاب بأنفسهم إلى الدوائر الحكومية .

٤- مرحلة تكامل الخدمات عبر موقع حكومي واحد على شبكة المعلومات الدولية للحصول على الخدمة المطلوبة.

٥- مرحلة المشاركة وهي المرحلة التي يستطيع فيها الأفراد التصويت في الإنتخابات مثلا، عبر الموقع الحكومي الألكتروني.

تصنف الحكومات الإلكترونية حسب نوع الخدمات التي تقدمها:

١- الحكومات التي تقدم خدماتها للأفراد .

٢- الحكومات التي تقدم خدماتها في إطار العملية السياسية مثل التصويت في الإنتخابات واستطلاعات الرأي العام وما شابه ذلك.

٣- الحكومات التي تقدم خدماتها المالية للأفراد مثل دفع الضرائب والتأمينات والحقوق التقاعدية وغيرها.

٤- الحكومات التي تقدم خدماتها للمؤسسات الصناعية والتجارية .

٥- الحكومات التي تقدم خدماتها لموظفيها.

٦- الحكومات التي تقدم خدماتها لدوائرها المختلفة .

حكومات العالم الإلكترونية

تبذل الكثير من دول العالم جهودا حثيثة لإنشاء حكوماتها الإلكترونية منذ عقد التسعينيات من القرن المنصرم ، ففي العام ١٩٩٣ وجه الرئيس الأمريكي السابق بيل كلنتون بتشكيل فريق عمل لإنشاء البنى التحتية المعلوماتية تمهيدا لإنشاء الحكومة الإلكترونية. وأكد في العام ١٩٩٩ أهمية توعية الناس بأهمية إستخدام شبكة المعلومات الدولية، وإلى طلب تفاعل الدوائر الحكومية مع المواطنين بصورة مباشرة عبر هذه الشبكة ، وإلى إيجاد وسائل قياسية مبسطة للحصول على المعلومات وتقديم الخدمات الحكومية إلى الناس ، لما لذلك من أهمية كبيرة في التواصل بين الدوائر الحكومية والمواطنين .

ولتحقيق هذا الغرض قام مجلس الولايات الإستشاري بإعداد دراسة ميدانية لمعرفة إتجاهات الرأي العام فيما يتعلق بنوع الخدمات التي ينبغي أن تقدمها الحكومة الإلكترونية في الولايات المتحدة الأمريكية . بعدها وجه الرئيس الأمريكي كلنتون بوضع ٥٠٠ خدمة حكومية على شبكة المعلومات الدولية بحلول عام ٢٠٠٠ ، على أن تراعي الدوائر الحكومية إجراءات أمن المعلومات وحماية مصالح الأشخاص والمؤسسات المتعاملة معها.

تشير الدراسات إلى أن أكثر من ٦٠% من المتعاملين مع شبكة المعلومات الدولية يستخدمون المواقع الحكومية على الشبكة في الولايات المتحدة الأمريكية . تسعى خطط الإدارة الأمريكية في مجال عمل الحكومة الإلكترونية إلى تحقيق الآتي :

١- تسهيل حصول المواطنين على الخدمات والتفاعل الجيد مع الدوائر الحكومية.

٢- تحسين فاعلية ورفع كفاءة أداء المؤسسات الحكومية.

٣- تحسين إستجابة الدوائر الحكومية لطلبات المواطنين.

بلغت مصروفات الحكومة الإلكترونية في الولايات المتحدة الأمريكية للسنوات ٢٠٠٠ - ٢٠٠٥ أكثر من ٢٠ مليار دولارا .

وعلى الرغم من نمو التجارة الإلكترونية وإتساع خدمات الحكومة الإلكترونية ، إلا أن القلق مازال يساور الكثيرين فيما يتعلق بأمن البيانات والمعلومات وحماية خصوصية مصالح الأفراد الذين يتعاملون مع الحكومة الإلكترونية أو التجارة الإلكترونية . ولغرض حماية سرية تداول المعلومات والبيانات بحدود الأشخاص المعنيين بها، لابد من إتخاذ اجراءات كفيلة بحمايتها ، ومن هذه الإجراءات الآتي :

١- أن تستجيب الدوائر الحكومية للمتطلبات القانونية التي تعزز الثقة بالإجراءات الحكومية .

٢- يجب أن تسعى الدوائر الحكومية لكسب ثقة المتعاملين معها بكل الوسائل الممكنة .

٣- يجب أن تعتمد الدوائر الحكومية معايير قياسية لضمان أمن المعلومات والبيانات وسريتها.

قامت حكومة ولاية تكساس الأمريكية بإجراء دراسة مسحية لتحديد العوامل التي تؤثر في مواطني الولاية باستخدام خدمات الحكومة الإلكترونية . وقد بينت هذه الدراسة أن ٦٧% من عينة الدراسة يستخدمون الحواسيب في حياتهم اليومية ، وان ٦٠% منهم يستخدمون شبكة المعلومات الدولية. كما بينت الدراسة أن الأشخاص الفقراء أو كبار السن أو بعض افراد الأقليات العرقية ، لا يستخدمون الحواسيب أو شبكة المعلومات الدولية ، إذ تبلغ نسبة ٥٠% من كبار السن بعمر ٦٠ سنة فما فوق لا يستخدمون المعلومات الدولية أو الحواسيب .

وفي بريطانيا انشأت الحكومة مجلسا شعبيا مؤلفا من ٥٠٠٠ شخص يمثلون شرائح المجتمع المختلفة . يهدف المجلس إلى معرفة إتجاهات الرأي العام البريطاني فيما يتعلق بنوع الخدمات التي تقدمها الدوائر الحكومية المختلفة . لقد بينت الدراسات التي قام بها المجلس ان الإتصالات الهاتفية هي الوسيلة الأكثر إستعمالا للحصول على الخدمات الحكومية خارج أوقات الدوام الرسمي . وفيما تعلق بدفع الضرائب، ومعاملات رخص قيادة المركبات، وجوازات السفر والأحوال المدنية، والمخالفات المرورية والمعاملات المالية، وبرامج تعليم الكبار وقضايا المحاكم ، فإن أغلب الناس يفضلون الإتصال بالدوائر الحكومية

الكترونيا . ومنذ عام ٢٠٠٤ أصبحت جميع الخدمات الإلكترونية تقدم إلى المواطنين الكترونيا . وفي هولندة أصبحت ٢٥% من الخدمات تقدم الكترونيا منذ العام ٢٠٠٢ . وتبذل دول كثيرة جهودا حثيثة للإنتقال بخدماتها الوظيفية من النمط الورقي التقليدي إلى النمط الألكتروني عبر شبكة المعلومات الدولية .

تعد استراليا إحدى الدول الرائدة في مجال الحكومة الإلكترونية ، إذ بدأت الحكومة الأسترالية ببعض أنشطة الحكومة الإلكترونية منذ عقد التسعينيات على مستوى الحكومة المركزية ، ومستوى حكومات الولايات. ففي العام ١٩٩٤ نشرت الحكومة خططها المختلفة المتعلقة بإنشاء الحكومة الإلكترونية ، وأنشأت بعدها عدة مجالس حكومية ، منها : المجلس الوطني لخدمات المعلومات ، والمركز الوطني لإقتصاد المعلومات ، ومركز الحكومة الإلكترونية . كان الغرض من إنشاء هذه المجالس هو خلق بيئة مناسبة لتمكين الإدارات الحكومية والمواطنين والمؤسسات الإقتصادية من المشاركة بتطوير تقانات المعلومات والإفادة منها في تحسين أداء هذه المؤسسات .

وفي اوربا أبدت دول الإتحاد الأوربي إهتماما كبيرا بموضوع الحكومة الإلكترونية ، ففي العام ١٩٩٤ بدأت بعض هذه الدول بوضع الخطط لإستحداث جمعيات وطنية للمعلومات، او تشكيل لجان وطنية لهذا الغرض . ففي العام ١٩٩٦ نشرت كل من السويد والمانيا ولوكسمبرغ خططها وبرامجها لإنشاء حكوماتها الإلكترونية ، وانشأت كل من بلجيكا وفلندا مؤسسات معلوماتية إستشارية ، وانشأت كل من فرنسا واسبانيا واليونان والبرتغال لجانا وزارية للنهوض بمشاريع الحكومة الإلكترونية ، وانشأت ايرلندا وإيطاليا لجنة سيطرة عامة

لتقانات المعلومات . ولم ينجم عن جميع هذه المبادرات تشكيل أية حكومة الكترونية فعلية ، بل إنها شكلت إطارا فكريا لموضوع الحكومة الإلكترونية التي بدأت هذه الدول بإنشائِها في السنوات اللاحقة .

تقييم خدمات الحكومات الإلكترونية

يشير التقرير الذي أعده الأستاذ وست من جامعة برون الأمريكية وفريقه بعنوان : الحكومات الإلكترونية الكونية ، ٢٠٠٤ ، والمتضمن تقييم ١٩٣٥ موقعا حكوميا لـ ١٩٨ دولة ، ٢٠% من هذه المواقع في أقطار أوربا الغربية و١٧% في أفريقيا و١٤% في آسيا و١٢% في اوربا الشرقية و٨% في الشرق الأوسط و٧% في أمريكا الجنوبية و٥% في أقطار المحيط الهادىء و٦% في أقطار أمريكا الوسطى و٦% في أقطار أمريكا الشمالية و ٥% في أقطار آسيا الوسطى، إلى إعتماد عناصر تقييم متعددة لهذه المواقع ، منها : جهد العلماء في جمع المعلومات وتنظيمها، وسرعة تقديم الخدمات ، وإمكانية حصول الناس على المعلومات ، وبيان إسم الدولة والمنطقة ، والمزايا الآتية : الإصدارات وقواعد المعلومات التي يمكن الحصول عليها مباشرة ، واللغات الأجنبية وامكانات الترجمة ، والإعلانات التجارية وسرية المعلومات وإجراءات الحماية ، والتواقيع الإلكترونية ، والدفع بواسطة البطاقات الإئتمانية ، وعناوين البريد الألكتروني ، ونسخة الموقع باللغة الإنكليزية .

لقد بينت هذه الدراسة في العام ٢٠٠٤ ان نسبة ٨٩% من المواقع الحكومية في العالم تقدم إصدارات يمكن أن يتسلمها المواطنون مباشرة ، و٦٢% تمتلك قواعد بيانات، وتمتلك ١٢% منها صورا

صوتية، و١٣% صورا مرئية . وبينت الدراسة ان ٢١% من المواقع الحكومية في دول العالم المختلفة تقدم خدمات متكاملة مباشرة عبر شبكة المعلومات الدولية . يقصد بالخدمات المتكاملة المباشرة ، الخدمات التي تنفذ كاملة على شبكة المعلومات الدولية دون الإستعانة بأية إجراءات ورقية أو مراجعات لأي من دوائر الحكومة . تعد أقطار امريكا الشمالية في مقدمة الأقطار التي تقدم الخدمات المتكاملة المباشرة بنسبة ٥٣% من المواقع الحكومية ، تليها جزر المحيط الهادي بنسبة ٤٣% ، والأقطار الآسيوية بنسبة ٣٠% ، وأقطار أوربا الغربية بنسبة ٢٩%، ودول الشرق الأوسط بنسبة ١٩% ، و٨% في الدول الأفريقية، ودول أوربا الشرقية ، و٢% في روسيا ودول آسيا الوسطى .

طورت الكثير من المواقع الحكومية قدراتها للإستجابة للرسائل القصيرة المرسلة عبر الهواتف المحمولة ، فالكثير من المواقع الحكومية النرويجية تحتوي على معلومات تشرح عمل الرسائل القصيرة وتوجيه المواطنين بكيفية الإتصال بالوكالات المختلفة عبر هذه الرسائل . تعتمد المواقع الحكومية في الكونغو وسنغافورة الرسائل القصيرة وسائل اتصال بالمسؤولين الحكوميين .

تعد سنغافورة في مقدمة دول العالم التي تقدم خدمات متكاملة متنوعة مباشرة بمعدل ٩,٥ خدمة ، تليها دولة البحرين بمعدل ٥ خدمات ، والصين بمعدل ٣,٢ خدمة ، وجزر البهاما بمعدل ٣ خدمات، والولايات المتحدة الأمريكية بمعدل ٢,٩ خدمة ، وهونك كونك بمعدل ٢,٥ خدمة ، واستراليا بمعدل ٢,٣ خدمة، ونيوزلندا بمعدل ٢,١ خدمة

وعلى الرغم من أهمية أمن معلومات المواقع الإلكترونية ، إلا انها لم تلق بعد الإهتمام الكافي من لدن حكومات العالم المختلفة ، إذ لم

تزد نسبة المواقع التي تعتمد بعض إجراءات الحماية على ١٤% من مجموع المواقع الحكومية . وتعد كل من مالطا وجزر الباهاما وتوغو والدونوميكان في مقدمة الدول التي تتخذ مواقعها الحكومية إجراءات حماية جيدة . تبلغ نسبة الحماية ١٠٠% في المواقع الحكومية العراقية، و٩٣% في سنغافورة ، و٦٧% في الولايات المتحدة الامريكية ، و٥٤% في تايوان ، و٤١% في بريطانيا ، و٣٥% في الصين ، و٢٥% في سانت لويزا ، و٢٣% في ألمانيا وأستراليا .

توفر بعض المواقع الحكومية في عدد من دول العالم إمكانية الإتصال بها عبر لغات أخرى غير لغة بلد الموقع بدرجة أو بأخرى بنسبة ٥٠% من مجموع المواقع الحكومية .

تستوفي بعض المواقع الحكومية بعض الأجور لقاء الخدمات التي تقدمها لطالبيها ، وتعد الصين في مقدمة هذه الدول ، إذ إن ٣٥% من مواقعها الحكومية تستوفي اجورا ، تليها تايوان بنسبة ١٩% ، والولايات المتحدة الامريكية والأرجنتين بنسبة ٨% ، واستراليا بنسبة ٦% ، وسنغافورة والمانيا بنسبة ٣%. تستفيد بعض المواقع من أجور الإعلانات عبر مواقعها. ويعد البريد الألكتروني أحد أهم وسائل الإتصال بالمواقع الحكومية بنسبة ٨٨% من مجموع وسائل الإتصال الأخرى .

وفيما يتعلق بمجمل نوعية الخدمات التي تقدمها المواقع الحكومية في دول العالم المختلفة ، فقد وجدت الدراسة التي أجراها فريق البحث الأمريكي برئاسة الأستاذ وست عام ٢٠٠٤ ، أن تايوان تقع في مقدمة الدول بنسبة ٤٤,٣% من سلم التقييم، وسنغافورة بنسبة ٤٣,٨% ، والولايات المتحدة الامريكية ٤٢,٩% ، وكندا بنسبة

٤٠,٣% ، ومونوكو بنسبة ٣٩%، والصين بنسبة ٣٧,٣% ، واستراليا بنسبة ٣٦,٧%، وتوغو بنسبة ٣٦% ، وألمانيا بنسبة ٣٥% .

الخاتمة

وفرت شبكة المعلومات الدولية فرصا ممتازة لإعادة النظر بأساليب عمل الدوائر الحكومية وتحسين أداء هذه المؤسسات لتقديم خدمات أفضل لمواطنيها ، وإختزال الجهد والتكاليف في الكثير من الحالات .

ونظرا لوجود فجوة رقمية داخل المجتمعات من جهة ، وبين الدول المختلفة من جهة أخرى ، لذا يستلزم إعداد خطط علمية مدروسة بعناية عند إنشاء الحكومات الإلكترونية كي تحقق الأهداف المتوخاة منها ، وبما لا يسبب هدرا في المال العام .

تمثل الفجوة الرقمية داخل المجتمع الواحد بعدم امتلاك الفئات الفقيرة حتى في الدول المتقدمة ، أجهزة الحواسيب بالإعداد الكافية ، فضلا عن محدودية القدرة على التواصل عبر شبكة المعلومات الدولية . كما أن كبار السن في الكثير من المجتمعات لا يجيدون أو انهم يتخوفون من استعمال الحواسيب وشبكة المعلومات الدولية . ولا يختلف الحال بالنسبة للنساء . وهذه أمور تحد كثيرا من الإفادة من خدمات الحكومة الإلكترونية .

وعلى صعيد الدول فإن الفجوة الرقمية آخذة بالإتساع بين الدول الصناعية الكبرى ، والدول النامية التي لا تمتلك سوى أعداد قليلة من الحواسيب ومواقع شبكة المعلومات الدولية ، الأمر الذي يحد كثيرا من

التواصل الكترونيا بين الجهات الحكومية بين الدول الصناعية والدول النامية .

وفي ضوء ما تقدم إن إنشاء الحكومات الإلكترونية يتطلب رصد التخصيصات المالية لمشاريع هذه الحكومة، والتأكد من حسن صرفها لتأمين خدمات حكومة الكترونية لقطاعات واسعة من الناس، وبما يعود بالمنفعة الحقيقية، لا أن تكون ترفا فكريا مظهريا . وقبل هذا وذاك لابد من بذل جهود حقيقية لمحو الأمية الحاسوبية بين فئات المجتمع المختلفة لاسيما فئات الشباب عبر برامج تعليمية معدة جيدا لهذا الغرض . وبذلك نكون قد أمنا لبلادنا مواكبة التطورات العلمية العالمية والإفادة منها لتحقيق نهضتها وتقدمها.

المراجــع العلميــة

1. Birgit J. Oberer
International Electronic Government Approaches Proceedings of the 35th Hawaii International Conference on System Sciences – 2002
2. ACT Buyers and Sellers Information service:
Http: // www.basis.act.gov.av;2001-06-16
3. ASTEC 1994; the Networked Nation;
Http:// www.disr.gov.av/science/pmseic.html; 2001-06-16
4. Darrell M.west
Global E-Government, 2004
www.Insidepolitics. Org
5. Gibbs, w.w.1997 Taking computers to Task Scientific American New York Jul 1997; Vol. 277(1) 82-90
6. O'Looney, John 200 Local Government On-line: Putting the Internet to Work, International City/ County Management Association, Washington DC
7. ITAA, "Keeping the Faith: Government Information Security in the Internet Age" available at Http://itaa.org/infosec/faith.pdf
8. Johnson, Stephen, "The Internet Changes Everything: Revolutionizing Public Participation and Access to Government Information through the Internet," Administrative law Review, (50) Spring 1998, pp.277337
9. West, Darrell M., "Assessing E-Government: the Internet, Democracy, and Service Delivery." Available at http://www.insidepolitics
Org/egoverport00.html (September, 2000).

10. Gren p, 2001, '1s Online Democracy in the EU for Professionals Only ', Communications of the ACM, vol. 44, no 1, January 2001.
11. Cook M. E, 2000,'What Citizens Want from E-government', Technical Report, Center for Technology in Government, University at Albany.
12. Csetenyi A., 2000, 'Electronic Government: Perspectives From E-Commerce', DEXA 2000, IEEE Press,pp. 294-298.
13. Heeks R., 1998, 'Successful Approaches to Information Age Reform' IDPM, University of Manchester.
14. Heeks R., 1998, 'Reinventing Government in the Information Age: Explaining Success and Failure' IDPM, University of Manchester.
15. Hoffman L.J., Cranor L.,2001, 'Internet Voting for public Officials' Communications of the ACM, vol. 44,No 1, January 2001.
16. Lenk K, Tranmuller R., 2000,'A Framework for Electronic Government', DEXA 2000, IEEE Press, pp. 271-277.
17. Salminen A., Lyytikainen, Tiitinen p., 2000, 'SGML for E-Governance: The Case of the Finish Parliament', DEXA 2000, IEEE Press, pp.349-353.
18. Schubert p., Hausler U., 2001'E-Government Meets E-Business: A portal Site for Start up Companies in Switzerland Proceedings of the 34th Hawaii International Conference on System Science-2001
19. Stamoulis D , Georgiadis P.,2000 Vision Roles and Steps for Government in Transition to the Digital Age, DEXA 2000 IEEE Press pp. 369-376

20. Tambouris E., 2001; An Integrated Platform for Realizing One – Stop Government: the eGOV Project, DEXA 2001, IEEE press [forthcoming]
21. Wassenaar A., 2000, E-Government Value Chain Models DEXA 2000 IEEE Press pp. 289-293.
22. Wastell D., Kawalek p., Willetts M., 2000 SPRINT: A Business Process Reengineering (BPR) Framework for Implementing the Information Society, DEXA 2000, IEEE Press pp. 396-400.
23. Wimmer M., Traunmuller R., Lenk k., 2001 Electronic Business Invading the Public Sector Considerations on Change and Design , Proceedings of the 34th Hawaii International Conference on System Sciences-2001.

الأدويـــة المنومـــة والمخدرة
في الطب العربي الإسلامي

الدكتور محمود الحـــاج قاسم محمد
باحث في تاريخ الطب العربي الإسلامي
طبيب أطفال ـ الموصل / العراق

الملخص :

دارس كتب الجراحة التي خلفها الأطباء العرب والمسلمون يخرج بنتيجة حتمية حول معرفتهم استعمال التخدير في إجراء العمليـــات . جـــاء البحـــث حاويا أربعة محاور هي :

المحور الأول : مفهوم المخدرات عند الأطباء العرب والمسلمين :

يعرف ابن سينا الدواء المخدر مستندا الى نظرية الأخلاط والأمزجـــة ، ويوصي المعالج أن يكون حذرا في استعمال المخدرات خشية من أضراره ، ويؤكد ابن هبل البغدادي وآخرون المعنـــى نفســه (وقـــد إحتـــوى البحـــث نصوص أقوالهم) .

المحور الثاني : الأدوية المنومة والمخدرة عند الأطباء العرب والمسلمين :

إحتوى البحث جميع الأدوية المخدرة والمنومة التي جـــاء ذكرهـــا عنـــد الأطباء العرب والمسلمين مع تعريف بسيط لكل منها كما جاء ذلك عنـــدهم . والأدوية هـــي (**الأفـــيـــون Papaver Somniferou** ، **اليبـــروح أو اللّـــفاح Mandragora Officinarium** ، **حـــشيش – قنـــب هنـــدي Cannabis indica** ، **داتورة = جوز ماثل Datura Stramonium** ،

بـنـج = مرقـد = السكـران Hyosamus albus ، خـس بـري = لـبـيـن Lactuca Saligna ، شبت = سـذاب البـر Anethum ،gravedens زوان = شيلم Lolium temulentum ، عنب الثعلب Salanum Nigrum) ، أيرسـيا = أرسـا Iris germanica ، الزعـفـران Carthamus tictorins ، حماما = أحوما Amomu racemosum ، صـبـر Aloe vera ، نـيـلـوفـر Nymphaeceae ، جدوار Carcuma caesia ،قـطـن Cotton ، مـيـعـة Liauidmber orientale ، تانبـول = شاه صيني Piper betel ، أذخـر Andropogon schoenanthus ، أقـحـوان Anthemis cotula ، طرخـون Anthemsia dracunculus ، كـزبـرة Anthua cynapinum ، مـرّ Commiphora myrrha سـاج = دلب هندي Tectuna gradis ، فنجـشكت - Vitex Angus castus) :

المحور الثالث : المفهوم العلمي الحديث للأدوية المخدرة والمنومـة التـي استعملها الأطباء العرب والمسلمون :

بعد استعراض الأدوية المنومة والمخدرة التي جاء ذكرها في المؤلفـات الطبية العربية والتي عرفها أو استعملها الأطباء العرب والمسلمون ، والتـي بلغ عددها نحو (٢٥ دواءً) مخدرا أو مسبتا ، حاولنا التفتـيش عنهـا فـي المؤلفات الصيدلانية الحديثة ، إلا أننا لم نجد دراسات حديثة عن الكثير منها . ذكرنا في البحث عرضا قسما من تلك الأدوية المعروفة اليـوم والتـي قـد أجريت عليها دراسات طبية حديثـة عـن تركيبهـا وإسـتعمالاتها الطبيـة

وهي (الأفيون ، البـــنـــج ، الداتورة ، الزعفران ، التانبول ، الحشيش) .

المحـــور الرابـــع : طـــرق اســـتعمال الأدويـــة المخـــدرة عنـــد الأطبـــاء العرب والمسلمين :

أما طرق استعمال الأدوية المخدرة عندهم فكانت :

١. عن طريق الفم (أكله ، شرب عصارته) .
٢. شمه أو شم البخار المتصاعد من طبخه .
٣. مضغه للتخدير الموضعي للفم والأسنان .
٤. على شكل شياف عن طريق الشرج لتسكين آلام حصاة المجاري البولية .
٥. الإسفنجة المخدرة .

وكما يقول الدكتور طه الجاسر هناك قرائن تشير الى أنه من الممكن أن يكون العرب هم الذين اكتشفوا مادة الإيثر . وبذلك نختم بحثنا الذي توخينا فيه أمرين هامين :

الأمر الأول : استعراض جميع الأدوية المنومةِ والمخدرة التي اســتعملها الأطباء العرب والمسلمون أو كانوا على علم بها . و فتح الباب أمام الباحثين وطلاب الصيدلة لكي يقوموا بتحليل قسم منها ودراسة مالم يبحث حتى اليوم .

الأمر الثاني : لقد توخينا في بحثنا أن يكون دليلا على كشف حقيقة الدور الريادي للأطباء العرب والمسلمين ووصل حاضرنا الطبي بماضينا .

عندما أتحـــدث فـــي النـــدوات والمـــؤتمرات عـــن ممارســـة الأطبـــاء العرب والمسلمين للعمليات الجراحية ، ولاسيما المعقـــدة منهـــا كاســـتخراج حصاة المثانة وبتر الساق مثلا ، يتساءل العديد من الـــزملاء كيـــف كانـــت تجرى هذه العمليات وما هي وســـائل التخـــدير المتبعـــة آنـــذاك ؟ وجوابـــا

عن ذلك أقول بأنه فضلا عن تحمل الألم الذي كان يتحلى به المرضى في ذلك الزمان ، كان للأطباء وسائل في التخدير قد لا تكون بمستوى علم التخدير اليوم إلا أنها كانت تؤدي الغرض ، كما أنها كانت الحجر الأساسي في تقدم علم التخدير اليوم .

فدارس كتب الجراحة التي خلفها الأطباء العرب والمسلمون يخرج بنتيجة حتمية حول معرفتهم استعمال التخدير في إجراء العمليات الكثيرة التي مر ذكرها في مصنفاتهم علما بأن ما ساعد على ولوج العرب حقل التخدير والعمل على تطويره ، أن قصة الألم كنوع من أنواع الجزاء الإلهي لا أصل له في تقاليدهم أو معتقداتهم .

وقبل أن نتكلم على ذلك لا بد من ذكر التعريف الحديث للمخدرات فهي تعرف اليوم تعريفين :

أ – **التعريف العلمي** : المخدر مادة كيميائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعي المصحوب بتسكين الألم ، وكلمة مخدر ترجمة لكلمة Narcotic المشتقة من الإغريقية Narkosis التي تعني مخدر أو يجعل مخدرا . لذلك لا تعتبر المنشطات ولا عقاقير الهلوسة مخدرة على وفق التعريف العلمي ، في حين يمكننا اعتبار الخمر من المخدرات .

ب – **التعريف القانوني** : المخدرات مجموعة من المواد تسبب الإدمان وتسمم الجهاز العصبي ويحظر تداولها أو زرعها أو صنعها إلاّ لأغراض يحددها القانون ولا تستعمل إلاّ بواسطة من يرخص له ذلك .

وتشمل : الأفيون ومشتقاته والحشيش وعقاقير الهلوسة والكوكايين ، والمنشطات ، ولكن لا تصنف الخمر والمهدئات والمنومات

من المخــدرات على الرغم من أضرارهــا وقابليتهــا لإحداث الإدمــان[1] .

بعد هذه المقدمة ندخل في صلب الموضوع من خلال أربعة محاور هي :

المحور الأول : مفهوم المخدرات عند الأطباء العرب والمسلمين :

مفهوم المخدرات في منظور الأطباء العرب والمسلمين لا يختلــف عــن المفهوم الحديث . نكتفي هنا بذكر قولين لاثنين منهم لتبيان ذلك .

يعرف ابن ســينا الــدواء المخــدر مــستندا الــى نظريــة الأخــلاط والأمزجة فيقول :

((المخدر هو الدواء البارد الذي يبلغ من تبريده للعضو إلــى أن يميــل جوهر الروح الحاملة إليه قوة الحركة والحس باردا في مزاجه غليظــا فــلا تستعمله القوى النفسانية ......))[2].

ويوصــي ابــن ســينا المعــالج بالمخــدرات أن يكــون حــذرا فــي اســتعمال المخــدرات خــشية مــن أضــراره وأن لا يــستعملها إلاّ فــي الحــالات الــضرورية القــصوى التــي لا يفيــد معهــا المــسكنات الأخرى فيقول :

((فيتحير المعالج في ذلك أن يكون عنــده حــدس قــوي ... وأيــضا أي الحالين أضر فيه الوجع أو الغائلة المتوقعة من التخــدير فيــؤثر تقــديم ما هو أصوب فربمــا كــان الوجــع إن بقــي قتــل بــشدته وبعــضمه ، والتخدير ربما لم يقتل وإن أضر من وجه آخــر ربمــا أمكنــك أن تتلافــي

---

[1] الدمرداش ، د . عادل : الإدمان مظاهره وعلاجه – ص ١٠ ، سلسة عالم المعرفــة الكويتية (٥٦) .

[2] القانون : ج ١ ، ص ٢٣٤ .

مضرته وتعاود وتعالج بالعلاج الصواب ومع ذلك فيجب أن تنظر في تركيب المخدر وكيفيته وتستعمل أسهله وتستعمل مركبه مع ترياقاته ...))[٣].

ويؤكد ابن هبل البغدادي ذلك بقوله ((والوجع عارضة محللة للروح مسقطة للقوة وربما لم يحتمل الحال فيها قصد السبب وعلاجه ، فيضطر فيه إلى استعمال الدواء المخدر والمخدر يسكن الألم لإبطاله حس العضو وبتغليظ جوهر الروح الحساس وتبريده ... وهذا لا يستعمل إلاّ عند اشتداد الألم اشتدادا لا تحتمله القوة فيبادر إلى الدواء المخدر ليسكن الألم)) .

((وأجود المخدرات ما لم تكن صرفة بل مركبة في أدوية ترياقية حافظة لطباع مزاج العضو)) .

((والذي ينبغي أن تقدمه من المخدرات ما هان منها وسهل أمره وتتدرج إلى القوى))[٤].

المحور الثاني : الأدوية المنومة والمخدرة عند الأطباء العرب والمسلمين :

ندرج فيما يلي الأدوية المخدرة والمنومة التي جاء ذكرها عند الأطباء العرب والمسلمين مع تعريف بسيط لكل منها كما جاء ذلك عندهم :

١ . **الأفيون (Papaver Somniferou) :**

يقول ابن سينا ((أفيون (ماهية) عصارة الخشخاش الأسود والمصري ينوم شمه ولا تزاد شربته عن دانقين (الأفعال) مخدر مسكن لكل وجع سواءً كان شربا أو طلاء))[٥].

---

[٣] القانون : ج ١ ، ص ٢٢٠ .

[٤] المختارات في الطب : ج ١ ، ص ٣١٤ – ٣١٥ .

[٥] القانون : ج ١ ، ص ٢٥٦ .

٢ . اليبروح أو اللّفـــاح (Mandragora Officinarium) :

يقول الرازي ((... يؤخذ منه أوقية ونصف للسهر وتسكين الأوجاع ... ومن يحتاج أن يبطل حس من يقطع منه عـــضو أو يكـــوى فيـــشرب مـــن دمعته أو منه كله بالشراب ... ولفاح هذا الصنف إذا أكـــل أســـبت إســـباتا لا يحس معه ... والصنف الأبيض منه متـــى شـــم أســـبت ... وعـــصارته تفعل ذلك))[٦].

٣ . حشيش – قنب هندي (Cannabis indica) :

يقـــول عنـــه داؤد الأنطـــاكي ((وأوراق هـــذه الـــشجرة مـــشهورة بالحشيشة ... الرومي منه ... مع العسل يـــسكن الأوجـــاع الحـــارة طـــلاء ويؤكل فيعطي مـــن التفـــريح ... ثـــم يخـــدر ويكـــسل ويبلـــد ويـــضعف الحواس))[٧].

٤ . داتورة = جوز ماثل (Datura Stramonium) :

يقول عنه ابن هبل ((حب مثل حب الأترج بارد مخدر مـــسبت ضـــار للدماغ يسكر منه مقدار دانق))[٨].

ويقول عنه الأنطاكي ((هو المعروف بالمرقد ... وهو نبت لا فرق بين شجره وشجر الباذنجان ... وقلما تحمل الواحدة منه أكثـــر مـــن حـــوزة ... والمستعمل منه بزر داخل هذه الجوزة ... والذي رأيناه من هذا الحـــب هـــو

---

[٦] الحاوي : ج ٢١ ، ق ٢ ، ص ٦٤٤ .

[٧] الأنطاكي ، داؤد : تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب – ج ١ ، ص ٢٠١ ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ١٣٥٦ هـ .

[٨] المختارات : ج ٢ ، ص ٥١ .

شيء كالبنج ... يمنع من السهر المفرط ... أكلـــه يسبت وينوم نحو ثلاثـــة أيام ... وربما قتل))[9] .

٥ . بـــنـــج = مرقـــد = السكـــران (**Hyosamus albus**) :

يقول عنه الأنطاكي ((البـــنج بالعربيـــة الـــسيكران ... وهـــو يـــسبت ويخط العقل))[10] .

ويقول ابن سينا ((أجوده الأبيض فـــإن لـــم يوجـــد اســـتعمل الأحمـــر ويتجنب الأسود دائمـــا لكـــن عـــصارة أغـــصانه ربمـــا اســـتعملت بـــدل الأفيون ...)) ثم يقول ((مخدر يقطع النـــزف ويـــسكن بتخـــديره الأوجـــاع الضربانية))[11].

٦ . خـــس بـــري = لـــبـــيـــن (**Lactuca Saligna**) :

قال عنه ابن البيطار ((لبنه شبيه بلبن الخشخاش الأســـود وهـــو منـــوم ومسكن للوجع))[12] .

٧ . شبت = سذاب البـــر (**Anethum gravedens**) :

يقول عنـــه ابـــن هبـــل ((مـــسكن للأوجـــاع يغـــش الريـــاح ودهنـــه نافع من أوجاع العـــصب وهـــو منـــوم وعـــصارته نافعـــان مـــن وجـــع الأذن ...))[13].

---

(٩) التذكرة : ج ١ ، ص ١٠٢ .

(١٠) التذكرة : ج ١ ، ص ٧٨ .

(١١) القانون : ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(١٢) مفتاح ، رمزي : إحياء التذكرة – ص ٢٧٧ ، مكتبـــة ومطبعـــة مـــصطفى البـــابي الحلبي ، مصر الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـــ = ١٩٥٣ م .

(١٣) المختارات : ج ٢ ، ص ١٨٢ .

٨ . زوان = شيلم (**Lolium temulentum**) :

يقول الأنطاكي عنه ((وهو مخدر مكسل مثقل للحواس ومنوم ...))[١٤]

ويقول ابن سينا ((حشيشة تنبت بين الحنطة ...)) ((يسكر ويسدر))[١٥].

٩ . عنب الثعلب (**Salanum Nigrum**) :

يقول عنه ابن سينا ((الصنف الثالث منه منوم هو نبات أغصانه كثيرة كثيفة متشعبة وثمره في غلف لونه لون الزعفران)) ((البستاني منه بزره مقبض ومنه جنس مخدر منوم يشبه الأفيون في خصاله إلاّ أنه أضعف منه))[١٦] ((ويقول ابن هبل ((ووزن مثقال من لحا أصله بالشراب يجلب النوم))[١٧].

١٠ . أيرسيا = أرسا (**Iris germanica**) :

يقول ابن سينا ((هو أصل السوسن الإسمانجوني وهو من الحشائش ذات السوق وعليه زهرة مختلفة مركبة من ألون ... وهذا يسمى أيرسا أي قوس قزح ...)) ثم يقول ((ينوم ويزيل الصداع المزمن))[١٨].

١١ . الزعفران (**Carthamus tictorins**) :

يقول عنه الرازي ((وقوة دهنه مسخنة ، منومة ...))[١٩].

---

(١٤) التذكرة : ج ١ ، ص ١٦٧ .

(١٥) القانون : ج ١ ، ص ٤٣٥ .

(١٦) القانون : ج ١ ، ص ٣٩٧ .

(١٧) المختارات : ج ٢ ، ص ١٥١ .

(١٨) القانون : ج ١ ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(١٩) الحاوي : ج ٢٠ ، ص ٥٤٩ .

ويقول ابـــن هبـــل ((مكـــدر للحـــواس مـــسدر منـــوم إذا وقـــع فـــي الأشربة المسكرة زاد في السكر ...))[٢٠].

١٢ . حماما = أحوما (Amomum racemosum) :

يقول عنه ابن سينا ((يثقل الرأس ويصدع وينوم وقد قال بعضهم أنه إذا طلي به على الجبهة أزال الصداع وهو مـــن المـــسكرات والمنومـــات))[٢١] ويقول الأنطاكي ((ويكسل ويجلب النوم ويصلحه الدار صيني وشربته إلـــى مثقال))[٢٢].

١٣ . صـــبـــر (Aloe vera) :

يقول ابن هبل ((مخصب للأبدان منوم))[٢٣].

١٤ . نـــيـــلـــوفـــر (Nymphaeceae) :

يقول ابن سينا عنه ((أصل النيلوفر الهندي في حكـــم اليبـــروح ...)) ((منوم مسكن للصداع الحار))[٢٤].

١٥ . جدوار (Carcuma caesia) :

يقـــول الأنطـــاكي ((الجـــدوار يقـــاوم ســـائر الـــسموم ويفـــرح تفريحـــا عظيمـــا ويقـــارب الخمـــر فـــي أفعالهـــا خـــصوصا لمـــن لم يعتده))[٢٥].

---

(٢٠) المختارات : ج ٢ ، ص ٨١ .

(٢١) القانون : ج ١ ، ص ٣١٤ .

(٢٢) التذكرة : ج ١ ، ص ١١٧ .

(٢٣) المختارات : ج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢٤) القانون : ج ١ ، ص ٣٧٥ .

(٢٥) التذكرة : ج ١ ، ص ٦٩ .

١٦ . قــطــن (Cotton) :

يقول الأنطاكي ((زهره قوي التفريح يبلغ الإسكار ويعمل منـــه شـــراب منعش))[٢٦].

١٧ . مــيــعــة (Liauidmber orientale) :

يقول الرازي أن جالينوس أدخل الميعة مع الأدوية المخدرة ثـــم يقـــول ((وهي لعمري تثقل الرأس جدا))[٢٧] .

١٨ . تانبـــول = شاه صيني (Piper betel) :

يقول الأنطاكي ((أوراق نبات يقطيني ... رائحته قرنفلية ، ويغش بورق القرفة والفرق إسكاره ...وتفريحه))[٢٨] . وقد وصفها ابن بطوطـــة فـــي رحلاته .

وهناك أدوية أخرى ذكرها العلائي المغربي[٢٩] في كتابه (تقويم الأدوية) بأنها مخدرة أو منومة ، إلاّ أنها لم تذكر في بقية المصادر العربية وهذه هي :

١٩ . أذخـــر (Andropogon schoenanthus) :

يقول المغربي ((نبات تبني طيب الرائحة)) ... ((إذا أديم شمه نـــوم نوما صالحا)) .

---

(٢٦) التذكرة : ج ١ ، ص ٢٣٩ .

(٢٧) الحاوي : ج ٢١ ، ق ٢ ، ص ٥١٢ .

(٢٨) الأنطاكي : التذكرة ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٢٩) المغربي ، أبو سعيد إبراهيم العلائي : تقويم الأدوية – مخطوط (نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف) رقم (٣٥٩٥) الصفحات بالتـــدريج (٣٣ ، ٣٥ ، ١٤٣ ، ١٢١ ، ١٤٢ ، ١٦٤ ، ١٦٠) .

٢٠ . أقحوان (Anthemis cotula) :

يقول ((إذا أديم شمه نوم وأسبت)) .

٢١ . طرخون (Anthemsia dracunculus) :

نبات يقول المغربي ((فيه قوة مخدرة)) يمضغ قبل شرب الأدوية الكريهة لتخدير الفم)) .

٢٢ . كزبرة (Anthua cynapinum) :

يقول المغربي ((ينوم وينفع من السدد والدوران)) ((عصارته الرطبة تسكن كل ضربان شديد)) .

٢٣ . مرّ (Commiphora myrrha) :

يقول المغربي ((صمغ أحمر)) ((فيه تنويم وإسبات)) .

٢٤ . ساج = دلب هندي (Tectuna gradis) :

يقول المغربي ((ورق أترجي طيب الرائحة)) ... ((فيه تنويم)) .

٢٥ . فنجشكت (Vitex Angus- castus) :

((شجرة ذات خمسة أوراق وزهره فرفوري وحبه كالفلفل)) ... ((وهو مسبت منوم)) .

المحور الثالث : المفهوم العلمي الحديث للأدوية المخدرة والمنومة التي استعملها الأطباء العرب والمسلمون :

بعد استعراض الأدوية المنومة والمخدرة التي جاء ذكرها في المؤلفات الطبية العربية والتي عرفها أو استعملها الأطباء العرب والمسلمون خلال تربعهم على عرش الحضارة والتي بلغ عددها نحو (٢٥ دواءً) مخدرا أو مسبتا ، حاولنا التفتيش عنها في المؤلفات

الصيدلانية الحديثة ، إلا أننا لم نجد دراسات حديثة عن الكثير منها .
نذكر فيما يأتي : عرضا لقسم من تلك الأدوية المعروفة اليوم والتي قد أجريت عنها دراسات طبية حديثة :

١ – الأفيون :

المعروف اليوم بأن مادة الأفيون هو عصير أبيض لزج يخرج من كبسولة البذرة غير الناضجة لنبات الخشخاش Papaver somniferam . وأن هذا العصير عند تعرضه للهواء يغمق لونه فيصبح بنيا ومن ثم يتصلب ويقطع إلى قطع حسب الطلب ، أو يسحق مكونا مسحوق الأفيون .

أما المواد المهمة التي تستخدم في المجال الطبي والمستخرجة من الأفيون اليوم فهي :

أ – مجموعة الفيناثرين Phenanthrene وتحتوي هذه المجموعة على :

١. المورفين : ويشكل ١٠ % من وزن الأفيون الخام . وهو المادة الأساسية الفعالة في ألأفيون . ويعتبر أقوى مسكن للألم عرفه الإنسان ، ويعتبر الحجر الأساسي في علاج الآلام الشديدة .

٢. الكودائين : ويشكل نسبة ضئيلة ٠,٥ – ١ % من وزن الموفين ويستخدم في أدوية السعال وفي الأقراص المسكنة للآلام .

ب – مجموعة إيزوبنزيل كونيولين Benzyl isoquino lines وهي لا تسبب إدمانا ولا تسكينا للألم وهي :

١. البابافارين Papavarercne : الذي يستخدم لمنع تقلصات العضلات وتوسيع الأوعية المعوية . وتبلغ نسبته في الأفيون ١ % .

٢. النوسكابين : وتصل نسبته إلى ٦ % من الأفيون الخام ويستخدم مهدئا للسعال وقد انتشر استخدام المورفين منذ أن قام ألكسندر وود عام ١٨٣٣ بحقن زوجته بالمورفين كدواء شاف لجميع الآلام وكذلك انتشر معه إدمان المورفين حيث بدأ الأطباء يدركون مخاطره الكثيرة (التي لا يتسع المجال لسردها هنا) فعملت أبحاث وعقدت مؤتمرات للحد من استعماله وأصدرت منظمة الأمم المتحدة بروتوكولات بمحاربته عام ١٩٤٦ ، وعام ١٩٥٣ وأصدرت منظمة الصحة العالمية عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٨ اتفاقات منعت فيها مجموعة كبيرة من العقاقير الطبيعة والمخلقة وأدخلتها في قائمة المخدرات الممنوعة .

٢ – البنج :

يطلق اسم البنج على نبات الشيكران ، ويسمى أيضا السكران والبنج الأبيض ، والبنج المصري . والاسم العلمي لهذا النبات هو هايوسايموس (Hyoscyamous) ويعرف بالإنكليزية (Henbane) ويتبع الفصيلة الباذنجانية ويستخرج منه القلويدات الآتية : هيوسيامين Hyoscyamine وسكوبالامين (Scopalamine) وأتروبين . الجزء المستعمل هو القمم الزهرية والأوراق المحتوية على القلويدات .

وتستخدم هذه المواد في الطب لمعالجة المغص ، وكمواد مضادة لتأثير مادة الأسيتيل كولين (Anticholinergic) . كما تستخدم مواد مساعدة لإحداث التخدير في العمليات الجراحية .

٣ – الداتورة (الطاطورة) (**Datura**) :

ويعرف بأسماء محلية مختلفة مثل الجليجلة والعريط والدريقة . وتعرف

الداتورة بالإنكليزيـــة أيـــضا بأســـماء مختلفـــة مثـــل (Thorn Appls) (Mad Apple) ... الخ

والمواد المذكورة في البنج توجد في الداتورة ولكن بنسب مختلفة ويحوي على السكوبولامين الذي يسبب الهلوســـة بكميـــة كبيـــرة . وقـــد اســـتخدم الاسكوبولامين لإحداث حالة نوم الـــشفق Twighlight sleep فـــي عـــلاج الحالات النفسية حتى ينطلق المريض في الكلام والهذيان ، وليستفيد المحلـــل النفسي حسب زعمهم من هذا الهذيان في معرفة أسرار المـــريض النفـــسية وعقده ليعالجها .

٤ – اليبروح (اللفاح) (**Mandragora officinrium**) :

وهذا النبات يحوي أيضا مواد البنج نفسها ولكن بنسب متفاوتة ويتميـــز بكونه منتشرا في أوربة . والقلويدات موجـــودة فـــي الجـــذور ولـــيس فـــي الاوراق ، وتؤخذ الجذور وتغلى ويشرب المنقوع لإحداث حالات من الهذيان والهلوسات ثـــم النـــوم ، كمـــا يـــستخدم مهـــدئا فـــي الطـــب الـــشعبي ، وإذا ازدادت الكمية زاد الهذيان والهلوسات وقد تحدث الوفيـــات فـــي أثنـــاء الهلوسات الحادة .

٥ – الزعفران (**Saffron**) :

وهي مادة ذهبية اللون تستخرج من ميـــسم (Stigma) زهـــرة نبـــات الزعفران الحمراء المعروفة علميا باسم (Syracus Sativus) ويـــستخدم لإصلاح الطعام (ولاسيما الأرز) وفي الطب الشعبي .

ويسبب الزعفران تشوشا في الذهن وشعورا بالسعادة والمرح Euphoria مع هلوسة وفقدان المعرفة للزمان والمكان ويصحب ذلك فتور في الأعـــضاء

وخمول شديد في الجسم . وإذا ازدادت الكمية أعقبها نوع من الغيبوبة والغشي .

٦ – التانبول (شاه صيني) (Piper betel) :

وهو شجرة تشبه النخلة ، تستخدم أوراقها مضغا في الهند وشرق آسيا منذ آلاف السنين . وتلف الورقة بعد وضع الجير والنارجيل ومواد سكرية وعطرية وتوضع في الفم وتمضغ مدة ساعة تقريبا ثم تلفظ لتستخدم أخرى وتعتبر المادة الفعالة بعض الزيوت الطيارة مثل (الأركولين Arecoline) التي تنبه الجهاز العصبي مع إحساس بالصحة . ويؤدي مضغه إلى التعود عليه ويصعب على ماضغه تركه ، وإذا أكثر الشخص منه يسبب هلوسة خفيفة وهو عامل مساعد للسرطان .

٧ – الحشيش (القنب) :

القنب نبات حولي قوي الرائحة ذو سوق خشبية خشنة الألياف وزهرات صغيرة . وتفرز القمم المزهرة من النبات المؤنث بصورة خاصة مادة راتينجية تسبب نوعا من الانبساط عند تناولها . وانتشر استخدام الحشيش في العالم الإسلامي بعد الغزو التتاري ووصول هولاكو إلى بغداد .

وللحشيش أسماء كثيرة تبعا للمنطقة التي يزرع أو يستهلك فيها وأشهر أسمائه البنج (أطلق المسلمون كلمة البنج على الحشيش والشيكران) ، الماريجوانا (في أمريكا والغرب) ، الكيف (في المغرب والجزائر) ، الحشيش (في مصر وسوريا ولبنان والعراق) ، الجنزفوري (في السعودية) .

ويمكن تعاطي الحشيش عن طريق التدخين وهي الطريقة الأكثر انتشارا ، كما يمكن تعاطيه عن طريق الفم . ويدخن الحشيش مع التبغ في النارجيلة أو السجاير أو الغليون .

والآثار التي يحسها متعاطي الحشيش تعتمد على شخصية المتعاطي وعلى المحيط الذي يتناول فيه الحشيش . وأكثر هذه الآثار شهرة هي الحالة التي يعيش فيها الشخص وتكون فيها الأفكار غير مترابطة ، وغير منطقية ، وتنطلق الأفكار والأحلام في خمائل وردية ، ويتذكر أشياء تافهة ، ويضطرب الإحساس بالزمن . وإذا ازدادت الجرعة قليلا تظهر على المتعاطي هلوسات سمعية وبصرية . وكثيرا ما تتغير الحالة المزاجية وتنتاب المتعاطي نوبات من الضحك لأتفه الأسباب ويعقبها نوبات خوف شديد أو شعور بالتعاسة . وعندما تزداد الجرعة يصاب المتعاطي بما يعرف باسم الذهان (Psychosis) وهو نوع من الجنون . ويفقد المدمن اهتمامه بعمله وبمطعمه وملبسه ومسكنه ، ويكون عادة قذر الهيئة ، رث الملابس ، ثائر الشعر ، غائر العينين ، محتقن الملتحمة ، متبلد الإحساس ، بليد الذهن .

المحور الرابع : طرق استعمال الأدوية المخدرة عند الأطباء العرب والمسلمين :

أما طرق استعمال الأدوية المخدرة عندهم فكانت :

١. عن طريق الفم (أكله ، شرب عصارته) .
٢. شمه أو شم البخار المتصاعد من طبخه .
٣. مضغه للتخدير الموضعي للفم والأسنان .

٤. على شكل شياف عن طريق الشرج لتسكين آلام حصاة المجاري البولية .
٥. الإسفنجة المخدرة : يذكر أحد تلاميذ الأنطاكي في ذيل كتاب (تذكرة أولي الألباب) عن ذلك ((يؤخذ من اليبروح وزن درهمين ومن الأفيون مثيله يدقان ناعما ويدفنان أسبوعا بعد أن تجعل فيه من الماء أربعة أمثاله فإن أردت أن تنوم أحدا من ذلك الماء بإسفنجة بعد أن تتركه في الشمس خمسة أيام وقربه إلى من تريد تنويمه))[٣٠].

وأخيرا ننقل بتحفظ قولا للدكتور محمد طه الجاسر[٣١] (أستاذ علم التخدير – كلية طب حلب) حيث يقول : وهناك قرائن تشير بأنه من الممكن أن يكون العرب هم الذين اكتشفوا مادة الإيثر وذلك لأن :

أ. العرب هم الذين اكتشفوا مادة الكحول (الغول) .
ب. العرب هم الذين اكتشفوا مادة الزاج الأخضر) (حامض الكبريتيك) .

هناك قرائن تدل أن العرب أجروا تفاعلا وعملية تقطير بين هاتين المادتين . وإذا علمنا أن الإيثر ينتج من تعامل الكحول بحامض الكبريتيك بالتقطير واستخلاص قدر من الماء منه ، إذا أدركنا أنه من المحتمل جدا إن

---

[٣٠] خليل ، د . ياسين : الطب والصيدلة عند العرب بالأصل نقلا عن أحد تلامذة الأنطاكي : ذيل تذكرة أولي الألباب ، ص ٦٧ .

[٣١] الجاسر ، الدكتور محمد طه : التخدير والإنعاش في تاريخ الطب عند العرب – الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، حلب ، ١٩٧٦ .

لم يكن العرب هم أول من اكتشف هذه المادة الرئيسة في التخدير . فعلى الأقل يكونون هم توصلوا للقواعد الأولى في طريق اكتشافه .

وبذلك نختم بحثنا الذي توخينا فيه أمرين هامين :

الأمر الأول :استعراض جميع الأدوية المنومة والمخدرة التي استعملها الأطباء العرب والمسلمون أو كانوا على علم بها . وفتح الباب مشرعا أمام الباحثين وطلاب الصيدلة لكي يقوموا بتحليل ودراسة قسم من النباتات التي مر ذكرها والتي لم تبحث حتى اليوم فيطوروا بعضها ليستفيد منها المرضى من بني البشر .

الأمر الثاني : إن التقدم الهائل الذي نجده في مختلف فروع الطب (ومنها علم التخدير) اليوم لم يكن من نتاج الحضارة المعاصرة فحسب ، وإنما كان حصيلة خبرات وتجارب أجيال وأجيال من قوافل الأطباء على مر العصور ، وقد توخينا في بحثنا أن يكون دليلا متواضعا أخر يضاف الى الدراسات في كشف حقيقة الدور الريادي للأطباء العرب والمسلمين ووصل حاضرنا الطبي بماضينا ، بغية إشاعة الثقة في نفوس أجيالنا الجديدة من الأطباء في قدرتنا على تخطي ما نحن فيه من التبعية العلمية ، واسترداد دورنا الريادي الذي فقدناه من جديد إن شاء الله .

الكتـــابات الهيروغليفيـــة
أصنافها وحل رموزها

سالــم الآلوسـي

الملخص :

يتعرض البحث للكتابات الهيروغليفية والعثور عليهـا وحـل رموزهـا والوصول الى معلومات مهمة في وسائل الكتابة وتأريخ الذين اسـتعملوها ، فضلا عن المقارنات التي جاءت في البحث لتلقي الضوء على هذا النوع من الكتابات القديمة .

المبحــث الأول

أولا : تمهيد[1] :

درج علماء التاريخ والآثار على تقسيم الأزمان والعصور التي مرّت على الإنسان بعصور ما قبل التـاريخ Pre – historic Periods والعـصـور التاريخيـة ، وكـان الحـد الفاصل بينهما هو توصل الإنسان الى الكتابة .

---

[1] في الآتي مختصرات المراجع المعتمدة في هذا البحث، فيرجى ملاحظة ذلك .

مقدمة = مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . لطه باقر (جزءان)

تاريخ العلم = لجورج سارتون .

موسوعة = موسوعة علم الاثار . تاليف، كلين دانيال .

Encyclopaedia Britannica = E.B.

The Concised Encyclopaedia of Archaeology = C.E.A

Early Anatolic = E.A.

Hittites = Hit

Sumer = مجلة سومر الاثارية . التي تصدرها دائرة الاثار العامة .

وقد ظهرت الكتابة في العراق القديم ، التي أطلق عليها اسم ((الكتابة المسمارية Cuneiform Inscription)) وعدّها العلماء أقدم نظام كتابة معروف حتى اليوم ، ومن ارض العراق القديم انتشرت الكتابة الى انحاء الشرق الأدنى القديم ، الى إيران والأناضول وبلاد الشام ومصر . ثم اهتدى الإنسان في مصر القديمة الى اختراع الكتابة والنقوش الهيروغليفية ، وبهذا الاختراع بدأت الحضارة تأخذ اشكالها الواضحة في ربوع الشرق الأدنى القديم ، ولم يلبث نظام الكتابة الهيروغليفية ان انتشر من مصر الى بلاد الشام واقليم الاناضول ، حيث استعمله الحيثيون فعرف بالهيروغليفية الحيثية Hittite hieroglyphs ، كما شاع استعماله في بلاد الشام ولاسيما في منطقة حماة ونواحيها فسمي بالهيروغليفية الحموية (Hama Hieroglyphs) ولا علاقة لهذه بالهيروغليفية المصرية إلاّ بشكلها .

ثانيا ـ الهيروغليفية في الاصطلاح :

الهيروغليف مصطلح شائع الاستعمال على نطاق واسع في المأثورات والأدبيات التاريخية والآثارية ، ويطلق بدون تمييز على أي نظام من أنظمة الكتابات والخطوط الصورية Pictographs ، أي تلك التي تكون على هيئة رسوم وصور .

والهيروغليف كلمة اغريقية قديمة جاءت بشكل (Hieroglaphika grammata) ، وهيروغليف مركّبة من مقطعين (هيروس Hieros بمعنى مقدس ، وغليفين glyphin) بمعنى حفر او نقش على الحجر . وعلى هذا يكون معنى هيروغليف الحفر او النحت او النقش المقدس Sacred carving ، وبكلمة أخرى ان هذا المصطلح له

دلالات دينية وقدسية ، وهو ترجمة اغريقية للكلمة المصرية القديمة التي تعني ((كلمات وأقوال الرب God's word's))[٢] التي كانت شائعة الاستعمال في العصور الأولى التي ازدهرت فيها العلاقات بين بلاد الاغريق ومصر القديمة ، أي مصر الفرعونية ، وذلك لتمييز النمط الأقدم من الهيروغليفية عن نمط الكتابة اليدوية المعروفة بـ (الديموطيقية Demotic) .

وفي العصر الحديث طغى استعمال مصطلح الهيروغليفية على أنواع الكتابات الصورية Pictographic وأنماطها الأخرى التي كشفت عنها التنقيبات الآثارية ، وعمل علماء الآثار على تصنيفها مثل : الهيروغليفية الحيثية Hitto – hieroglyphs ، والهيروغليفية المایاوية Mayan في أمريكة الوسطى ، والهيروغليفية الميروائية Meroeitic [٣] في بلاد النوبة ، والكتابات والخطوط الكريتية Creetan نسبة الى جزيرة كريت في البحر الأبيض المتوسط . إن نسبة هذه الخطوط وتسميتها بالهيروغليفية لا تعني ان لها اية صلةٍ بالهيروغليفية المصرية ، فهو مصطلح عام ، فإن وجدت هذه الصلة فهي صلة اشتقاق او اقتباس عن الكتابة المصرية المستخدمة في الخطوط الميروائية التي كانت مستعملة في نواحي بلاد النوبة وبلاد اثيوبيا (الحبشة) . حيث تم العثور على المئات والآلاف من النصوص المدونة بالهيروغليفية في مصر والسودان وبلاد الحبشة وغيرها .

---

[٢] E.B مادة (Hieroglyphy) ، والمقدمة ج٢ / ص ١٢٢ .

[٣] نسبة الى مدينة (ميروا Meroe) التي كانت عاصمة المملكة الاثيوبية في بلاد النوبة ، وتقع أطلال هذه المدينة على الضفة الشرقية لنهر النيل ، شمالي الخرطوم بمسافة (١٣٠) ميلا .

وهناك من الحقائق ما يشير الى ان قدماء المصريين الذين كانت لهم علاقات مع سكان وادي الرافدين القدماء ، قد اقتبسوا أسلوب الكتابة الصورية من السومريين ، وقد يكون هذا الأمر ممكنا وان كان أسلوب هاتين الكتابتين تختلف الواحدة عن الأخرى في استعمال العلامات المؤدية الى المعاني – أي العلامات الدالة determinative Signs وقد تطورت كل منهما بشكل مستقل ، فتحولت الكتابة المسمارية الصورية السومرية الى كتابات رمزية Ideogram وبقيت الهيروغليفية على هيئتها الصورية .

ثالثا – بواكير محاولة فك رموز الهيروغليفية :

قبل عام ١٨٠٠ جرت عدة محاولات لفك رموز هذه الكتابة ، ولم يكتب لها التوفيق والنجاح ، فقد اعتقد القائمون على هذه المحاولات بأن تلك النقوش والصور كانت تمثّل رموزا وعلامات غامضة Mistic Symbols ، وبمرور الزمن لم تلبث هذه التصورات والأفكار التي شاعت في العصور الوسطى ، بالضمور والاختفاء حتى تم العثور على (حجر رشيد Rosetta) من قبل العساكر الفرنسية في مدينة رشيد في دلتا مصر الغربية عام ١٧٩٨ ، وكان هذا الحجر قد نُقش بثلاث لغات هي: ١- المصرية الهيروغليفية ، ٢- الديموطيقية ، ٣- الإغريقية القديمة . وقد شغل اهتمامات العلماء والآثاريين في اوربا ، وحاولوا حلّ رموزها .

وكان العالم الالماني (اثاناسيوس كيرشر Athanasius Kircher) ١٦٠٢ – ١٦٨٠ الذي تمكن من الوصول الى معرفة علامة واحدة صحيحة . (تراجع دائرة المعارف البريطانية طبعة سنة ٢٠٠٨ E.B. 2008) .

ثم جاء عام ١٨٠٢ لينهض بالمهمة عدد من العلماء الذين عكفوا على دراستها وفكّ طلاسمها ، فتوصل الى ذلك كل من المستشرق الفرنسي الشهير (سلفستر دي ساسي A.I.Silvester de Sacy) والدبلوماسي السويدي (يوهان ديفيد اكربلاد Johan David Akerblad) وكانت المحاولة بداية تتركز في إجراء مقارنة بين عدد من أسماء الأعلام الواردة في النص المدوّن بالديموطيقية ، ذلك عن طريق مقابلتها مع الأسماء الإغريقية ، وقد تمكن (اكربلاد) ان يحقق نجاحا في تصحيح قراءة القيم الصوتية لعدد من العلامات الديموطيقية .

ولا بدَّ لنا قبل الخوض في تفصيلات حلّ رموز الهيروغليفية من ان نذكر بشيء من الإيجاز ، انه عند دراسة الخطوط والكتابات في حضارة وادي النيل ، شخّص العلماء ثلاثة أنواع متميزة من هذه الخطوط ، وهي حسب ظهورها التاريخي [٤] مع تعريف موجز بها .

١. الخط الهيروغليفي Hieroglyphic .
٢. الخط الهيراطيقي Hieratic .
٣. الخط الديموطيقي Demotic .

١. الخط الهيروغليفي :

هو الخط المقدس الذي كان أقدم الخطوط المصرية القديمة ، وقد ظلّ في الاستعمال منذ أقدم أطواره من ٢٩٠٠ ـ ١٠٠ قبل الميلاد ، وبطل استعماله نهائيا في القرن الثالث الميلادي . وقد بقي هذا الخط محافظا على شكله الصوري وعلاماته الشبيهة بالصور ، واقتصر استعماله على تدوين ونقش

---

[٤] المقدمة ، ج ـ ٢ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

المآثر والكتابات المقدسة في المعابد والقبور والنصب والتماثيل والمعالم العمرانية الأخرى . والعادة المتبعة في تنظيم هذا الخط الهيروغليفي انه يكتب بحقول متوازية عمودية ، تبدأ قراءتها من اليمين ، ومن الممكن كتابته ايضا بهيئة معكوسة بصورة أفقية من اليسار الى اليمين ، وهي الطريقة المستعملة اليوم عند الباحثين المحدثين ، لملائمة ذلك للحروف اللاتينية .

٢. الخط الهيراطيقي :

ومعناه خط او كتابة الكهنة ، وهذا المصطلح ينحدر عن لفظة (هيراتيكوس Hieraticus) الإغريقية ومعناها الكهنوتي لأن رجال الدين ـ أي الكهنة ـ كانوا يضطلعون بتحرير الكتابات والنصوص التي تقع ضمن واجباتهم ومسؤولياتهم الكهنوتية ، ومنشؤه التاريخي جاء من تبسيط الخط الهيروغليفي واختصاره . وقد إستعمل منذ عهد السلالتين الخامسة والسادسة نحو ١٩٠٠ قبل الميلاد . واستعمل كذلك في كتابة العقود والصكوك والمصالح العامة والآداب والمعارف العامة .

٣. الخط الديموطيقي :

ومعناه خط عامة الناس ـ العامة ـ ومنشؤه جاء من تبسيط الخط الهيراطيقي ، حيث باشر الكتبة المصريون باستعماله في نهاية عهد السلالة الثانية والعشرين ، وفي عهد السلالة السادسة والعشرين في الأزمنة الآتية : (٩٤٧ ق.م ، ٦٦٣ ق. م ، ٥٢٥ ق.م) وقد استعمل هذا الخط في كتابته على الحجر وأوراق البردي ((البابيروس Papyrus)) وكان يكتب بشكل أفقي من اليمين الى اليسار . ونتيجة لمواصلة دراسة هذه الخطوط المصرية نشأ مصطلح ((علم المصريات)) المعروف في المعجمات والموسوعات

والمصادر الغربية بـ (ايجيبتولوجيا Egyptology) وذلك منذ عام ١٨٥٨[٥] وقد بدأت هذه الدراسات بالحملة العسكرية الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨ الذي احضر معه طائفة من العلماء من مختلف الاختصاصات وكانت مهمتهم القيام بدراسة مختلف نواحي الحضارة المصرية ، قديمها وحديثها ، فأنشأوا المجمع العلمي المصري Institute d'Egypt ، وكانت ثمرة هذه الحملة وضع الموسوعة الشهيرة ((وصف مصر Egypt d' Description)) وتعدّ هذه الموسوعة اولى الدعامات التي فتحت الابواب لهذا العلم .

واستكمالا لموضوع الخطوط المصرية ، نعرّج على مصطلح آخر ذي صلة بها : هو مصطلح اللغة القبطية .

اللغة القبطية :[٦] Coptic :

مصطلح (قبط Copt) لفظة أوربية تحوّرت عن الكلمة العربية نفسها أي القبط ، التي وردت في القرآن الكريم بصيغة ال ((جبت)) في الآية ــ ٥١ من سورة النساء . ((ألَمْ تَرَ الى الذين أُوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجِبت والطاغوت)) . وحول تفسير هذه الآية يقول الشيخ حسنين محمد مخلوف في تفسيره : ((الجبت في الأصل اسم صنم واستعمل في كل معبود غير الله تعالى))[٧].

---

[٥] The shorter Oxford English Dictionary .

[٦] عن C.E.A,P. 194 (مادة Coptic) .

[٧] صفوة البيان لمعاني القرآن ص ١١٨ . الكويت ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .

ولفظة (قبط) انحدرت بدورها عن الكلمة الإغريقية (إيجيبتوس Egyptus) التي اقتبسها العرب الفاتحون لمصر عام ٦٣٩م . وكانت كلمة (قبط) تطلق على كل من لا يتكلم الإغريقية في القطر المصري ـ أي لغة عامة الناس ـ التي سميت بالقبطيةCoptic ، وكانت أفضل وآخر لغة مصرية قديمة شائعة ومفهومة في ذلك الوقت . وفي أواخر القرن السادس عشر للميلاد بدأ الضعف والانحلال يدبّ الى اللغة القبطيّة فأدّى ذلك الى ان تحل اللغة العربية محلها ، وهي العربية التي يتكلم بها الشعب المصري اليوم ، ومع ذلك فإن القبطية بقيت قائمة ومستعملة في نمط من أنماط اللهجة البحيرية Buhairic dialect باعتبارها لغة الطقوس الدينية Liturigical السائدة لدى المسيحيين التابعين للكنيسة القبطية التي تدين بمذهب الطبيعة الواحدة Monophisite يضاف الى ما تقدم ان معرفة اللغة القبطية لم تمت فهي حية باقية عند علماء المصريات Egyptologists من الغربيين والشرقيين ، ويتجلى هذا الامر في الجهود والأعمال المعجمية Lexographic والقواعدية تجسّدت في مؤلفات أولئك العلماء التي ما تزال متواصلة في دراستها وفك رموزها ، وكان لحجر رشيد الدافع الأكبر وما تم الكشف عنه من نصوص ، من الأسباب المؤدية الى تطور علم المصريات ، فما هو هذا الحجر المشهور في تاريخ الحضارة البشرية ؟

انه حجر رشيد Rosetta Stone [٨].

لهذا الحجر او النقش أهمية عظيمة في تاريخ علم الآثار عامة وتاريخ الحضارة المصرية خاصة ، وكذلك ما يتصل بفك رموز الخطوط والكتابات القديمة في الشرق الأدنى القديم ، وقصة هذا الحجر وحل رموزه تتصف بالإثارة والرغبة في الوقوف على محتوياته وكيفية العثور عليه .

في عام ١٧٩٨ بينما كان الجنود الفرنسيون ، من جنود حملة نابليون على مصر ، يهدمون بيتا في مدينة رشيد الواقعة قريبا من ابي قير في دلتا النيل الغربية ، لاقامة تحصينات (سنت جولين) عثروا على لوح من حجر البازلت Basalt الاسود ، كان مثبتا في حائط ، وعليه نقوش وكتابات ، وعلى اثر ذلك أدرك الضابط المدفعي المشرف على العمل واسمه (بوسار Bousard) أهمية هذا الاكتشاف الذي أطلق عليه اسم ((حجر رشيد)) فنقل عام ١٧٩٩ الى القاهرة لفحصه من قبل العلماء الذين رافقوا الحملة ، فأمر نابليون ان تعمل من اللوح نسخ عديدة لتزويد العلماء الأوربيين عسى ان يتمكنوا من فكّ رموز النقوش والكتابات المنقوشة عليه .

كان حجر رشيد في حيازة الفرنسيين ، ثم منح هذا الأثر الثمين الى الانكليز بموجب احدى الفقرات في معاهدة الإسكندرية التي عقدت بين الانكليز والفرنسيين سنة ١٨٠٢ ، فاستقر هذا الحجر مع آثار أخرى في إحدى قاعات المتحف البريطاني بلندن وما زال حتى اليوم .

---

[٨] تراجع مادة (حجر رشيد) في :

(١) C.E.A ، (٢) المقدمة ، ص ١٢٥ .

فك رموز حجر رشيد :

أظهرت الدراسات ان حجر رشيد كان يمثّل جـزءا مـن مـسلة حجـر البازلت ، ومساحته ٤٥ × ٣٠ بوصة (= ١١٥ × ٧٧ سـم) ، والحجـر منقوش بثلاثة خطوط مختلفة ، وبلغتين ، والخطوط تتألف من :

١. الخط الهيروغليفي ١٤ سطرا ويسمى الهيراطيقي ومعناه الكهنوتي .
٢. الخط الديموطيقي ٣٢ سطرا ويعني الكتابة الشعبية .
٣. الخط الاغريقي القديم ٥٤ سطرا .

والواقـع ان الخطـين الهيروغليفـي (الهيراطيقـي) والـديموطيقي استخدما لكتابة لغـة مـصر القديمـة ، ومـن هنـا تبـرز اهميـة هـذه الكتابـات ، وكـان الخـط الإغريقـي اول الخطـوط التـي تـمّ حلهـا ، وتبين من ذلك ان المسلة البازلتيـة كانـت اقيمـت بقـرار صـادر مـن مجلس كهنـة مـصر فـي مدينـة ممفـيس Memphis لتخليـد ذكـرى اعتلاء بطليموس الخامس (أبيفانس Epiphanes) ملك مصر من البطالـسة (البطالمة) Ptolemies ، وقد تمّ هذا الحادث عـام ١٩٦ قبـل المـيلاد ، حيث أوجب تسجيله بلغة اليونان (الإغريق) ولغـة عامـة المـصريين أي باللغة الديموطيقية ، وبلغة الكهنة الهيروغليفية ، وكـان الـنص الاغريقـي ترجمة للنصين المصريين .

ويقول المؤرخ جورج سارتون : واذا نظرنا الى هذه الخطوط وتنوعهـا يتبين لنا ، ان الكتابة الهيروغليفية القديمة أصبحت صعبة وغيـر طبيعيـة ، وهكذا نشأ بالتدريج خط جديد أسهل واقلّ زوايا يعرف بـ (هيراطيقي) في حوالي ١٩٠٠ قبل الميلاد ، فحلّ محلّه نوع آخر من الكتابة المختزلة تعرف

بالخط والكتابة الديموطيقية ، أي الشعبية ، وذلك حين أخذت الكتابة بين الناس بالتوسع والانتشار ، أي منذ حوالي ٤٠٠ قبل الميلاد [٩].

وفي عام ١٩١٣ اصدر عالم الآثار البريطاني (السر واليس بودج E.A.Wallis Budge) كراسا عن حجر رشيد بعنوان : The Rosetta .

لم تتوقف الدراسات عن الهيروغليفية بل تواصلت خلال القرن الثامن عشر ، فقد اعتقد جمهرة من الباحثين في هذا الميدان ان العلامات التي كانت بيضوية الشكل Oval او تلك التي على هيئة الخرطوشة التي يكثر وجودها في هذه الكتابات كانت تتضمن أسماء أعلام .

فقد لاحظ العلماء ان حجر رشيد نقش خمس مرات بهذه العلامة أي بخمس خرطوشات تتضمن نفس الاسم ، فما هي الخرطوشة ؟ .

الخرطوشة Chartoushe[١٠] :

يتردد مصطلح الخرطوشة كثيرا في تاريخ الكتابات الهيروغليفية المصرية ، واللفظة مشتقة من الفرنسية وتعني لوحة لنقش الكتابات ، وقد أطلقت هذه العلامات ذوات الشكل البيضوي من الكتابات والنصوص الهيروغليفية ، وتتألف العلامة من مقطعين ، الأول يحتوي على الاسم nomen ، والثاني على اللقب Prenomen للفراعنة المصريين ، ودلالة الخرطوشة يكتنفها الغموض Obscure . وقد رسمت الخرطوشة في الكتابات الهيروغليفية على هيئة حبل غليظ السمك مضاعف في نهايته ، وقد تطور

---

[٩] سارتون ، جـ ١ ، ص ٨٥ .

[١٠] تراجع : C.E.A. , P. 127 .

بهذا الشكل منذ زمن قديم ، يضاف الى ذلك ان العلامة نفسها استخدمت في كتابة الفعل يغلق enclose ، ومما لا شكَّ فيه انها تعني السلطة الدينية لفراعنة مصر جميعا ، وفي حجر رشيد توجد خرطوشة واحدة تكررت خمس مرات ، تتضمن الاسم نفسه ، وقد تمَّ تشخيص اسم بطليموس Ptolemy في هذه الخرطوشات .

ان تطور الدراسات في علم المصريات لم يقتصر على حجر رشيد وانما على نص آخر مكتوب بلغتين على ظهر مسلة من الحجر عثر عليها في موقع (فيله) . وكان الطبيب الانكليزي الدكتور (توماس يونغ Thomas Young) أول من مهدَّ السبيل الى حلّ رموز هذه اللغة ، فقد عكف على دراسة هذه العلامات والخرطوشات المنقوشة في نصوص وكتابات هيروغليفية مصرية اخرى وتوصل الى ان خمسا من القيم الصوتية للعلامات التي تمَّ تشخيصها بصورة صحيحة هي الحروف : پ = P ، ت = T ، آي = i ، م = m ، وإي = e التي يتشكل منها اسم بطولمي Ptolmy ، وبعد ان انجز دراسته عام ١٨١٩ قدمها للفحص والتقييم ، وقد نشرت هذه الدراسة في دائرة المعارف البريطانية .E.B الصادرة في سنة ١٨٢٤ [١١].

تلك كانت محاولات وجهود كبيرة تذكر وتسجل بالشكر والثناء لاولئك العلماء الافذاذ الذين اقتحموا هذا الميدان الوعر ، إلاّ ان النتائج النهائية الفاصلة التي تمَّ الوصول اليها واستقرت على دعائم ثابتة ، تعود الى العالم الفرنسي الشاب (جان فرانسوا شامبليون Jean Francoi Champollion

---

[١١] عن : E.B., 1973 .

(1790 – 1832)) ، وقد لقب بالشاب (لوجون Lejeuen) تمييزا عن شقيقه الاكبر جاك جوزيف شامبليون .

يعدُّ شامبليون أول عالم فرنسي تمكن من قراءة النصوص الكاملة وتفسيرها بصورة واضحة وسريعة وكان بعضها طويلا ، كما قام فضلا عن قراءة اسماء الاعلام بدراسة حجر رشيد بصورة كاملة ودقيقة ، قارن فيها مختلف العلامات والصيغ Versions المقترحة ، علامة من بين تلك العلامات المختلفة ، وعلى الرغم من هذا الجهد المميز ، لم يكتف بذلك بل اعدَّ لهذا الغرض قائمة بالعلامات المتشابهة ، ومن خلال ذلك اثبت بالبرهان ان الكتابة الديموطيقية تطورت عن الهيراطيقية التي توصل الى معرفتها بعد ان توفرت لديه نصوص من كتابات ووثائق اخرى ، وان الهيراطيقية بدورها تطورت عن الهيروغليفية .

لم تتوقف اعمال شامبليون وجهوده في هذا المضمار ، بل تواصلت بهمة ونشاط ، فقد توفق في الحصول على نسخة من مسلة عليها نقوش وكتابات باللغتين الهيروغليفية والاغريقية ، ومن خلال دراسته عثر على اسم (كليوباترا Cleopatra) مكتوبا بشكل صحيح وكان قد عيّنه وشخّصه سابقا ، وبكلمة اخرى اعاد تركيبه reconstructed ، مقارنا تهجئة اسمي (بطولمي) و (كليوباترا) لوجود حروف متشابهة في هذين الاسمين هي : P,T,O,E, L ، وقد تمكن شامبليون ، ليس فقط من تشخيص العلامات الهيروغليفية ولاسيما النصين اللذين يحتويان على الحرف (ت – T) ، بل على العلامات الاخرى الموجودة في الخرطوشتين ، ومضى شامبليون مواظبا على اعماله ، على الرغم من عدم قناعته بصحة حلّ بعض الكلمات

والالفاظ الغريبة كالاغريقية والرومانية بشكل دقيق ومضبوط ، وذلك قياسا على الدراسات المتأخرة ، وان كانت متقاربة في كثير من الاحيان .

وما ان حلَّ عام ١٨٢٢ ، وكان عاما حافلا بالبشائر ، حتى حصل شامبليون على نسخ من الكتابات الهيروغليفية تعود الى عهد اقدم ، من بينها خرطوشات تحتوي على اسماء الفراعنة (رمسيس Rameses) و (طحوطميس Thutmose) فشرع بالعمل مبتدأ بالالفبائية بكل دقة ومهارة ، ولمعرفته اللغة القبطية وحجر رشيد فقد حالفه التوفيق وحقق نجاحا باهرا في فك رموز هذه الكتابة ، ومن هنا تعالت شهرة شامبليون وذاع صيته في الاوساط العلمية والدوائر الاثارية والتاريخية ، بانه الرائد وصاحب الفضل في التوصل الى مفتاح اللغة القديمة نفسها ، وذلك استنادا الى القيم الصوتية في اسماء الاعلام الموجودة التي ساعدت على قراءة النصوص المصرية القديمة وفهمها . وبعد هذا الفتح العظيم والانجاز العلمي الخطير تقدم بالاعلان عن اكتشافاته هذه برسالة بعث بها الى العالم الفرنسي المسيو داسيه M.Dacier بتاريخ ١٨٢٢/٩/٢٢ يخبره فيها عن هذه الانجازات[١٢].

ويمكن ان نضيف معلومات اخرى عن الجهود المبذولة في هذا المجال ما قام به الآثاري الألماني (كارل ريجارد ليبسيوس Karl Richard Lepsius)

---

[١٢] جاءت بالشكل الاتي : champollio le jeune , letter a m.dacier relative al alphabet de Hieroglyphes phonetiques . (52pp.4plls) paris 1822 .
وترجمتها : ((رسالة الى السيد (داسيه) حول الفبائية الهيروغليفية الصائتة . (تتألف من ٥٢ صفحة واربع لوحات) ـ باريس ١٨٢٢ ـ (نقلا عن : تاريخ العلم لسارتون ، ج١ ، ص ٨٥) .

(١٨١٠ــ ١٨٨٤)[١٣] المتخصص بالدراسات المصرية والنوبية الذي زار مصر وبلاد النوبة وشبه جزيرة سيناء بمساعدة من ملك بروسيا فردريك الرابع ، من اجل إعداد دراسات علمية عن هذه الأقطار والأقاليم ، ففي عام ١٨٤٤ قام باجراء عمليات المسح الآثاري والهندسي في انحاء مصر ، ثم اعقبها بزيارة ثانية عام ١٨٦٦ ، وقد أثمرت جهوده في وضع موسوعة بعنوان : ((آثار مجهولة من مصر واثيوبيا Denkemoeler aus Agypt und Athiopia)) تتألف من (١٢ مجلدا) معززة بـ (٨٩٤) لوحة مصورة وخرائط ، وقد صدرت في الاعوام ١٨٤٩ ــ ١٨٥٩ .

وخلال وجوده في بلاد النوبة قام بدراسة اللغة النوبيّة فنشر قواعدها ، وكان يحدوه الامل ، وان كان ضعيفا ، في امكانية الوصول الى المفتاح لحل رموز الهيروغليفية الميروائية Meroitic وتنسب هذه الكتابة الى مدينة (ميروا Meroi) التي كانت عاصمة المملكة الاثيوبية ، ولاسيما ملوك (نباطا Napata) الذين حكموا من سنة ٧٠٠ الى ٣٠٠ قبل الميلاد . وتقع (ميروا) على الضفة الشرقية لنهر النيل شمالي الخرطوم بمسافة (١٣٠ ميلا) .

وفي زيارته مصر عام ١٨٦٦ اكتشف ليبسيوس الوثيقة المعروفة بـ (مرسوم كانا بوس Canapus decree) وهو نص ثنائي اللغة مدوّن باللغتين الاغريقية والهيروغليفية المصرية ، ويعدُّ هذا المرسوم من حيث الاهمية الاثارية والتاريخية في المرتبة الثانية لحجر رشيد .

* * *

---

[١٣] عن : C.E.A. [مادة Lepsius (K.R.)] .

المبحث الثاني

الهيروغليفية الحيثية Hieroglphic Hittite

الحيثيون Hittites من الاقوام الهندية ـ الاوربية التي نزحت من المناطق الواقعة جنوبي روسيا وجوار بحر قزوين . اسسوا لهم دولة في الاناضول في حدود ١٨٠٠ قبل الميلاد واستعملوا الخط المسماري واللغة البابلية ، على الرغم من لغتهم الخاصة ، في كتابة وثائقهم وتأثروا بآداب بلاد الرافدين واساطيرها وتشريعاتها . ولغة الحيثيين شبيهة بفروع مجموعة اللغات الهندية ـ الاوربية ، وتُعدُّ من الفروع القديمة من هذه المجموعة . ومن الباحثين من يرى ان اللغة الحيثية ، تؤلف مع مجموعة اللغات الهندية ـ الاوربية الأخرى كتلةً او مجموعة كبرى تحدرتا من أصل بدائي يصح ان يطلق عليه مصطلح (اللغات الهندية ـ الحيثي Indo – Hittite Languages)[١٤].

لقد دوّن الحيثيون مآثرهم بنوعين من الخطوط : (أ) الخط الهيروغليفي القديم ، (ب) خط مسماري مقتبس من الخط المسماري في العراق القديم في آن واحد . اما الخط الهيروغليفي الحثي فشكله صوري ، ولا علاقة له بالهيروغليفي المصري ، وكان مستعملا منذ سنة ١٥٠٠ حتى ٧٠٠ قبل الميلاد ، وكان الخط الحثي المسماري محدود الانتشار وقد اقتصر استعماله بالدرجة الاولى في (بوغازكوي Boghazkoy) وهي اطلال (حاتوشاش Hattusas) القديمة وما جاورها من المناطق الواقعة شرقي العاصمة أنقرة ، وقد اندثر هذا الخط من الاستعمال بنهاية الحيثيين في الأناضول بحدود

---

[١٤] المقدمة ، ج٢ ، ص ٣٥٦ .

١٢٠٠ قبل الميلاد ، في حين ان الخط الهيروغليفي الحثي ظل في الاستعمال الى حدود ٧٠٠ قبل الميلاد [١٥].

وفي أواسط القرن التاسع عشر الماضي عثر احد الرحالة في مدينة حماة Hamath السورية على قطع من الحجر منقوشة بالكتابات او النقوش كان الأهالي يتبركون بها ، وهي بحسب اعتقادهم تشفي المصابين بأمراض العيون ، وقد تبين فيما بعد انها كتابات بالخط الهيروغليفي الحثي ، وبتوالي الأيام وفي ضوء نتائج المكتشفات الاثارية ، تواصلت جهود العلماء ومحاولاتهم في فك رموزها ، فقد تمكن عالم المسماريات [الأب ارشيبالد هنري سايس (Rev. Sayce (A.H] . ١٨٤٥ ـ ١٩٣٣ من الوصول الى معرفة بعض العلامات وذلك خلال دراسته قطعة فريدة اكتسبت شهرة كبيرة في الدراسات الحيثية ، وهي عبارة عن فص خاتم نصف كروي مصنوع من الفضة ، عليه كتابة ثنائية اللغة بعلامات مسمارية وأخرى هيروغليفية ، عرف عند علماء الاثار بـ (خاتم تاركوندد يموس Boss of Tarkundemos) ، وعليه (١٠) علامات مسمارية و (٦) علامات هيروغليفية ، وقد أعدَّ الاب سايس بحثا عن هذا الخاتم ونشره عام ١٨٨٠ [١٦]. وقد اختلفت آراء علماء الاثار في الغرض منه .

وفي عام ١٨٩٩ عثرت هيئة التنقيب الألمانية في بابل برئاسة الدكتور (روبرت كولدوي Dr. Ropert Koldewey) على مسلة من الحجر عليها نقوش هيروغليفية ، وفي سنة ١٩٠٠ وضع عالم الحيثيات الألماني الدكتور

---

[١٥] المقدمة ، ج٢ ، ص ٣٥٦ .

[١٦] يراجع كتاب : Hittites , P.8 , 206 .

[ميسر شميدت (.Messerchmidt (L] أطلسا يضم طائفة مـن الكتابـات الهيروغليفية الحيثية ، ولم تتوقف الجهود واستمرت محاولات العلماء بفهـم هذه اللغة وفك رموزها ، ومن الآثار التي كشفت عنها رسالتان من الطين من رسائل العمارنة ، مدونتان بلغة غريبة وغير معروفة تولى دراسة الرسـالة الأولى عام ١٩٠٢ العالم النرويجـي [كنـودزن (Dr. Knudtzon (J.A ، وتبين له انها مدونة بلغة تنتمي الى مجموعة اللغات الهندية ــ الأوربية ، وقد قوبلت هذه الدراسة يومذاك بشيء من الريبة والشك في صحتها(١٧).

وقد نشطت عمليات التنقيب الآثاري في العشرات من المواقع الآثارية في الأناضول قبل الحرب الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) واستؤنفت بعدها حتـى قيام الحرب العالمية الثانية ، من قبل هيئات من مختلف الجنـسيات وكانـت حصيلة ذلك العثور على مجموعات كبيرة تعدّ بالألوف مدونة بالهيروغليفيـة الحيثية والمسمارية وبالبابلية ، عكف على دراستها جمهرة من العلماء غلـب عليهم الحماس والمنافسة لحيازة شرف الوصول الى نتائج علمية مرضية .

وكانوا يمثلون جنسيات مختلفة ، كان للعلماء الألمان والانكليـز الحـظ الأوفر في الميدان فاقتسموا العمل ، حيـث عكـف الألمـان علـى دراسـة النصوص الحيثية المدوّنة بالخط المسماري ، وانصرف الانكليز الى دراسـة الكتابات المدونة بالهيروغليفيـة ، فكانـت النتـائج عظيمـة جـراء هـذا التعاون العلمي .

ومنذ عام ١٩٣٠ وفي ضوء الاكتشافات الآثارية والعثور على مجـاميع كبيرة من الكتابات والنصوص الهيروغليفية تضاعف نـشاط العلمـاء فـي

---

(١٧) Hittits, P.5.8 .

الدراسة وفك رموز هذه الكتابات ، فتتوجت هذه الجهود بوضع قواعدها على أسس علمية ، وقد نهض لهذه المهمة الشاقة عدد من علماء اللغات القديمة يمثلون جنسيات مختلفة لدراسة الهيروغليفية الحيثية بصورة شاملة والتغلب على المشكلات التي وقفت امام من سبقهم من الباحثين ، ومن هؤلاء العلماء نذكر الاساتذة :

(١) فورير Forrer السويسري ، (٢) بوسيرت Bossert الالماني (٣) هروزني Hrozny الجيكي ، (٤) اغناس گيلب (I) Gelb الامريكي (٥) ميريجي Merriggi الايطالي[١٨]. ويمكن ان نضيف الى هذا الفريق العلامة (ألبرخت گوتزه Albrecht Goetze وهو من علماء المسماريات المشهورين ، أصله ألماني تجنس بالجنسية الأمريكية والتحق بجامعة (ييل Yale) وشغل كرسي علوم المسماريات والحيثيات فيها ، والدكتور (گوتزه) هو الذي ترجم قانون اشنونا المكتشف في تل حرمل ، من اللغة الاكدية الى الانكليزية[١٩] ، وعن الانكليزية نقله الى العربية الاستاذ طه باقر ، ونشر النصان الانكليزي والعربي في مجلة سومر[٢٠].

وقد أثمرت جهود هؤلاء العلماء الجهابذة وتعمقهم في دراسة فقه اللغة الحيثية بخطيها المسماري والهيروغليفي عن نتائج عظيمة وفي ضوء ذلك استقام مصطلح جديد عرف بـ (علم الحيثيات Hittitology) واستقر على اسسٍ ثابتة فأخذ مكانته في الموسوعات والمعاجم

---

(١٨) يراجع : Hittites , P.8 .

(١٩) SUMER, Vol.4 (1948) P. 36 – 102 .

(٢٠) سومر المجلد ـ ٤ (١٩٤٨) ص ١٥٣ ـ ١٧٣ .

بمختلف اللغات ، ومن العوامل التي عززت قيام هـذا المـصطلح ، العمـل العلمي الـذي أنجـزه العلامـة (هروزنـي) فـي كتابـه عـن قواعـد اللغة الحيثية(٢١) . الذي صدر بثلاثة مجلـدات بالفرنـسية فـي بـراغ فـي الأعوام ١٩٣٣ ـ ١٩٣٧ .

ومـن الاكتـشافات المهمـة التـي اضـافت معلومـات جديـدة الـى ((علم الحيثيات)) كانت الكتابات التي عثر عليها فـي موقـع (قـره تپـه Karatepe) في نواحي جبال طوروس ، يوم قام فريق من الآثاريين مـن جامعـة اسـطنبول برئاسـة الـدكتور (بوسـيرت) برفقـة الأسـتاذ [جامبل (H) Chambel] بجولة استطلاعية في اقليم (اطنه) بدلالة احـد مديري المدارس في المنطقة فاكتشفوا موقع (قره تپه) ، وقـد نـتج عـن التنقيبات فيه عن آثار حيثية غاية في الأهمية ، كان ذلك عام ١٩٤٥ . ومـن بين الآثار المكتشفة نصوص مدوّنة بلغتين : الأولـى كتابـة هيروغليفيـة ، والثانية كتابة كان يظن انها آرامية قديمة ، تبين بعد دراستها انها نص واحد بلغتين مختلفتين تعود الى القرن الثامن قبل الميلاد .

وقد اضطلع الأستاذ (بوسيرت) بدراسة الكتابة الأولى وكان عمله رائعا ومتكاملا . وظهر ان النص الثاني كان مـدونا بإحـدى اللهجـات الفينيقيـة

---

(٢١) Hrozny (B)

1. Les Inscriptions Hittites Hierogliphiques. Vols . I,II,III. Prague – 1933 -1937 .

٢. وقد سبق له ان نشر مقالا عن لغة الحيثيين بالالمانية بعنوان :

Die Lösung de Hiethitischen Problems.

في مجلة : Mitteilungen der Deutschen Orientgesellschaft. Vol. LVI : 17-50 (1915) .

(الكنعانية)[٢٢]. وكان هذا الاكتشاف ، الذي انتظره علماء الآثار طويلا ، مفتاحا إضافيا لفك رموز الهيروغليفية الحيثية [٢٣].

لقد كشفت الكتابات الفينيقية عن معلومات تاريخية مهمة عن سكان (قره تپه) الذين عرفوا بـ (الدانونيين Danunians) الذين ورد ذكرهم في المدونات الاشورية والمصرية [٢٤].

وعلى اثر هذه الاكتشافات والحصول على ثروات علمية عظيمة ضاعفت المؤسسات والدوائر الآثارية التركية جهودها في التحري والبحث وإجراء التنقيبات الواسعة بإشراف الدكتور (بوسيرت) والاثاري التركي الدكتور الكيم Alkim (B.) . فكانت حصيلة هذه الجهود العثور على آثار عظيمة في مقدمتها الكتابات والنصوص المدونة بالمسمارية البابلية ، وبالمسمارية الحيثية والهيروغليفية الحيثية والآرامية والفينيقية (الكنعانية) . وقد أغنت هذه المكتشفات الدراسات اللغوية الفيلولوجية والمقارنة وأمدتها بمعلومات كانت ثروة ومكسبا للعلماء العاملين في هذا الميدان ، ومصادر عظيمة للمكتبة الاثارية ، ويمكن القول أن هذه المكتشفات يمكن ان تقف الى جانب الآثار التي عثر عليها في أوغاريت (رأس شمرا) على الساحل السوري ، ولفائف قمران على البحر الميت في الأردن .

---

[٢٢] تراجع مقالاته في المصادر الاتية :

Bossert (H.T) :
Die phoenizisch – Hethitischen Bilinguen vom Karatepe .
1. Orins ; I, 163 – 192 (1948) , II, P. 72 – 120 (1949) .
2. Archiv Orienttalni ; XVIII, P.I – 38 (1950)

[٢٣] انظر : Earley Anatolia, P45 – 48 .

[٢٤] انظر : The Hittites, P. 42 , 43 .

نستخلص مما تقدم ان الخطوط والكتابات الهيروغليفية تتشابه في أشكالها الصورية وتختلف في لغاتها وبعض علاماتها المدونـــة بهـــا كالهيروغليفيـــة المصرية القديمة والميروائية والهيروغليفية الحموية والهيروغليفية الحيثيـــة ، والهيروغليفية الماياوية ، هذا ما عثر عليه العلماء في القرنين الماضيين ، وقد يفاجئنا المستقبل بنصوص وكتابات هيروغليفية في بقاع أخرى من العالم .

المصـــادر :

أ ــ العربية :

١. سارتون (جورج) :

تاريخ العلم ، الجزء الاول ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٦٣ .

٢. طه باقر :

مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ــ الجزء الثاني ــ بغداد ــ ١٩٥٦ .

٣. كلين دانيال : [ترجمة ليون يوسف] :

موسوعة علم الاثار (جزءان) سلسلة المأمون ــ بغداد ــ ١٩٩٠ .

٤. سومر : مجلة تصدرها دائرة الاثار العراقية .

ب ــ الاجنبية :

1. Encyclopaedia Britannica – 1973 . 2008 .
2. Gurney (Oliver R.) :
   The Hittites . (Pelican Books) , 2 nd Edition suffulk (U.K) – 1954 .
3. Kottrell (Leonard) :
   The Concised Encylopaedia of Archaeology . London – 1960 .
4. Lloyd (Seton) :
   Early Anatolia (Pelican Books) – London – 1956 .

سيكولوجية المال وإثرها في بنية الإفساد
مدخل سلوكي

الدكتور سالم محمد عبود
جامعــة بغــداد

الملخص :

مثلما هو الانسان فان المجتمعات والاوطان قد تصاب ببعض الظـواهر المرضية ذات الاعراض المختلفة والاسباب المتنوعة والاثـار المتـشعبة . وشاع منها ما يسمى بظاهرة الفساد حيث ارتبطت جذورها بالانسان وحركته والمجتمعات واختلفت أسماؤها ومسمياتها وانواعها واشكالها من زمن لاخـر ومن مجتمع لاخر حيث اصبحت ظاهرة عالمية الانتشار والاثار وقد كتبـت بذلك دراسات وبحوث ومقالات عديدة تسعى جميعها لتشخيص الظاهرة ومن ثم مكافحتها . وتتبلور مشكلة البحث من ان الفساد اصبح ظاهرة في مجتمعنا لم ينجُ من اثارها احد بل اثرت على برامج التنمية . ويمثل المدخل السلوكي والاخلاقي جوهر العملية . ولسايكلوجية المال تاثير مباشر على تنمية ظاهرة الافساد. واذا كان المال يشتري الوسائل فانه لا يشتري الغايات وان التجربـة المالية هي مظهر من مظاهر العمـق والاصـالة فـي سـايكلوجية الفـرد والجماعة . ويسعى البحث إلى تحقيق ما يأتي:-

١. دراسة سايكلوجية المال وماهية الفساد وبنيته .
٢. العلاقة التاثيرية لسيكولوجية المال في تكوين عناصر بنية الفساد .
٣. الاتجاهات القيمية والـسلوكية ودورهـا فـي معالجـة ظـاهرة الفـساد الاداري والمالي .

وتبرز أهمية البحث من خلال :

١. تحديد ماهية الفساد والعوامل التي تساعد في ظهوره وتنمية هذه الظاهرة وتحديد الاثار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاخلاقية لهذا المرض ذات التاثير الخطير على برامج التنمية ودراسة وتحليل سايكلوجية المال من خلال تحديد الوظائف الرئيسة للمال كوسيلة في شراء الوسائل واثرها في حركة الحياة . وتاثير سايكلوجية الفساد ومقومات البنية الفاعلة وبالتالي تحليل عناصرها من اجل ربط الاسباب بالمسببات . ونشر ثقافة الالتزام والمسؤولية الاجتماعية وتنمية نظم القيم وتفعيل دورها في الحد من ظاهرة الفساد والقضاء عليها . وتهيئة شبكة علاقات نزيهة بين الافراد والمؤسسات بما يمكن من المحافظة على حقوق الاخرين من دون الانحرافات السلوكية المرفوضة شرعا وقانونا .

وتوصل البحث الى مجموعة من التوصيات تمثل مدخلا عمليا من اجل بناء استراتيجية وطنية لمكافحة ظاهرة الفساد الاداري .

مشكلة البحث

مع تنوع ظاهرة الفساد واشكالها نجد هناك جوهرا محركا في بنية الظاهرة وهو المال كعنصر من عناصر الحركة واحد الوسائل ذات العلاقة بالاعتقاد والسلوك والحياة . واذا كان المال يشتري الوسائل ولا يشتري الغايات وان التجربة المالية هي مظهر من مظاهر العمق والاصالة في سايكلوجية الفرد والجماعة لذا فان المال يقع موقعا خاصا في حياتنا النفسية وذلك لارتباطه في الكثير من الدوافع و الميول والحاجات ، وعلى الرغم مما للمال من أهمية في الحياة قد يكون هو المشكلة وليس حلا وعلى الرغم مما

للمال من سايكلوجية مرتبطة باذهان الكثيرين من ايجابية والسعادة لاشباع حاجات انسانية بمستويات مختلفة .

نجد انه يحمل طابعا سليبا ومؤلما خصوصا عندما يساء استخدامه لذا نجد إن حالة الفساد وما زالت تدرس في ظواهرها والعوامل القريبة من دون التعمق في سايكلوجية الفساد والتاثيرات الخاصة بنظم المعايير والقيم والتصورات الاعتقادية والفلسفية في تكوين الجوانب السايكلوجية للمال كونها تمثل احد محركات بنية الفساد وخصوصا في ظل هوس الاثراء وامراض الثروة وما تنجم عنها من علاقات فاسدة وتحطيم كل القيم والعلاقات أو ما ينشأ عنها من انحرافات من اجل تحقيق تلك الامنيات الضالة .

هدف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق ما يأتي :-

١. دراسة سايكلوجية المال وماهية الفساد وبنيته .
٢. العلاقة التاثيرية لسايكلوجية المال في تكوين عناصر بنية الفساد .
٣. الاتجاهات القيمية والسلوكية ودورها في معالجة ظاهرة الفساد الاداري والمالي .

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية رئيسة مفادها أن الفساد لا ينشا في فراغ .. وان هناك علاقة تاثيرية بين سايكلوجية المال وبنية الافساد .

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث من خلال

١. تحديد ماهية الفساد والعوامل التي تساعد في ظهوره وتنمية هذه الظاهرة .

٢. تحديد الاثار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاخلاقية لهذا المرض ذات التاثير الخطير على برامج التنمية .
٣. دراسة وتحليل سايكلوجية المال من خلال تحديد الوظائف الرئيسة للمال كوسيلة في شراء الوسائل واثرها في حركة الحياة .
٤. تاثير سايكلوجية الفساد ومقومات البنية الفاعلة وبالتالي تحليل عناصرها من اجل ربط الاسباب بالمسببات .
٥. نشر ثقافة الالتزام والمسؤولية الاجتماعية وتنمية نظم القيم وتفعيل دورها في الحد من ظاهرة الفساد والقضاء عليها .
٦. تهيئة شبكة علاقات نزيهة بين الافراد والمؤسسات بما يمكن من المحافظة على حقوق الاخرين من دون الانحرافات السلوكية المرفوضة شرعا وقانونا

لذا سيتم تفسيم البحث إلى المحاور الاتية :-

١. تحديد مفهوم الفساد والاشكاليات والمعايير التي يستند اليها وانواعه .
٢. تحديد سايكلوجية المال والعوامل المؤثرة في تنمية الاتجاهات .
٣. العلاقة التاثيرية لسايكلوجية المال على بنية الفساد .
٤. اثر نظم القيم والاخلاق في مكافحة ظاهرة الفساد .

الاطار المفاهيمى لماهية الفساد

تنوعت المصادر والأدبيات التي تناولت مفهوم الفساد أو المعاني ذات العلاقة أو المتقابلة ويمكن عرضها ضمن الإطار ألمفاهيمي . وقد ترد كلمة الفساد حسب حالها وشكل وقوعها وتأثيرها وبيئة ظهورها وكلها تعني بشكل عام إخراج الشيء الصالح عن غايته والإخلال بالتوازن .

إن الحديث عن الفساد لا يخص مجتمعا بعينه أو دولة بذاتها وإنما هو ظاهرة عالمية تشكو منه جميع البلدان .

فهو ظاهرة خطيرة من ظواهر السلوك الإنساني التي أقلقت المجتمعات البشرية والحكومية منذ أقدم العصور ولا تزال هذه الظاهرة تشكل قلقا دائما لإدارة المؤسسات العامة والجهات المسؤولة وكل إفراد المجتمع ولقد اخفق الكثير من المحاولات لعلاجها ويرجع السبب في ذلك الإخفاق إلى حصر المكافحة بتوقيع العقوبات على الفاسدين والمنحرفين من دون البحث عن أسباب الفساد وطرق علاجها أو قد يكون بعض الكبار هو جزء من القضية .
لايوجد هناك تعريف واحد عام مقبول للفساد ، بل تنوعت زوايا تحديد المفاهيم من خلال رؤية للاسباب أو الاثار أو الحالة أو النتائج أو طبيعة المجال أو التخصص .

ولذلك أَنْتَجَت الأمم المتحدة مرشدا مفيدا يساعد في فهم مظاهر الفساد المتعدّدة . وهناك تعريفات عديدة للفساد منها .

- الانحراف الأخلاقي للمسؤولين في الحكومة والإدارة .
- التنازل عن أملاك الدولة من اجل مصالح شخصية .

أو هو سلوك منحرف عن الواجبات الرسمية من خلال تقديم المصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة من اجل الحصول على مكاسب مالية أو اجتماعية على الرغم من معرفته بأنه يرتكب جرما مخالفا للقانون .
ويمكن استعراض وبشكل عام ما تناولته البحوث والدراسات ومنها :

* الفساد هو فقدان السلطات القيمية وبالتالي إضعاف فاعلية عمليات الأجهزة الحكومية .

* وهو انحراف عن فوائد العمل الملزمة بموجب القوانين والأعراف .

- القصور القيمي عند الافراد الذي يجعلهم غير قادرين على تقديم الالتزامات الذاتية المجردة التي تخدم المصلحة العامة .
- تجاوز الموظف المختص في الدولة حدود وظيفته لمخالفته القوانين والانظمة المرعية ، بل التجاوز على القيم والأخلاق الكريمة لتحقيق مكاسب مادية غير مشروعة تقع تحت طائلة القانون مثل الاستيلاء على المال العام أو الأملاك الخاصة بالدولة من أراضٍ وعقارات وآليات وموجودات ، والتعاطي بالرشوة لقاء أنجاز معاملات رسمية .
- خيانة وسلوك غير أخلاقي وقانوني صادر بصورة خاصة عن شخص ذي سلطة .
- سلوك أشخاص متولين منصبا رسميا أو عاما أو موظفين عموميين منحرفين عن مسؤوليتهم ،مستخدمين مناصبهم لخدمة أهدافهم ومصالحهم الخاصة .
- أن الفساد يوجد أذا كان هناك نقص بصورة متعمدة عند اتخاذ القرار لغرض الحصول على منافع معينة .

وهكذا يتضح من المفاهيم السابقة أن الفساد الإداري والمالي عبارة عن سلوك إداري منحرف (سواء كان فرديا أو جماعيا) بالوظيفة العامة عن واجباتها وأهدافها المرسومة لاعتبارات شخصية ، وتفضيل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة وبدون وجه حق في ظل مخالفة القوانين والمعايير الاخلاقية السامية للمجتمع ، مع افتراض إن أهداف الجهاز الإداري الحكومي

هي ملبية لحاجات ومتطلبات وتطلعات موظفي هذه الأجهزة الحكومية ولا وجود من قصور لتبرير هذا الانحراف .

المعايير واشكالية مفهوم الفساد

من خلال المفاهيم المتنوعة نجد ان الاختلاف في تأطير او تحديد تعريف للفساد يمكن ارجاعه لاسباب عدة وكما يأتي ٤:

١. تعدد مجالات النشاط الانساني التي يمكن للفساد ان يستشري فيها ويتشابك .
٢. تتعدد الاشكال والمظاهر التي يتخذها الفساد في المجتمعات المختلفة.
٣. اختلاف التصور لمفهوم الفساد من بيئة الى اخرى فما تعتبره فسادا في بيئة قد يكون غير ذلك في بيئة اخرى .
٤. عدم وجود منهج موحد لدراسة هذه الظاهرة وبحثها حيث توجد مداخل متعددة في ضوء اسباب الفساد .
٥. اختلاف المرجعية القانونية والتشريعية والثقافية التي تعتمد لوضع معايير الفعل الفاسد من غيره .
٦. يتضمن الفساد الاداري اوجها متعددة لعلاقات مترابطة ومتداخلة منها ذو صلة بالجانب الاخلاقي او القانوني او السياسي او الاجتماعي او الانثربولوجي ولكل منها له مبرراته ومسوغاته .

من جانب اخر نجد ان هناك علاقة بين تأطير مفهوم الفساد والمعيار المعتمد في الحكم على السلوك الفاسد وهذا مما جعل هناك مداخل متعددة لرؤية الفساد والمعالجة واستكمالا لمدخل المفاهيم نجد ان من الضروري استعراض المعايير المعتمدة التي تحكم قاعدة التصور لماهية الفساد ومن ثم كأساس في بناء استراتيجية المعالجة والمكافحة . هناك اختلاف عن عدد هذه

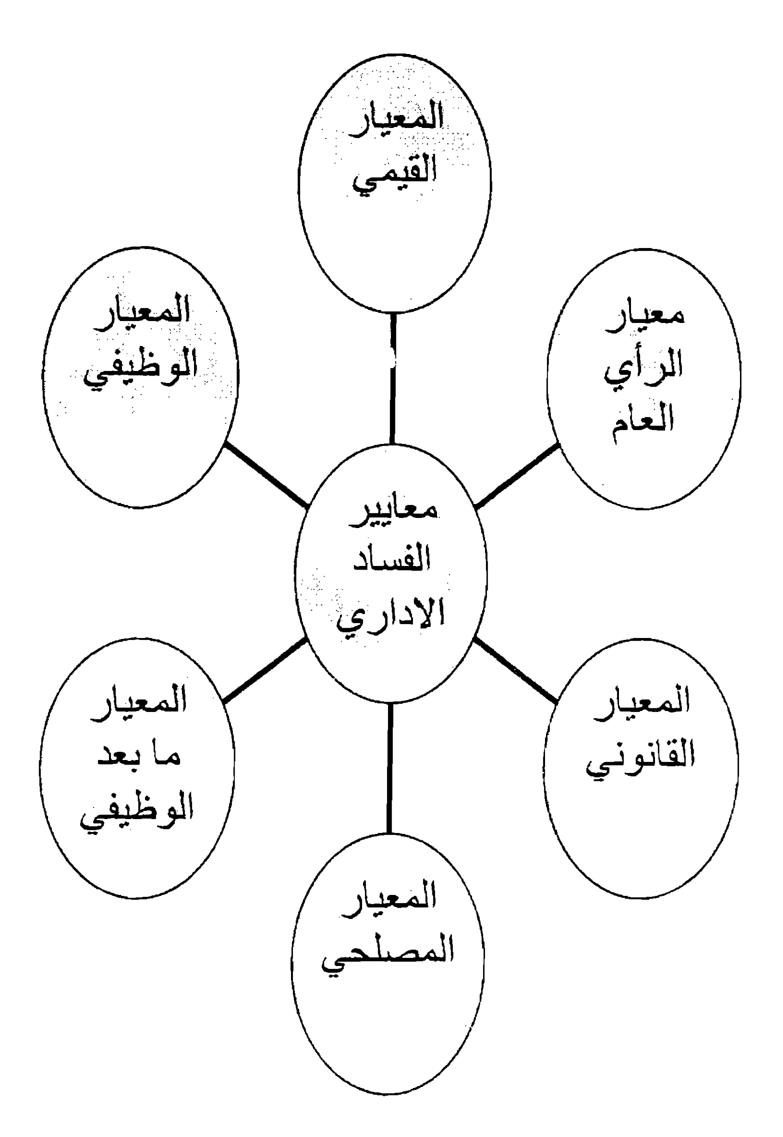
المعايير وقد تناولت إحدى الدراسات القيمة هذه المعايير ويمكن استعراضها باختصار وهي :

* **المعيار القيمي** : وهو معيار يؤكد النظام القيمي ويتمثل في فقدان السلطة القيمية وبالتالي اضعاف فاعلية الاجهزة الحكومية او بمعنى اخر يشكل الفساد شكلا من اشكال الخروج عن القيم السائدة في المجتمع .
* **المعيار الوظيفي** : ويعرف هذا ايضا بانه مدخل ذرائعي او يعتمد المنهج التبريري ، حيث يشكل هذا المعيار مؤشرا على ان الفساد هو انحراف عن قواعد العمل الملتزمة في الجهاز الاداري ويمثل ايضا خرقا للضوابط ، ويمثل الفساد هنا سلوكا اداريا غير رسمي بديلا للسلوك الاداري الرسمي قد تخدمه مجموعة ظروف منها العلاقات الاجتماعية .
* **المعيار ما بعد الوظيفي** : جاء هذا المعيار ردا على المعيار السابق من جانب واعتبار ان الوظيفة العامة ليست مسببا للفساد ولكن الفساد له وجود خارج الاطار الوظيفي حيث تاخذ بعض الممارسات الفردية طابعا نظاميا يسعى الى تكريس الفساد والاستمرار به وليس التفاني الذاتي مع حركة تقدم المجتمع .
* **المعيار القانوني** : ويجد هذا المعيار ان الفساد يكون في حدود ماهو خرق للقوانين والتعليمات والانظمة التي يستوجب مراعاتها وظيفيا ، لان اي خرق قد يهدف الى كسب من ورائه منفعة شخصية .
* **المعيار المصلحي** : ينطلق هذا المعيار في تحديد سلوك الفاسد في ضوء تقديمه مصلحته الشخصية على المصلحة العامة . حيث يقوم شخص

انيطت به رسميا مهمة الحفاظ علــــى المــصلحة العامـــة لكنــــه اســـاء استخدام المنصب .

* **معيار الرأي العام :** يعد هذا المعيار من المعايير الحديثة نسبيا وهو معيار نسبي للفساد جاء ليتجنب الانتقادات الموجهة الى المعايير السابقة وهـــذا المعيار يجد ان الفساد يحدد من خلال ثلاثة تعاريف خاصة هي :

- **الفساد الابيض :** وهو ذلك السلوك الذي يتغاضى عنه الجمهور ولا يميلون الى معاقبة مرتكبيه .
- **الفساد الاسود :** هو ذاك السلوك الذي يتفق عليه الجمهور في ادانته وضرورة معاقبة مرتكبيه وهذا يقع بين تلك الاراء وليس عليه اتفاق .



مخطط وصفي لمعايير الفساد الاداري والمالي

خصائص منظومة الفساد :

يتصف الفساد بالخصائص الآتية :

١. السرية : إذ عادة ما تكون أفعال الفساد وترتيباته وإجراءاته ومفاوضاته واتفاقاته تتم بشكل سري وفي طي الكتمان .

٢. تعدد الإطراف : حيث يشترك عادة اكثرمن طرف في عملية الفساد بينهما منافع متبادلة تجمع إطراف صفقة الفساد .

٣. الالتزام المتبادل : بمعنى إن يكون هناك مصلحة مشتركة بين إطراف الفساد ويحقق كل منهم منافع بالمخالفة للقانون .

٤. التمويه : نظرا لان هناك علاقة وثيقة بين الفساد والاحتيال فان الفساد ينطوي على التمويه والإخفاء والتعتيم على الأنشطة التي يقوم بها كل من يرتكب أفعال الفساد وسلوكياته .

٥. خيانة الثقة : إذ ينطوي الفساد على الخيانة في الثقة التي يفترض إن تكون متوافرة في المستوى أو صاحب السلطة العامة ،

٦. التناقض : ويقصد بذلك حدوث تناقض بين الأدوارفي الحياة العامة والأدوار في الحياة الخاصة لمرتكبي الفساد .

٧. الخديعة والتحايل : حيث يتضمن الفساد أفعالا احتيالية ومخادعة لا تعبر عن الحقيقة واصطناع الأوراق والمستندات غير الحقيقية والالتفاف من حول القواعد والضوابط واللوائح لتحقيق المكاسب غير المشروعة .

٨. الشمول : يتصف الفساد بأنه يشمل أولئك الباحثين عن مصالح أو موافقات أو قرارات محددة وأولئك الذين يمكنهم التأثير على هذه القرارات.

٩. سلوك منحرف : حيث يعتبر الفساد سلوكا غير سوي يحدث لمخالفة

القوانين واللوائح والضوابط والأخلاق القويمة ، وهو ما نعبر عنه أيضا بأنه فعل إجرامي يمثل جريمة يعاقب عليها القانون.

١٠.الإخلال بالواجبات والمسؤوليات : إذ يعبر الفساد عن انتهاك الواجبات والمسؤوليات المتعلقة بأداء الإعمال وخرق القوانين واللوائح والتعليمات وعدم الالتزام بإحكامها بدقة .

١١.تحقيق مصلحة خاصة على حساب المصلحة العامة .

١٢.الإضراربالمصالح الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية .

١٣.استغلال السلطة الوظيفية الحكومية أو العامة .

١٤.تعدد مظاهره : حيث تكون هناك مظاهر متعددة لشيوع الفساد مثل قبول الهدايا الثمينة مقابل أداء العمل أو العدوان على الملكية العامة والاستيلاء عليها مثل الاستيلاء على أراضٍ وممتلكات الدولة وبيعها للغير بلا وجه حق .

١٥.التفاعل مع الظروف والمتغيرات الداخلية والخارجية : حيث تساعد البيئة المحيطة على شيوع الفساد وانتشاره مثل الإهمال والفوضى والتسيب وغياب الرؤساء أو المراقبين ، وإهدار الوقت وتعطل الإعمال وضعف الإنتاجية والبطالة المقنعة وعدم تحديد الاختصاصات على نحو يؤدي إلى شيوع المسؤولية .

١٦.تباين أنماط الفساد : حيث تختلف أنماط الفساد تبعا لاختلاف الجهات التي يحدث فيها حيث يختلف نمط الفساد في المصانع الانتاجية عن نمط الفساد في الجهات الإدارية الحكومية كما تختلف عن نمط الفساد الذي يحدث في المؤسسات التعليمية أو في

مراكز البحوث ، ولكل قطاع طبيعته ونشاط نمطه من الفساد وهكذا .

١٧.اختلاف وسائل التستر على الفساد .

١٨.تعدد وسطاء الفساد : حيث يمكن إن يكون هناك وسطاء مجهولون لتسهيل التقاء إطراف الفساد الأصلية من دون إن يقابل احدهما الآخر وجها لوجه .

١٩.الارتباط بحالات الأزمات والكوارث .

٢٠.الارتباط بالتحضر والمدنية : حيث يقل الفساد في المجتمعات البدائية أو القبلية وذلك مقارنة بالفساد الذي يحدث في المجتمعات الحضرية أو الصناعية أو المدنية أو المعلوماتية ..

٢١.الارتباط بالحرية الاقتصادية والسياسية .

٢٢.الفساد المعولم : لم يعد الفساد محليا فقط بل امتد نطاقه ومجال عمله إلى الصعيد الدولي في ظل العولمة وإحكام منظمة التجارة العالمية وما ارتبط بها من إحكام تعزز العولمة المالية

العوامل والاسباب المؤثرة في بنية الفساد

هناك طائفة كبيرة من الاسباب التي تقف وراء شيوع هذه الظاهرة والتي من أهمها :

* **شيوع القوانين المعقدة وغير الواضحة** : والمعرضة للتغير باستمرار حيث يترعرع الفساد بظل الانظمة التي تغص بالقوانين غير الملائمة وغير الواضحة والمبالغ فيها والمعرضة دائما للتغير والتعديل اما التطبيق الضعيف للقوانين والانظمة فهو يشكل جانبا رئيسا من الفساد لأنه يخلق انظمة مزدوجة .

* **شيوع السياسات الحمائية** : ان حماية الصناعات المحلية من المنافسة الدولية تسمح برعاية الفساد لان القيود المفروضة على

الواردات تجعل تراخيص الاستيراد بالغة القيمة ويكون اصحاب المشروعات الخاصة على استعداد لدفع الرشاوى للحصول على الرخص .

* **انخفاض معدلات ألاجور في القطاع العام** : في اغلب الاحيان لايدفع الى موظفي القطاع العام في الدول النامية مايكفي لسد حاجاتهم اليومية مما يجعل قبول الرشوة والتعاطي بها المصدر الاساسي لكسب معاشهم .

* **ضعف العقوبات لردع المخالفين** : ينمو الفساد ويشتد في البيئات التي يعرف فيها المخالفون انهم في منأى عن العقاب و عندما يكون العقاب غير ملائم لردع الفساد .

* **غياب الشفافية والمسائلة** : ان غياب الشفافية والمسائلة تعد من بين الاسباب الهامة في ارتفاع مستويات الفساد ، وعندما يجد المواطنون انفسهم بلا آليات تمكنهم من مسائلة مسؤولي الحكومة سينتهي بهم الامر الى الانصياع لطلباتهم وسلوكياتهم الفاسدة .

* **الاسهامات السياسية غير المشروعة** : ان الفساد في العديد من الدول قد جاء نتيجة للتمويل غير القانوني الذي تحصل عليه الاحزاب السياسية سواء كان ذلك في البلدان النامية او الصناعية مثل فرنسا والمانيا وامريكا .

* **ضعف الحكومة أوتدني فعالية مؤسسات الدولة** : وهذا شائع في منطقتنا العربية مما افضى الى مزيد من الكوارث السياسية والعسكرية تمثلت بفساد السلطة والقمع السياسي واندلاع الحروب الاهلية والاقليمية فضلا عن الاختراق الاجنبي وفقدان السيادة .

* **ترابط الجريمة المنظمة والفساد على المستوى العالمي :** وذلك يعود الى التطور التقني وانتشار العولمة اللذين سهلا الاتصال ما بين منظمات الجريمة المنظمة خصوصا حول تبييض الاموال او الاتجار بالمخدرات وغيرها من الجرائم التي جاءت مع التطور .

كما يمكن لظاهرة الفساد أن تنمو وتتزايد بفعل عوامل اجتماعية ضاربة في بنية المجتمعات البشرية وتكوينها ونسق القيم السائدة ، إذ تلعب العادات والتقاليد الاجتماعية وسريانها دورا في نمو هذه الظاهرة أو اقتلاعها من جذورها وهذه العادات والتقاليد مرتبطة أيضا بالعلاقات القبلية السائدة في المجتمع كما أن التنظيم الإداري والمؤسسي له دور بارز في تقويم ظاهرة الفساد من خلال العمل على تفعيل النظام الإداري ووضع ضوابط مناسبة لعمل هذا النظام وتقوية الإطار المؤسسي المرتبط بخلق تعاون وتفاعل ايجابي بين الفرد والمجتمع والفرد والدولة استنادا إلى علاقة جدلية تربط بينهما على أساس ايجابي بناء يسهم في تنمية وخدمة المجتمع .

وهناك عامل آخر لا يقل أهمية عن العوامل السابقة يتمثل في غياب الثقة في تطبيق المثل الإنسانية. ومن زاوية اخرى تتعدد الأسباب المؤدية الى الفساد الإداري ، ويقسمها بعضهم إلى مجموعتين :

الاولى : أسباب بيئية اجتماعية خارجية . وتنقسم إلى :

ـ أسباب تربوية وسلوكية : بعدم الاهتمام بغرس القيم والأخلاق الدينية في نفوس الأطفال مما يؤدي إلى سلوكيات غير حميدة بقبول الرشوة وعدم المسؤولية وعدم احترام القانون .

ـ أسباب اقتصادية : يعاني أكثر الموظفين ـ خصوصا في الدول النامية ـ من نقص كبير في الرواتب والامتيازات مما يعني عدم القدرة على الوفاء بمتطلبات المعيشة ومن هنا يجد الموظف نفسه مضطرا الى تقبل الهدية (الرشوة) من المواطنين ليسد بها النقص المادي الناتج عن ضعف الرواتب .

ـ أسباب سياسية : تواجه بعض الدول وخصوصا في الدول النامية تغييرات في الحكومات والنظم الحاكمة فتنقلب من ديموقراطية إلى ديكتاتورية وبالعكس ، الأمر الذي يخلق جوا من عدم الاستقرار السياسي مما يهيئ الجو للفساد الإداري .

الثانية : أسباب بيئية داخلية (قانونية) : وقد يرجع الانحراف الإداري إلى سوء صياغة القوانين واللوائح المنظمة للعمل وذلك نتيجة لغموض مواد القوانين أو تضاربها في بعض الأحيان ، الأمر الذي يعطي الموظف فرصة للتهرب من تنفيذ القانون أو الذهاب إلى تفسيره بطريقته الخاصة التي قد تتعارض مع مصالح المواطنين .

العوامل التي تساعد على ظهور الفساد الاداري

تلتقي عدد من الادبيات في تحديد جملة من العوامل التي تساعد في ظهور الفساد وتنميته وانتشاره وهي :

* العوامل السياسية

يلعب النظام السياسي دورا رئيسا في تحفيز الفساد وخصوصا في ظل عدم الاستقرار واسلوب اشغال المواقع الوظيفية حيث تنحسر الكفاءة في الولاء للحاكم أو النظام أو تمكين الحزب أو السلطة من البقاء وهذا سيجعله في مأمن أو ليس اهلا لما هو عليه .

* العوامل الاجتماعية

بقدر ما تلعب المنظومة القيمية والموروثات الاجتماعية والثقافية المجتمعية من دور في بناء العلاقات وتنظيمها قد تكون في الوقت نفسه مدخلا وسببا جوهريا لظهور الفساد الاداري وخصوصا في ظل شيوع علاقات عشائرية او ارتباطات طائفية او عرقية في المجتمع تجعل من الموظفين يعملون باتجاه خدمتها اولا وان كان على حساب المصلحة المجسدة لاكبر عدد من السكان .

هنا تجسيد للسلوك المنحرف المسبب للفساد ليصبح الفساد سلوكا مقبولا والمفسدون لا يشعرون بالخجل بل ربما يكونون موضع ثناء وينعت هؤلاء المفسدون بصفات حميدة وعلى العكس من ذلك ينعت الموظفون النزيهون باوصاف غير لائقة حيث يعطي انتشار الفساد دلالات غياب اخلاقية المهنة اذ إن العلاقة بين اخلاقية المهنة والفساد علاقة عكسية ويقصد بالاخلاق السلوك المستند إلى مجموعة من القيم والتقاليد التي يتفق عليها افراد المجتمع ما هو خير وحق وعدل في تنظيم اعمالهم .

ويلعب الجهل دورا في خلق اللاوعي وانشاء البيئة التي تسهل في انتشار بعض القيم والخرافات التي تخلط الحدود بين النهب والبطولة واستقلال صفوف الانتماء أو الانحسار بالانتساب الى فئة صغير دون المواطنة الاكبر ، وبالتالي ضعف الايمان باهمية الالتزام بالضمير المجتمعي الذي يمثل منظومة رقابية في ضبط السلوك العام .

* العوامل الاقتصادية

إن عدم التوزيع العادل للثروة بين الافراد والمجتمع ولتردي الاوضاع الاقتصادية وانخفاض مستوى الرواتب والاجور التي لا تؤمن مستوى معاشي مقبولاً ولتبديد الموارد بفعل سوء التخطيط والحروب التي لا مبرر لها وتبعاتها الثقيلة وحالة الفقر لنسبة كبيرة من السكان وزيادة نسبة البطالة ومحدودية فرص التوظيف وقلة الاستثمار المحلي والاجنبي في مشاريع جديدة جميعها كانت دوافع جدية للفساد .

* العوامل التنظيمية

قد تشغل القيادية والاشرافية وذلك باعتماد معايير سياسية وطائفية أو قبلية بعيدا عن معايير الجدارة والكفاءة والتكنوقراط بالشكل الذي يضعف المنظمة ويجعلها غير قادرة على تحديد أهدافها وتوزيع مواردها بصورة صحيحة مما قد يجعلها تتعثر في تقديم خدماتها بالجودة المطلوبة حيث لا تعتمد الاسس الصحيحة في حساب الكلفة المتواضعة مع مستوى الخدمة المقدمة وشيوع ثقافة تنظيمية محفزة للفساد اذ ياخذ الفساد شكلا منظما أو جماعيا بمعنى أن المنظمة فاسدة باكملها أو نسبة الفساد فيها كبيرة .

كذلك إن حصر السلطات والصلاحيات بيد الرئيس الاعلى بدون تفويض متوازن باتجاه المركزية وضعف الانظمة الرقابية داخل المنظمة هي من مسببات الفساد فقد كشف تقرير المفتشين العموميين في الولايات المتحدة الامريكية من إن المنظمات التي لا يوجد فيها اقسام للتدقيق الداخلي تعرضت للخسائر بسبب الاحتيال والخداع الوظيفي بنسب تزيد عن ٤٠% تقريبا قياسا بالمنظمات التي فيها انظمة رقابية داخلية فعالة .

- **عوامل تشريعية وقانونية**

إن تشريع القوانين التي لا تجسد الصالح العام والتغيير المستمر في القوانين والثنائية في تفسير القوانين والغموض في نصوصها وضعف الجهاز القضائي والقانوني كل ذلك يعد من مسببات الفساد الاداري . (١١)

كما إن فساد السلطة القضائية تمثل العقبة الرئيسة في طريق نجاح أي استراتيجية ضد السلطة القضائية الفاسدة وان الآليات القانونية المصممة لكبح الفساد ستبقى عاجزة بالرغم من فعاليتها واخلاصها .

ولذا يمكن إن يكون الفاسدون في منأى عن المحاسبة وحتى إذا ما تم الابلاغ عنهم فانهم يستطيعون الافلات من العدالة للخلل والضعف في الجهاز القضائي ومقابل هذه التفسيرات والتصنيفات الكثيرة ، هناك الكثير من المتغيرات التي اسهمت في استشراء الظاهرة في العقود الاخيرة وتبلورت الرؤية في اثرها من خلال العديد من الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية التي تاخذ بنظر الاعتبار ارتفاع وتاثر المعاناة عالميا وتأثرها من آثار هذا الوباء الخطير ومن هذه المتغيرات :

- تطور وسائل الاتصال ومخرجات ثورة التقانة .
- النزوع نحو آليات اقتصاد السوق وتخصيص القطاع العام .
- تحرير التجارة وانتقال الاشخاص والاموال والسلع عبر الحدود .
- اشكالية التخمة في التشريعات القانونية للمتغيرات السريعة الحاصلة على صعيد العالم وعدم قدرة القوانين الداخلية على مواكبتها .

سيكولوجية المال وظاهرة الفساد

في البدء لا بد من معرفة مدخلين لتوضيح سيكولوجية المال وهما ماهية المال ؟ وماهي الطبيعة النفسية ؟

فالمال غير منحسر بمعنى النقود وانما هو كل شيء مقوم جاز شرعا اقتناؤه (ذو قيمة) والمال يدخل في شقيه العيني والنقدي ولا يخفى على أحد ما للمال من اهمية في حياة الافراد والمجتمعات وخصوصا في البنية الاقتصادية .

اما النفس البشرية وطبيعتها فقد قال عنها الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع واهل التربية والاصلاح والاقتصاد كون النفس هو موضوعة حركة الوجود وقد كتب عنها الكثير وهي مناط التكاليف والعنصر الذي يعبر بها الانسان عن ذاته وعليها تقع الاحداث ومنها ينتهي الانسان من عالم الدين فيها مركز الهوى والشهوة والرغبة والطموح والامل والنفس البشرية منذ يوم خلقها الله الى يوم القيامة في صراع مع ما حولها فهي اما مؤمنة او لوامة او أمارة وكل منها تواجه الحياة بطريقة مختلفة في ضوء تصوراتها للعلاقة في ادراك وتصور حركة حياة ومرتكزاتها . المال قد يحتل موقعة في القلوب من حيث الحاجة او طبيعة التكوين النفسي وقد يكون مصدر تفكير وسلوك الكثير من البشر حتى تراه يتقدم على الاولاد فقد ذكر الله ذلك في مواطن كثير من االقران الكريم يقول سبحانه وتعالى :

((زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطره من الذهب والفضة ....)) آل عمران (١٤)

وقال سبحانه وتعالى :

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا) الكهف (٤٦)

وفلسفة تملك المال تحدده مقومات العقيدة التي تضبط حركة الانسان وتحدد شبكة تصوراته في علاقته مع الكون والانسان والحياة .

لا يختلف اثنان حول أهمية المال وحقيقته كوسيلة من وسائل حركة الحياة ولا تخلو شريعة أو نصوص مقدسة أو قانونية وضعية من أن تتناول موضوع المال كجزء من مقاصد الحياة وأحد مكونات المجتمع فقد كان حفظ مال الناس أحد مقاصد الشريعة وأحد محرك إصدار القوانين المختلفة .

وكما يقال بأن بالمال لاتشترى الوسائل ولا الغايات ولطالما كان المال محور القتال ومحور الشر ومحور الشقاء للآخرين أو دافع من دوافع الجريمة والشقاق والانحراف ولكن هل هو في حقيقته هكذا ؟ المال سلاح ذو حدين .

ولا يقوم الواقع النفسي على كراهية المال أو رفضه لكن ما ترفضه في المال أن ينظر إليه باعتباره كل شيء في الوجود ويرتبط المال في شبكة النفس ومقوماتها حتى يصل عند بعضهم الى أن يكون هو الفيصل في العلاقات وهو الغاية المثلى .

وحيث أن رغبة الإنسان متعددة ومتجددة ومتنوعة ولا تنتهي لهذا يكون البحث عن مصادر الرغبات وهو المال متجددة ومتنوعة حتى يصبح عند بعضهم ما يسمى بهوس المال أو مرض الثروة .

ولقد تناولت مصادر عديدة موضوعة المال منها ماهو اقتصادي وآخر ما تناوله من منظور المعاملات وآخر استخدمه كرأس مال وهكذا وبعضهم

تناوله من زاوية سيكولوجية تتعلق بعلم النفس ومدى تأثيره في تكوين النسيج السلوكي للأشخاص وكيف يشكل حب المال دافعا رئيسا للانحراف .. وعليه تدور الكثير من الصفات مثل البخل أو الإسراف أو التبذير أو الكرم وتدور حوله قضية الحقد والحسد والغيرة والشهوة والكذب والجريمة وتلبس الباطل والبحث عن المبررات ، ويرى علماء التحليل النفسي والاكلينكي إن المال له العديد من المعاني والرموز السيكولوجية أهمها :

- الإحساس بالأمن .
- الشعور بالقوة .
- الحب .
- الإحساس بالحرية .

ويرى بعضهم أن المال مثلما هو وسيلة لشراء السلع قد يكون له قيمة انفعالية نفسية واجتماعية ضمن إطار وحدود ما يتعلق بموضوع الفساد فأن الملاحقة بين شهوة النفس وحب المال وخاصية التملك والعناصر السيكولوجية في الشخصية تجعل الإنسان يقف أمام مفترق طرق في ظل ظاهرة هوس الثراء وأمراض المال وما تؤول إليه ، وعندما نربط لاعب القمار وسيكولوجية المغامرة والمال سنجد أنها تشكل مدخلا للفساد ، ولطالما كان الحسد احد ظواهر المال وهو سبب سلوكيات متنوعة قد تكون منها ماهو متجذر بالشخصية أو ماهو مكتسب بفعل الاحتكاك ، قد تكون العلاقة بين الحالة الاقتصادية والاجتماعية والعوامل النفسية الاجتماعية مداخل للاضطراب السلوكي ثم الانحراف وخصوصا في ظل قلة المال والحاجة التي قد تدفع إلى عدم القدرة على التحكم في أحداث الحياة .

ومن ثم استجابة الفرد لهذه الضغوط النفسية في الشعور بالقلق والضغط النفسي المنعكس على بروز ظاهرة الفساد والمجسدة في ما يسمى بسلوك الرشوة . ومن المعلوم إن النظرة الى المال قد تندر عند كل المرتشين في طفولتهم أنهم قد أدركوا بشكل خاطئ إن المال كل شيء وعندما نضجت شخصيتهم امنوا بذلك .

ان التجربة العالمية هي مظهر من مظاهر الاصالة في سيكولوجية الفرد والجماعة حيث يحتل المال موقعا ومكانا خاصا في حياتنا النفسية وقد يكون المال عند بعضهم غاية وليس وسيلة وقد يشكل عند بعضهم قيمة في حياته النفسية والاجتماعية مما يجعل بعضهم يجد ان التنافس والصراع والتناحر والتعارض جزء من مقتضيات الكسب لها تظهر لديه مشاعر مرضية من الانانية والنرجسية والاتجاهات المضادة للمنتنع التي تتمنى بدورها قيم التسلم والسهولة والاشباع الفوري للرغبات والاحتياجات وتبدو آثارها في الرشوة والنصب والاحتيال والاختلاس والادخار القهري والاسراف القهري والديون باشكالها المتنوعة وكلها متغيرات قائمة على قيم التراخي والاعتماد به واستخدام قانون الاقل الجهد باكثر ثروة . وحيث ان رغباتنا النفسية والاجتماعية متعددة ومنوعة لا تنتهي ومرتبطة عند بعضنا ارتباطا زائفا بالحصول على المال وفي ظل استهزاء وتهشم شبكة القيم والسفور بالالتزام العقائدي تظهر اشكالية الهوس المالي الذي هو فعلا محرك رئيسي لمنظومة الحياة حتى تستقر عند الناس القيم المادية كقيم اخلاقية ومرتكزات لدعم الاحتياجات واشباعها ولذة النزاع والسيطرة

وكثير هي الدراسات التي تناولت سيكولوجية المال كقضية في غاية الاهمية في مداخل علم النفس عند دراسات ظواهر الفساد .

والبحث في سيكولوجية المال يحتاج الى منهج علمي في ادراك موقع المال وتحليله عند العامة والخاصة والمثقفين والجهلاء حيث شكل المال عند الكثير صورا مختلفة فهو مصدر للسعادة ورمز للقوة والسلطة والحرية والاحساس بالامان والوقت الذي هو يشكل مفتاحا للشرور واداة في تغيير الشخصيات وبغض النظر عن التصور العقائدي فالمال ضرورة وعنصر في حركة التاريخ والحياة فقد ظهرت نظريات متعددة تدارست الجوانب النفسية للحل ومن اهمها :

١. نظرية التحليل النفسي
٢. النظرية السلوكية
٣. النظرية النفسية للمال

اما الاولى فاعتمدت على الاهتمام بالمال عند المراحل الطفولية الاولى حيث يتدخل فيها عاملان مهمان عامل بايلوجي والثاني عامل نفسي اجتماعي ويرى اصحاب هذه النظرية ان المال له العديد من المعاني والرموز السيكولوجية والمتمثلة بالاحساس بالامن والشعور بالقوة والبحث عن الحب والاحساس بالحرية .

اما النظرية السلوكية فانها تعتمد فلسفة ان المال احد وسائل التطعيم والتدعيم حيث يكتسب الفرد استجابة شرطية نحو فعل معين للوصول الى الهدف حيث تنعدم الجاذبية للمال من خلال الميكانيكية السلوكية وبالتالي تشكل دوافع للكسب بغض النظر عن المشروعية .

اما النظرية النفسية للمال فهي تركز على ان للمال قيمة انفعالية نفسية او اجتماعية فضلا عن أنها وسيلة لشراء السلع والخدمات حيث تتبلور وظيفة المال بالسعي نحو البحث عن رموز الذات .

سيكولوجية المال بين هوس الثراء وامراض المال :

للمال بكل انواعه تاثيرات مختلفة في الاداء السلوكي للفرد والجماعة فضلا عن التصورات العقائدية والمجتمعية واثرها في تكوين فلسفة المجتمع وسلوكه في بناء منظومة من التصورات في السعي نحو كسب المال وتعريفه فالاسلام مثلا لم يكره المال في ذاته ولا في وسائله المشروعة ولكنه قنن في اصل الملكية وفلسفته وما يترتب عليها من تطبيق المنهج والالتزام بالحقوق المقننة مثل الزكاة والصدقات مع تحديده لمشروعية المصادر ومشروعية ابواب الانفاق فقد قال رسوله الله (صلى الله عليه وسلم) لا تزل قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن اربعة اثنان منها تتعلق بالمال وهي : ١- مما اكتسبه ٢- فيما انفقه

في ضوء الجوانب النفسية في جانب هوس الثراء وامراض الثروة وعلاقة ذلك بالفساد تظهر امامنا مجموعة من الامراض التي قد يكون سيكولوجية المال مدخلا فيها او نتيجة لها :

١- سلوك الرشوة .

٢- سلوك النصب والاحتيال على المال .

٣- سلوك التهرب من الضرائب .

٤- البخل والبخلاء .

٥- فوبيا المال .

ويمكن توضيح باختصار كل من هذه الامراض لكي تتشكل لنا انعاسا صوريا لبنية الفساد وكيف تتكون . ومن اهمها :

اولا : سلوك الرشوة

يعد واحدا من اهم الامراض الاجتماعية للمال لوصفه فعلا محرما اجتماعيا ودينيا وخلقيا ومرفوضا على مستوى الفرد والجماعة والرشوة ظاهرة اجتماعية ذات ابعاد نفسية عديدة ومتشابكة يعمد اليها طرفان الراشي والمرتشي وقد يشترك طرف ثالث وسيطا وسلوك الرشوة يحفز الفرد الى الطمع وهو مفهوم شائع في التحليل النفسي حيث يفسر بان كل المرتشين في طفولتهم ادركوا ادراكا خاطئا ان المال كل شيء وعندما نضجت شخصيتهم آمنوا بذلك وهناك علاقة بين سلوك الرشوة واساليب التربية والمعاملة الوالدية في مرحلة الطفولة مع الخصائص والسمات النفسية للشخصية مع اسباب مجتمعة في بيئة عيشه .

ومن المعلوم إن سلوك الرشوة يعد من أهم الإمراض الاجتماعية للمال بوصفه فعلا محرما اجتماعيا ومحرما دينيا وخلقيا ومرفوضا على مستوى الفرد والجماعة ، فالرشوة لها علاقة بسيكولوجية المال وهي شكل من إشكال الفساد وظاهرة اجتماعية ذات أبعاد نفسية عديدة ومتشابكة يعمد إليها طرفان احدهما الراشي والمرتشي وقد يشترك طرف ثالث وسيطا لتسهيل المهمة . وهذا الوسيط يسمى بالرائش .

والأساليب النفسية الاقتصادية لسلوك الرشوة متعددة منها الفقرو الاحتياج والأخرى الغلاء أو تحول نظام القيم في المجتمع إلى القيم الاقتصادية

اللامعيارية واضطراب نسق القيم ، أو نقص فرص الاختبار والوسائل المشروعة لتحقيق الأهداف .

وعندما تسلط الضوء على شخصية المرتشي وتحليل سيكولوجية المفسد سنراها منخورة القيم ومهلهلة الأخلاق غير موفقة السلوك ليس لديه إي ضوابط أومعايير أو وازع ديني، أهداف تتحسر بالانحراف ومرض الإثراء ومثلما هي الرشوة كمدخل وشكل للفساد نجد إن هناك سلوك النصب والاحتيال في الحصول على المال . فالمحتالون طالما يخططون لضحاياهم بشكل يلبسون فيه الصفة الرسمية أو استخدام القوة أو الصلاحيات أو الأسماء أو الرموز أو ما يمنحه لهم القانون أو الوظيفة .

ويمكن بلورة هذه الاسباب بما يأتي :

١- الاسباب النفسية الاقتصادية لسلوك الرشوة تتبلور بما يأتي :

أ- الفقر والاحتياج .

ب- غلاء الاسعار وتحول نظام القيم والمجتمع الى القيم الاقتصادية والمادية .

٢- الاسباب النفسية الاجتماعية لسلوك الرشوة وتتبلور هذه فيما يأتي :

أ- نقص فرص الاختيار والوسائل المشروعة وتحقيق الاهداف .

ب-اللامعيارية واضطراب نسق القيم .

ج- الافتقار الى الضمير المهني .

ح- عدم فهم الدلالة الاخلاقية للعمل .

٣- الاسباب النفسية لسلوك الرشوة وهذا الامر يتعلق بما يأتي :

أ- سيكولوجية الشخصية ومكوناتها عند الراشي والمرتشي .

ب- سيكولوجية الشخصية عند الوسيط (الرائش) .

ج- التشوه في شبكة العلاقات الاجتماعية .

من هذا ندرك ان سلوك الرشوة لا يشبع الرغبات والحاجات بقدر ما يحيل المرتشي الى شخصية تخلق الحاجات ورغباتها من خلال الشعور بتضخم الذات والبحث عن المال بكل الطرق .

ثانيا : سلوك النصب والاحتيال بالمال .

ويمثل هذا استخدام التضليل من اجل الحصول على اموال الاخرين او الامتلاك بالباطل بطرق شتى والنصابون والمحتالون هم جماعة يتسمون بالمخادعة والنفاق ويسخرون انفسهم لخدمة الاخرين ولكن بشكل مزيف يملكون القدرة على بيع ضمائرهم .

وقد يكون سلوك النصب والاحتيال بشكل مباشر أو غير مباشر على الأشخاص أو قد يكون على المؤسسات نفسها من خلال اتجاهين سلوك النصب والاحتيال الداخلي وهو ما يعمله الموظف أو المسؤول نفسه أو سلوك النصب والاحتيال الخارجي ، ومن الطبيعي إن الشخصيات المحتالة التي تقوم بالنصب والخداع لها سمات منها حب المال والتكبر والغرور ومصابون بجنون العظمة والميل إلى التباهي والافتخار ويحاولون إن يجددوا أساليب الاحتيال .

وهناك انواع واشكال لمثل هذا السلوك وكما يأتي :

أ- سلوك النصب والاحتيال المباشر وهذا يعتبر من الاساليب الكلاسيكية .

ب- سلوك النصب والاحتيال غير المباشر ويعرف هذا النوع بالاحتيال من بعد وهو سلوك قد يحصل من خلال وسائل الاعلام والاتصال او الاعلانات الكاذبة او القرصنة وغيرها .

ج- سلوك النصب والاحتيال وينقسم هذا الى :

١- سلوك النصب والاحتيال الداخلي .

٢- سلوك النصب والاحتيال الخارجي .

وهناك جملة من الدوافع النفسية لسلوك النصب والاحتيال تجتمع كلها لتشكل حافزا في تحقيق اهداف هذه الشخصية مثل سلوك الضحية ، الوضع المالي والحرمان المادي ، الجشع والطمع وعدم الامان ، وطبيعة نسق الحياة والرغبة في اظهار القوة والسيطرة والاحساس بالنشوة والسعادة من خلال بث روح اليأس في الضحية والاثارة والتحدي من هذا نجد ان هناك لشخصية المحتال سمات وخصائص يمكن من خلالها ان يتواجد في بنية الفساد ومن هذه السمات اضطراب الشخصية النرجسية ، واضطراب الشخصية المضادة للمجتمع وفي حقيقة الامر ان مثل هذه لشخصية والسلوكيات قد تستطيع ان تعيش وتكون لها بؤرة على شبكة العلاقات بما يجعلها تفعل من حالة الفساد .

ثالثا : سلوك التهرب من الضرائب

تعتبر الضرائب جزء من العقد الاجتماعية ويقف وراء هذا سلوك القيم الاجتماعية والنفسية فضلا عن شعوره بعدم أحقية الدول والبحث عن المكاسب على حساب المجتمع . ومن ظواهر الفساد وسيكولوجية المال هو سلوك التهرب من الضريبة وهذا احد مشاكل التنمية

وخصوصا إن الضرائب تمثل عقدا اجتماعيا إجباريا له حقوق وفيه واجبات ليس من حق احد الإعفاء أن يأخذ بلا تنمية واستثمار وتقديم خدمات ، ونجد إن الكثير من الناس يسلك مسلك التهرب سواء بقصد أو باستخدام مداخل ضعف القانون أو هوس الثروة ، كما إن هناك ظاهرة ذات ارتباط بسيكولوجية المال هو الخوف من فقدانه مما ينعكس على الحرص على جمعه .

رابعا : سيكولوجية البخل والبخلاء

ويعتبر هذا السلوك من الاخلاق المذمومة والشائنة ويعتبر سلوكا انسانيا معقدا متشابكا يتكون من العديد من الانفعالات والدوافع النفسية والاجتماعية والاقتصادية فضلا عن الخبرات البيئية ويحتوي على هوس الثراء والرغبة في الامتلاك والبخل انواع ولكن للبخيل خصائص نفسية وتركيبية نفسية قد وصفتها الادبيات والروايات مثل البخلاء للجاحظ والبخلاء للخطيب البغدادي وروايات شكسبير مثل تاجر البندقية .

خامسا : فوبيا المال

ويقصد بالفوبية الخوف المرضي المبالغ فيه من التعامل مع المال حيث ان المال قد يشكل عند بعضهم حلا للمخاوف وهو في الوقت نفسه يشكل خوفا آخر ويرى بعض علماء التحليل النفسي ان هناك علاقة بين فوبيا المال وصرامة الانا الاعلى وقد لا يمكن ان يعالج مثل هذه الامراض التي قد تؤثر في بنية الافساد وبالتالي تجعل التخوف سلوكا دافعا لجمع المال او عدم انفاقه وكلاهما دوافع للفساد .

الاستنتاجات

من خلال الاستعراض مصادر البحث يمكن التوقف في جوهر الاستنتاجات التي تعبر عن طبيعة البحث ومشكلته والهدف الذي تسعى لتحقيقه واهم تلك الاستنتاجات هي :

- مازالت فلسفة المال تعبر عن الكثير عن معاني للسعادة حيث تتحول الوسيلة الى هدف .
- ان ظاهرة الفساد والبحث تشكل ليس مرضا فرديا أو سلوكا منحرفا عند عدد محدد من افراد المجتمع بل اصبح ظاهرة مرضية مجتمعية ومؤسسية لها كيان وتنظيم وفلسفة وقوة تدافع عنها ومهارات وتفنن في تحقيقها .
- ان المناهج التربوية في مجتمعاتنا مازالت تقلد اساليب الغرب أو تعتمد على التقليد من دون مراعاة التطور العلمي في دراسات السايكلوجية .
- ان هنالك ضعفا في منظومة القيم عند بعضهم مما جعل المال يشكل عنده محور حركة حياته .
- ان للمال تأثيرا فعالا في سايكلوجية الشخصية بحيث يصبح تاثيرها على الجوانب السلوكية والقيمية الى درجة قد تتلوث الافكار مما يصبح هوس الثروة وجمع المال هو الوازع والدافع .
- اصبحت بعض المجتمعات تتفق ضمنا على بعض انواع الفساد ونتقبلها بمفاهيم اخرى .
- ضعف الجوانب التشريعية في معالجة هذه الظاهرة أو اختصارها على الردع الخارجي من دون البحث في اسبابها النفسية .

- ان التهشم الذي اصاب شبكة العلاقات والتضخم الذي صاحب الـــذات فـــي مجتمعنا .

التوصيات

بعد هذا الاستعراض لمقومات سايكلوجية المال وتاثيراتها في منظومـــة الفساد في أي مجتمع وتحديدا في واقعنا العراقي في كل مراحـــل ظهورهـــا ونموها وتطورها واتخاذها أشكالا مؤسسية وتنظيمات تقف وراءها قوى من الداخل والخارج حيث اصبحت تشكل عائقا للتنمية او للاصلاح الاداري وفي حدود اهداف البحث وتكاملا مع الجهود الخيرة من اجل بنـــاء اســـتراتيجية وطنية لمكافحة هذا الداء (الفساد بكل اشكاله) ويمكن بلورتها بما ياتي :

شروط أساسية لمحاربة الفساد

يخطئ من يعتقد أن محاربة الفساد والحد من آثاره يتحققان عن طريـــق الاصلاحات الادارية وحدها ، لان هناك شروطا اساسية لتحجيم الفساد وهي ثمانية:

الشرط الأول

هو الوعي العام لدى جمهور الناس بأخطار الفساد وضرورة محاربته علـــى جميع الجبهات ، وليس الاستسلام له كقدر محتوم ، أو التسامح معه كـــأجراء لازم لتيسير التعامل .

الوعي بضرورة محاربة الفساد شرط أساسي سواء كان فسادا صغيرا او كبيرا وسواء جاء من الداخل أو الخارج .

الشرط الثاني

هو التزام القيادة السياسية في أعلى مستوياتها بمحاربة الفـــساد فـــي جميـــع

الأجهزة التنفيذية والتشريعية والقضائية ، وفي جميع صوره ، سواء ارتفعت الى مستوى الجريمة الجنائية أو كانت مخالفة ادارية أو عملا لا أخلاقيا يتعلق بأداء الوظيفة العامة وسوف يتطلب هذا الالتزام اعطاء القدوة للاخرين ، واصدار القوانين التي تحرم الفساد وتطبيقها بحزم ، وتوفير آليات فعالة للرقابة والمحاسبة ، والتخفيف من اشتراط الموافقة الحكومية على كل صغيرة وكبيرة ، لأن في كل موافقة فرصة أخرى للفساد .

الشرط الثالث

هو اصرار مؤسسات المجتمع المدني بما فيها الأحزاب والجمعيات الأهلية والنقابات المهنية والعمالية ووسائل الأعلام على اتباع القيادة لما التزمت به تحقيقا لاستمرارية هذا الالتزام .

الشرط الرابع

هو تقوية القدرات المؤسسية لأجهزة الدولة لتنفيذ الاصلاحات الكثيرة التي يفرضها الالتزام بمحاربة الفساد ، وما يتطلبه ذلك من وضع نظام للادارة العامة يقوم على الاعتبارات المهنية السليمة ويتفادى القيود والتعقيدات التي لا مبرر لها ، ويتبع الأصول في التعيين والترقية على اساس الكفاءة وحدها ، ويحدد السلوك الواجب الاتباع في الادارات الحكومية على نحو واضح ومعروف للموظفين ولمن يتعاملون معهم ، مع اتاحة الفرصة للتظلم بوسائل سريعة وحاسمة ، ورفع مرتبات الموظفين بعد تحديد أعدادهم حسب حاجة العمل وتوزيعهم على جهات العمل بما يتناسب مع الطلب عليه .

وتقييد السلطات التقديرية الواسعة التي كثيرا ما تمنحها القواعد للموظفين الحكوميين، وتحديد الضرائب والرسوم بمستويات معقولة لا تدعو الى التهرب والافساد ، وتقوية انظمة الرقابة والمحاسبة المالية ، وعدم التردد في توقيع جزاء الفصل من العمل على كل من تثبت عليه واقعة الفساد بعد تعريف صورها مقدما .

الشرط الخامس

هو نشر الحقائق وانسياب المعلومات عن طريق صحافة حرة في مجتمع يسمح بحرية التعبير والنشر وعدم التعتيم على جرائم المفسدين والفاسدين أيا كان مستواهم .

الشرط السادس

هو العمل الجاد من أجل توفير بيئة اجتماعية في البيوت والمدارس ومكاتب الحكومة والمحليات وأقسام الشرطة وفي معاملات الناس مع تهيئة بيئة تحض عن طريق القدوة والممارسة على احترام القواعد الواجبة الاتباع والمال العام وحقوق الافراد ، وتساند القيم التي تساعد على محاربة الفساد قولا وفعلا ، ولا تكتفي برفع الشعار مع الاستمرار في الممارسات التي تخالفه تماما .

الشرط السابع

هو تعاون القطاع الخاص بما في ذلك الشركات الاجنبية في الحد من الفساد عن طريق الامتناع عن افساد الموظفين العموميين والابلاغ عمن يطلب منهم الدفع ووضع المعايير والآليات وتبنى الممارسات التي تحارب الفساد في اعمال هذا القطاع وفي تعامله مع الحكومة وهيئاتها ومشروعاتها العامة .

الشرط الثامن

التعاون مع الدول الاخرى والمنظمات الدولية لمحاربة الفساد والتحايل اللذين يتعديان حدود دولة واحدة ، مثل جرائم التهريب وغسيل الاموال والرشاوى التي تدفعها شركات اجنبية في الخارج هذا مع الاقتناع بأن التعاون الدولي ليس بديلا عن المجهودات الوطنية الواجب بذلها في كل دولة .

واوضح من هذه الشروط ان محاربة الفساد هي مسؤولية المجتمع كله ولا تقتصر على المجهودات الحكومية ، بل أنها تستدعي أحيانا تعاونا وثيقا من جهات خارجية ، وأن كان من الواضح أيضا أن مسؤولية كبرى تقع على أجهزة الدولة جميعها لنجاح اي برنامج لمحاربة الفساد ، واوضح كذلك ان تقوية الاجهزة الحكومية هي جزء مهم جدا ولكنها ليست العامل الوحيد في محاربة الفساد .

اما البنك الدولي فقد وضع ستراتيجية لمحاربة ظاهرة الفساد والتي تقوم على خمس ركائز مهمة هي :

* ضوابط قانونية ودستورية لمحاسبة المسؤولين الحكوميين ومعاقبتهم بقصد ضبط عمليات الانتفاع الشخصي .

* مشاركة مؤسسات المجتمع المدني في مراقبة جميع اشكال الفساد ومحاسبة المفسدين .

* تحرير الاقتصاد وتخفيف بعض القوانين الاحتكارية ودور ذلك في تقليل فرص وجود الفساد وأسبابه .

* تشجيع المنافسة من خلال كسر حواجز الاحتكار والتستر التجاري وفرض الشفافية في الافصاح من قبل اعضاء مجالس الادارات .

* خلق نظام قضائي فعال ومستقر وتشريع قوانين ضد الفساد وانشاء نيابة عامة مستقلة ومعززة بجهاز مستقل ومؤسسات رقابة مالية .

اما الاساليب التربويةالمعتمدة كمدخل سلوكي تتمثل بما ياتي :

١- بناء العقيدة الصحيحة في المناهج التربوية ابتداءً من المستويات الابتدائية مرورا بجميع المستويات والشرائح .

٢- خلق منظومة وعي لدى الجماهير وتنميتها باتجاهات ادراك حقيقة المفهوم الحضاري للمال .

٣- تبني الاعلام دورا واعيا في بناء الشخصية الرصينة وعدم تعجيلها من خلال الشعور باهمية الثروة والهوس في جمعها وعدم اشغال الشباب أو الناس بالانبهار بالنماذج غير الاخلاقية التي نشاهدها من خلال الافلام أو الدعايات .

٤- تحمل الجهات المتخصصة في مجال علم النفس التربوي في اهمية الجوانب السيكولوجية للمال وتاثيراته على اخلاقياتها عندما يكون هو الغاية .

٥- ضرورة إصدار التشريعات اللازمة التي تعالج كل مداخل الفساد وخصوصا المتعلقة بمظاهر المال .

٦- الاستفادة من التجارب العالمية في مكافحة كل العوامل التي تؤدي الى تنمية بنية الافساد وتحويلها الى ظاهرة اجتماعية قد يتلقاها المجتمع بشكل طبيعي مما تجعل التكوين الاجتماعي يتوافق على مثل هذه الظواهر .

المصادر :

١. دليل البنك الدولي ـ تقرير عن التنمية في العالم ـ القاهرة مركز الاهـرام سنة ١٩٩٧ ـ ص ١١٢ .

٢. د. سالم محمد عبود ـ الفساد وحقوق المستهلك ـ نشرة صوت المـستهلك ـ العدد ٣٠ ـ ص ٨ .

٣. تحديات الفساد الاداري في العراق ـ مجلـة تكريـت للعلـوم والاداريـه والاقتصاديه ـ المجلد٢ العدد١ ـ ٢٠٠٥ ـ ص٨٤ .

٤. ياسر خالد بركات الوائلي ـ مقال من الانترنيت .

٥ . سالم محمد عبود ـ ظاهرة الفساد الاداري والمالي ـ دار الدكتور للعلـوم بغداد ٢٠٠٨ ص ١٥ .

٦ . سـالم محمـد عبـود ـ ظـاهرة غـسيل الامـوال ـ دار المرتـضى بغداد ٢٠٠٧ ـ ص٢٧ .

٧. د. سالم محمـد عبـود ـ ظـاهرة غـسيل الامـوال ـ دار المرتـضى بغداد ٢٠٠٧ ـ ص٢٧ .

٨. د. محمود عبد الفضيل ـ مفهوم الفساد ومعاييره ـ مركز دراسات الوحدة العربية (ندوة الفساد والحكم الصالح في البلاد العربيـة) بيـروت ـ ٢٢ أيلول ٢٠٠٤ ـ ص٧٩ .

٩. د. بديع جميل القدو ـ الفـساد اثـار وسـبل مكافحـة ـ مجلـة كليـة الرافدين ـ بغداد العدد ١٨ سنة ٢٠٠٦ .

١٠. د. سالم محمد عبود ـ ظـاهرة غـسيل الامـوال ـ مـصدر سـابق ـ ص٢٧ .

١١. هديل كاظم سعيد – تأثير النظام القيمي للعاملين في الفساد الاداري بالعراق – رسالة دكتوراه – جامعة بغداد – كلية الادارة والاقتصاد ٢٠٠٧ – ص٤ .
١٣. د. حمدي عبد العظيم – عولمة الفساد وفساد العولمة – الدار الجامعية – الإسكندرية – ط١ – ٢٠٠٨ .
١٤. محمد عمار – مبدأ الافصاح في الفكر المحاسبي الاسلامي – المعهد العربي للمحاسبة – دراسة ٢٠٠٨ – ص٥٥ .
١٥. د. أكرم زيدان – سيكولوجية المال – عالم المعرفة – الكويت العدد ٣٥١ – ٢٠٠٨ – ص٢٥ .
١٧. معاوية كريم – وفاء عبد الكريم – تفسير مفهوم الشفافية في محيط البيئة الدولية – مؤتمر إدارة الاعمال – الاردن ايار ٢٠٠٥ .
١٨. صندوق النقد الدولي – إدارة الشؤون المالية العامة مع ادارات اخرى ٢٠٠٢ .
١٩. تقرير هيئة النزاهة العراق ٢٠٠٥ – ص٩ .
٢٠. ثائر محمود العاني – الكلفة الاقتصادية والاجتماعية للفساد الوظيفي العراقي وانعكاسه على المستهلك – المؤتمر العلمي الثاني جامعة بغداد مركز بحوث السوق ٢٠٠٦– ص ٧١ .
٢١. د. مزاحم ماهر – الفساد الاداري والمالي في المؤسسات الخدمية – المؤتمر العلمي الثاني جامعة بغداد مركز بحوث السوق ٢٠٠٦ .
٢٢. احمد ابراهيم – استخدام اساليب الترتيب لمكافحة الفساد الاداري – المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب – مجلد ١١ – العدد ٧١ – ١٩٩٨ .

٢٥. د. طاهر محسن الغالبي ، د. صالح مهدي العامري ـ المسؤولية الاجتماعية واخلاقيات الاعمال ـ دار وائل - عمان ٢٠٠٥ ـ ص ٣٥٨ .

٢٦. جواد رشمي ـ الفساد المؤسسي هل يصبح وسيلة لتحقيق الحوكمة في الشرق الاوسط وشمال افريقيا ـ مجلة الاصلاح الاقتصادي ـ العدد ٩ ـ ٢٠٠٥ .

٢٧. مصطفى الفقي ـ الفساد الاداري والمالي بين السياسات والاجراءات ـ مجلة الاصلاح الاقتصادي ـ العدد ٩ ـ ٢٠٠٣ .

أدوات المؤرخ العراقي في عصر المعلومات والعولمة

الاستاذة المساعدة يسرى صادق جلال
معهد الادارة / الرصافة

الملخص :

نبّهت الباحثة الى أهمية التأريخ الذي شكّل التأريخ العنصر الأكبر في جسم المعرفة الإنسانية ، إلا ان المؤرخ العراقي لم يطوّر أدواته في البحث التأريخي في عصر المعلومات والإتصالات ، بعد ازدياد الفجوة الرقمية اتساعا Digital Information Gap ، فضلا عن الحاجة الى تنمية الثقافة العربية والإسلامية في البلاد العربية للمؤرخين وللباحثين عن الثقافة على شبكة الإنترنت في إطار عالمية المعرفة ولإبراز القيم السامية للثقافة العربية والإسلامية الى المجتمع الدولي ، ان تطوير المؤرّخ العراقي لأدواته له أثر إيجابي في بناء المعرفة التأريخية الرقمية وعلى المؤرخين والباحثين ، مما يؤدي الى :

١- تكوين وعي ثقافي لدى العربي يعزز ثقته بالحضارة والتراث العربي ودورهما في تنمية الإنسانية ورقيها ، وإدامة الإتصال المتجدد والدائم بين الأجيال العربية بالتعهد بالتحديث والتطوير جيلا بعد آخر ، مع مراجعة العلماء المستمرة لهذه المواقع .

٢- توفير مصادر علمية عربية موثوقة ، متاحة لطلاب المعرفة من الباحثين والطلبة ، وإتاحة الفرصة للعلماء والباحثين العرب لكتابة التاريخ الثقافي

والحضاري ، وتصويب ما تسرب من الأخطاء وتدليس في مـــن غيـــرهم ، سواء عن قصد أو عن جهل(*)

١- المقدمــــــة :

يشكل التأريخ العنصر الأكبر في جسم المعرفة الإنسانية، فقد سجّل التأريخ النشاط الإنساني في كل مكان من العالم ، والتأريخ عميق عمق الحضارة الإنســـانية ، يدعمه علم الآثار بعد التقدم الذي أحرزه ، اذ عمّق جذوره في الزمن عندما كشف الحضارات البدائية والقديمة فزاد في مساحة التأريخ المعرفية ، واذا أضفنا الى التأريخ العربي تواريخ المناطق الأخرى ، زادت عناصر التأريخ ، وتضيف تواريخ العلوم الأخرى عناصر جديدة الى التأريخ ، كتأريخ الكون ، والتأريخ الطبيعي ، والتأريخ الجغرافي وتأريخ الطب والرياضيات والكيمياء .. مما يوسّع الكتلة المعرفية للتأريخ عموما في العالم .

٢- التعاريف الإجرائية :

التأريخ كما يراه المؤرخ العربي العلامـــة ابن خلدون " من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال ، وتشد اليه الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، ويتساوى في فهمه العلمـــاء والجهال ، اذ هو في ظاهره لايزيد على إخـــبار عن الايام والدول ، والســـوابق من القرون الأول ، وتنمـــو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثـــال ، وتطرف فيها الأنديـــة اذا غصّها الاحتفال ،

(*) الكلمات المفتاحية : المؤرخ العراقي والإنترنت . المؤرخ العراقي والعولمة . التأريخ العربي ــ طرق البحث .

وتؤدّي إلينا شـأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجـال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الإرتحال ، وحان منهم الزوال ، وفـي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومباديـها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير بـأن يعد في علومها وخليق ، وإن فحـول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها ، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلطـها المتطفلون بدسـائس من الباطل وهمـوا فيها أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المُضعّفة لفّقوها ووضعوهـا ، واقتفى تلك لآثار الكثيرُ ممن بعدهم اتبعوها ، وأدّوُها إلينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا أسـباب الوقائع والأحـوال ولم يراعوهـا ، ولا رفضـوا تُرَّهـات الأحاديث ولا دفعوهـا فالتحقيـق قليل ، وطَـرْف التنقيـح في الغالـب كليـل ، والغلط والوهـم نسيب للأخبار وخليل ، والتقلـيد عريق في الآدميـين وسليـل ، والتطفل على الفنون عريض وطـويل ، ومرعى الجهل بيـن الأنام وخيم وبيـل ، والحـق يقـاوم سلطانُه ، والباطل يقذف بشهـاب النظر شيطانُه ، والناقـل إنما هو يملي وينقـل ، والبصيرة تنقد الصحيـح إذا تُمقل والعـلم يجلـوا صفحات الصواب ويصقل .

هذا ، وقد دوّن الناس في الأخـبار وأكثروا ، وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطّروا ، والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة ، واستفرغوا دواوين مَن قبلهم في صحفهم المتأخرة ، وهم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ، ولا حركات العوامل ؛ مثل ابن اسحق والطَّبري وابن

الكَلْبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف عمر الأَسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير"[١] ...

والتأريخ في الثقافـــة الغربية "هو الخبرة الماضية للجنس البشـــري ، والتأريخ ذاكرة الماضي وخبرة محفوظة ، غالبا ما تكون مكتوبة في الوثائق"[٢] وهو في المنطق السائد انتاج المؤرخين ، وأعمال اعادت بناء الحوادث المتتالية الى حكاية من كتاباتها الأصلية (المصادر Sources) ، وقد فرّقت الوثائق المكتوبة بين عصر التأريخ (Historic Era) وزمن ما قبل التأريخ والذي يعرف من خلال علم الآثار[٣] .

فالتاريخ تقديم ماضي الانسان بعد تحليله وتفسيره ، والمعلومات التاريخية هي حشـــد من المعلومات المعقّدة وغير المصنفة عن الحياة البشـــرية ... يستخرج منها المؤرخ الحكمة والدوافع اللذين يكونان مصدرا جديدا من الالهام من اجل التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتقنية في المنطقـــة .

وقد اهتم انسان وادي الرافدين بتدوين شؤونه وأحداثه في الرقم الطينية وبالخط المسماري أول الخطوط ، وقد شكلت الرقم المسمارية أول الوثائق البشرية ، أما البدوي المرتحـــل فكان يحفظ الأحداث والتراث من شعر ونثر

---

(١) إبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد . مقدمة إبن خلدون / تحقيق علي عبد الواحد وافي القاهرة : لجنة البيان العربي ، ١٩٥٧ . ج١ ، ص٢٠٨ .

(٢) Encyclopedia Americana. –N.Y.: Americana Corporation , 1962 . vol. 14, p.226.

(٣) Daniels , Robert V. Studying ; How and Why .- N.J.: Englewood Cliff , 1966. P.8.

في ذاكرته، وكانت الذاكرة الشفوية تتناقلها الأجيال ؛ حتى اذا جاء الإسلام اهتم العربي بالتدوين بدءا من تدوين القرآن الكريم حتى تدوين المعارف الأخرى كالشعر والأيام ...

٣- مشكلة البحث :

لا يزال المؤرخ العراقي والعربي دون الطموح ، لم يطوِّر أدواته في البحث التأريخي في عصر المعلومات والإتصالات ، مع التحولات العالمية المتسارعة في جميع الميادين المعرفية والتقانية وبروز ظاهرة العولمة وطغيان حركة ثورة المعلومات والابتكارات التقنية أصبح التحدي الرئيس الذي يواجه المؤرخ هو تضييق الفجوة التي ازدادت اتساعا نتيجة لتداخلها المعرفية مع الفجوة الرقمية Digital Information Gap[٤]، فضلا عن الحاجة الى تنمية الثقافة العربية والإسلامية في البلاد العربية للمؤرخين وللباحثين عن الثقافة وعرضها خارجا على شبكة المعلومات (الإنترنيت) في إطار عالمية المعرفة ، وإبراز القيم السامية في المجتمع الدولي .

٤- أهداف البحث وحدوده :

دراسة أهمية تطوير الباحث المؤرِّخ العراقي لأدواته في عصر المعلومات ، وأثر ذلك الإيجابي في الباحثين التأريخيين والباحثين عن الثقافة ، والمشاركة في بناء المعرفة التأريخية الرقمية ، وفي الجهود المبذولة دوليا في تقريب أجزاء العالم وتنظيم المعلومات وتوثيقها وعرضها من خلال ما توفره وسائل الاتصال الحديثة كشبكة المعلومات ، وردا على حملات

---

[٤] نوريس ، بيبا . الفارق الرقمي ؛ الميثاق المدني ، فقر المعلومات والإنترنيت/ترجمة هشام عبد الله، مراجعة محمود الزواوي ـ عمان : الدار الأهلية ، ٢٠٠٦ . ص١٧ ـ٤٧ .

التشويه المضللة التي تستهدف المنظومة القيمية للحضارة العربية الإسلامية ، وإبراز مساهمات هذه الحضارة على مسيرة الحضارة العالمية والتفاعل الإيجابي معها.

وقد تحدد البحث في تقويم أدوات المؤرخين العراقيين للعقدين الأخرين ، بعد التطورات الحاصلة في تقنية المعلومات والإتصال .

٥- منهج البحث:

إتبع البحث المنهج الوصفي Descriptive Method (Survey Method) من خلال عرض :

☑ دور التأريخ في الثقافــة العــربية والعــالم .

☑ تقــويم أدوات المــؤرخ العراقـــي والعــربي فــي العقــديــن الأخـــيرين .

☑ دور التأريخ العربي في عصر شبكة المعلومات وعصر النشر الألكتروني، وأهمية إنشاء مواقع الويب العالمية للتأريخ ونشر المعرفة التأريخية .

٦- نشأة التأريخ العربي وأدوات المؤرخ :

كـــان البدوي المرتحــل يحفــظ الأحــداث والتراث مــن شعر ونثر فـــي ذاكرتـــه ، وكـــانت الذاكــرة الشفوية تتناقلهـــا الأجـــيال ؛ حتى اذا جاء الإســـلام اهـــتم العربي بالتدوين بدءا من تدوين القرآن الكـــريم ، وإهـــتم العـــرب بتـــدوين الســـيرة النبوية وغـــزوات الرســـول محمد (صـــلى اللـــه عليه وآله وســـلّم) ، كانت الســـيرة النبوية الأســـاس الصلب للتأريخ ، فالتأريخ وثيـــق الصلة بالتطور العـــام للحركة الفكرية

الإسلامية[٥] ، مثل سيرة ابن اسحق (المتوفى١٥٠هـ / ٧٦٨م) ، وسيرة ابن هشام (المتوفى ٢١٨هـ /٨٣٣م) ، والمغازي للواقدي (المتوفى ٢٠٧هـ / ٨٢٣م) ، وخرجت من تدوين السيرة علوم أخرى ، مثل علم الطبقات والجرح والتعديل وأيام العرب وأنساب القبائل ، ومنها بدأ اهتمام العرب بالتأريخ ، وقد ظهر المؤرخون العرب الرواد الذين ألفوا أمهات كتب التأريخ والتراجم ، وأول من كتب احداث التأريخ بطريقة الرواية البلاذري (المتوفى٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ، والطبري (المتوفى ٣١٠هـ / ٩٢٣م) الذي أوّل من ألّف كتابا موسوعيا كاملا بالعربية في تأريخ العالم ؛ وإعتمد على الإسناد كطريقة المحدثين ، حيث يروي كل خبر وحادثة بأسانيدها ، واذا تعددت الروايات يوردها مع أسانيدها ، ويقابل بين الروايات ورواتها ويخلص الى الخبر الذي يراه صحيحا ، كما اعتمد التنظيم الحولي (Annalistic) منذ أن أرّخ للهجرة النبوية الى سنة ٣٠٢هـ[٦].. وكان اليعقوبي والمسعودي وأبن الأثير وأبو الفدا وابن الأثير والمقريزي وابن العماد وابن تغري بردي .... وقد أوْجد المؤرِّخون الرواد أدوات ومناهج للكتابة والبحث ، إبتكروها وتبنّوها وطوّروها .

---

[٥] روزنثال ، فرانز . علم التأرخ عند المسلمين / ترجمة صالح احمد العلي ، مراجعة محمد توفيق حسين . ــ بغداد : مكتبة المثنى ، ١٩٦٣ . ص٣٩ ــ ٤٥ .

[٦] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . تأريخ الرسل والملوك / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .ــ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٠ . ج١ (ذخائر العرب ٣٠) .

• راجع أيضا : . Encyclopedia Americana . Op. Ct. Vol. 14, P. 236 *

وكانت أهم أدواتهم هي :

١- الإسناد ، إذْ اورد المؤرخون كل خبر منسوبا الى راويته ليعرف القارىء قوة الخبر.

٢- جمع وحفظ لكثير من المعلومات من مصادر موثوقة وأخرى لا يثق باكثرها ، يقول الطبري في مقدمة كتابه " فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه او يستشنعه سامعه من اجل انه لم يعرف له وجهها صحيحا ولا معنى في الحقيقة فليعلم انه أوتي من بعض ناقليه ، وانما ادينا ذلك على نحو ما أوتي الينا " .

٣- إيراد اخبار مخالفيهم في الفكر والعقيدة ، وهو دليل حرصهم وامانتهم ورغبتهم في تمكين قرائهم ان يحيطوا بالموضوع[٧] .

وقد إلتزم المؤرخون بأمانة البحث التاريخي في ظروف حرجة وصعبة ، لم يثنهم الخوف ولا الطمع : مثل إبن مِسْكَويه صاحب (تجارب الأمم) زمن البويهيين ، والطبري الذي رفض الهدايا من اهل السلطة لئلا تكون ثمن نزاهته .

إلا ان أهم مشاكل هذه المؤلفات هي:

- النزعة التجميعية والمؤرخون الجمّاعون مثل : الطبري واليعقوبي والمسعودي وأبن الأثير وأبو الفدا وابن الأثير والمقريزي وابن العماد وابن تغري بردي ... وهم كُثر حيث إن البحث عن معلومة ما أو خبر ما كالبحث

---

[٧] خليل ، عماد الدين . حول اعادة كتابة التأريخ . ـ الدوحة : دار الثقافة ، ١٩٨٦ . ص٣٦ ـ ٣٧ . وص٥٥ .

عن أبرة في كومة قش وتستهلك الكثير من وقت، ناهيك عن التنقل بين الروايات المتعددة والمؤلفات المختلفة .

- الإستطراد وتداعي الأفكار.
- غياب الحس النقدي في معظم الاعمال التاريخية .. وتقبل الكذب والخرافة .
- تعرضه لتأثيرات السلطة وتوجهاتها ، ناهيك عن التزوير والتزييف .
- بعدها عن تسجيل النشاط الإجتماعي ؛ لاقتصارها على تاريخ الملوك والحكام .
- الانقطاع الطويل في جسم المعرفة التاريخية بعد احتلال بغداد .

٧- عصر المعلومات ودورالمعلومات :

لقد عنون الإنسان كل عصر بالتقنية السائدة عليه، ومنذ فجر التاريخ كان كل عصر يأخذنا قدما على نحو اكثر سرعة من العصر الذي سبقه ، فالعصر الحجري ظل قائما لملايين السنين ، الا ان عصور المعادن التي تلته قد دامت مدة لم تتجاوز الخمسة الاف سنة، وقد قامت الثورة الصناعية بين اوائل القرن الثامن عشر واواخر القرن التاسع عشر، أي انها استغرقت ٢٠٠ عام على وجه التقريب ، واحتل عصر الكهرباء ٤٠ عاما بداية من اوائل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الثانية ، أما العصر الالكتروني (عصر الكمبيوتر) فلم يدم سوى ٢٥ عاما بالكاد ، في حين بلغ عصر المعلومات ٢٠ عاما من عمره مع نهاية التسعينات وحان الوقت لاعادة التفكير في عالمنا هذا بدلالة تكنولوجيا اليوم[٨] .

---

(٨) Koelsch , Frank . The Info Media Revolution . – Toronto : Mcgraw – Hill Ryerson . 1995.P.11 .

وقد سميت بوادر هذا التحول في العالم منذ اواسط السبعينيات بثورة التقنية العالية وعصر تقنية المعلومات ومجتمع المعلومات وثورة الحاسوب وانفجار المعلومات ومجتمع الاتصال بلا حدود والانفجار التقني... ان العصر قد دخل منذ الثمانينيات ، مرحلة ابرز ملامحها السيل المتدفق من المعلومات العصية عن الادراك لحجمها وتنوعها وكثافة بثها ، تلاها تطور واسع لوسائل التقنيات (التكنولوجيا) العالية المتصلة بتقنيات المعلومات ووسائل الاتصال (ICT) .

ان السنوات العشر الاخيرة شهدت كمّا هائلا من المعلومات يعادل كل المعلومات التي انتجتها البشرية على مدى القرون المنصرمة ، فضلا عن السعي لايجاد وسائل فاعلة لجمع المعلومات وحفظها وتخزينها واسترجاعها ، أو بمعنى آخر إنها المحرك الرئيس لوجود وسائل تقنية المعلومات وتطورها للقيام بهذه المهمات ولمواجهة التسارع الهائل في زيادة مصادر المعلومات المكتوبة الذي يدلّ على ارتفاع اعداد الدوريات المطبوعة من (١٠٠٠٠) في عام ١٩٠٠ إلى عشرة مليون عام ١٩٨٥[٩].

والمعلومات ادوات اقتصاد المعرفة وراس المال الفكري وهي راس المال ، تماما كما كانت الآلة والنفط سمات العصر الرأسمالي، الموجودات من الطاقة والمادة، وهي وسائل موجودة وتدخل حياتنا ودونما تردد ، إذا لم نلحق

---

[٩] رستم ، هشام محمد فريد . قانون العقوبات ومخاطر تقنية المعلومات . ـ اسيوط : مكتبة الآلات الحديثة ، ١٩٩٢ . ص٦ و ٢٥ .

بعد بهذه (التقنية) وتجرنا الى ما نستهدي لملامح الطريق[١٠] ، كونها المحرك للاقتصاد العالمي الجديد Economic Engine مكونة من صناعات الإنفوميديا ــ وهي الحوسبة ، والاتصالات ، والالكترونيات الاستهلاكية ــ وهذه الصناعات هي اكبر الصناعات العالمية الان وأكثرها توسعا ونموا ، إذْ بلغ رأس مالها في ١٩٩٥ اكثر من ٣ ترليون دولار .

ان عصر الإنفوميديا اعظم انطلاقة واضخم تعزيز على مـــدار تاريخ الاقتصـــاد العالمي ، ومحـــرك التقدم للتكتلات الاقتصادية التجارية العظمى ــ اسيا وأوروبا وامريكا ــ في القرن المقبل ، وليس العالم الالكتروني الانترنت فقط ، اذ ان نظم الحوسبة تستعمل في المكاتب والمطارات والمصارف وغيرها من المؤسسات، وصار الحرفـE يعني الكثيرفي هذا العصر، فالبريد الالكتروني والتجارة الالكترونية والاعمـــال الالكترونية والحكومة الالكترونية والتعـــليم الالكتروني التدريب الالكتروني والنشر الالكتروني والدليـــل الالكتروني وكل ألكتروني .. وترتبط المعلومات (Information) بمختلف جوانب حياتنـــا، وتمثّل ركيزة نشاط الإنسان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، اذ تهيء المعلومات المعرفة بالواقع وابعاد مشكلاته ، وتمكنـــه من اتخـــاذ القرارات المناسبة في حـــل المشاكل .

لقـــد صارت للمعلومات تعاريف " فلسفية ومعرفية ودلالية واجرائية ورياضية وادارية " فقد وُصف مجتمع اليـــوم " بمجتمع المعلومات

---

[١٠] عرب ، يونس . قانون الكومبيوتر . ــ القاهرة : منشورات اتحاد المصارف العربية ، ٢٠٠١ ص١٥ ــ ٣٤ .

"Information Society" ، فالمعلومات كما يراها العالم البريطاني John Naisbitt هي " المــورد الاستراتيجي في مجتمع اليــوم ، وليس رأس المال وحده ، وإن مفتاح الانتاجية والمنافسة والانجاز الاقتصادي هو انتاج المعرفة " .

ان ادراك المجتمعات أهميــة المعلومــات فــي حيــاة الفــرد والدولــة والنشاط الانساني ، أوجد حماية حــق الإنــسان فــي المعلومــات بإســباغ الحماية على تدفق المعلومات وانسيابها والحصول عليها من جهة ، وتــوفير الادوات القانونية لمنع الاعتــداءات علــى هــذا الحــق ، ان الحــق فــي المعلومات يتخذ موقعه بين طائفة الحقوق المؤسسة على التضامن الاجتماعي بين الافراد (وهو الجيل الثالث لحقوق الإنسان) اكثر ممــا يعتمــد علــى العلاقة بين الفرد والدولة . "ويعتبر الحق في المعلومــات ومــا يتعلــق بــه من حقوق اخــرى كــالحق فــي الحيــاة الخاصــة والحــق فــي الملكيــة الفكرية للمعلومات "[١١] .

لقد دعمت تقنيات المعلومات formation Technology[١٢] كثيرا نظم المعلومات وزادت من فعالياتها ، وقد تمثلت هذه التقنيات بعتاد الحاسبات Computer Hardware الذي حسّن قدرتها من حيث سعة الخزن وسرعة معالجة البيانات وسرعة استرجاع المعلومات مع دقة المخرجات ،

---

[١١] حسن ، سعيد عبد اللطيف . اثبات جرائم الكومبيوتر . ــ القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٩٩ ص٧ .

[١٢] جلال ، يسرى صادق . نظام معلومات المواقع الأثرية العراقية ؛ دراسة تطبيقية . بغداد : الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥ . (رسالة ماجستير غير منشورة) ص٦٣ــ٦٤ .

وتغيرت معمارية الحاسبات من المركزية الى اللامركزية ، فضلا عن قلة كلفتها[١٣] .

إذْ كوّنت الأجهزة المحيطة Peripherals Equipments مع الحاسبات بيئة تقنيات المعلومات كالطابعات الليزرية العادية Laser Printers والملونة والماسحات Scanners والكاميرات الرقمية Digital Cameras ومشغلات الأقراص المرنة Disk Drives ومشغلات الأقراص المدمجة CD Drives والصوتيات الرقميـة Digitized Audios ، التي تشكـل أدوات الوسائط المتعددة Multi – Media [١٤] .

ومن تقنيـات المعلومات وسـائط التخزيـن ، التي تطـورت مـن الوسـائط المغناطيسية كالأقـراص المـرنـة الى وسـائط التخزيـن الضوئيـة Optical Media كالأقـراص المـدمجـة بأنواعهـا مثـل : CD – ROM [Compact Disc Read Only Memory] ;

---

[١٣] علي ، نبيل . ثورة المعلومات : الجوانب التقانية (التكنولوجية) في العرب والعولمة ؛ بحوث ومناقشات الندوة الفكرية . ــ بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩ . ص١٠٨ .

- مكاوي ، حسن عماد ومحمود سليمان علم الدين . تكنولوجيا المعلومات والاتصال . ــ القاهرة : مركز تكنولوجيا التعليم ، ٢٠٠٠ . ص٥٨ . انظر ايضا :
- Robins , Srephen P. and Mary Coulter . Management ,6rd . ed. – N.Y.: Prentice – Hall , 2000 .P.499 – 519 .
- Finchman , Robin and Peter Rhodes . Principles of rganizational Behavior , 3rd .ed . – NY .: Oxford Univ.Pr.,1999.P.61 .

[١٤] مكاوي . المصدر السابق . ص١٩٧ ــ ٢٣٧ .

DVD [Digtal Video Disc] ; CD– Read and Write Memory
وأقراص أو الفلاشات الضوئية Flash Disks [١٥] .

لقـد شاركت تقنيات الاتصالات تقنيـات الحاسبات مشاركة كاملـة ، وصارت عنصرا مكمّـلا لها ، حيث ربطت الحاسبات بالعالم الخارجي مـن خلال شبكات المعلومات وباستخدام أجهـزة الاتصالات كالهواتف والأقمار الصناعية ومحطـات البـث الأرضي وغيرها... مكّنـت تقنيـات أجهـزة الاتصالات من زيادة السرعة ، وسعة نقـل البيانات باسـتخدام مواد جديـدة كـالأليـاف الـضوئيـة Optical Fibers والنظـم الرقميـة Digital Systems والنظام الثنائي الاتجاه Analog System وأجهـزة الاتـصال النقّالة وتعـدد اللغات ، كما زاد التحـكم الـذاتي Automatic Control كأداة فـذّة في معالجة المعلومات وادارة العمل الى أقصى حد مـن خـلال التحـكم الذاتي الشامـل في العمـل والورش والخدمـات[١٦]... ، أن أهـم عناصر ثورة التقنية والاتصالات الاتسـاع المذهل لشبكـة المعلومات الدولية (الإنترنت) باستخدام الأقمـار الصناعية التي تكاد تلغـي البعـدين المكـاني والزماني معـا ، وبعد ان كانت شبكـة الإنترنـت فـي بـداياتها خاصـة بالاستعمالات العلمية والبحث ، وبعـد ظهور مـشروع 2 Internet عـام ١٩٩٨[١٧]، وهو مشروع امريكي بدأ من خلال اتحاد اكثر من ١٣٠ جامعـة امريكية مع الحكومة الامريكية وشركات تقنية المعلومات لتطـوير تقنيـات

---

[١٥] علي نبيل . المصدر السابق . ص١٠٨ .

[١٦] المصدر نفسه . ص ١٠٨ ــ ١٠٩ . و • مكاوي . المصدر السابق . ص١٣١ .

[١٧] مجلة انترنت شوبر . ــ عدد ٦/٢٠٠٠ .ص٢٢.

انتـــرنت متقدمة للوصول الى تطبيقات وطــرق بـــحث جديدة مثــل تقنيـــة (E- Learning) في برامج دراســية (التعلــيم عــن بعــد) والمكتبـــات الالكترونية والإفتراضية ومكتبات عامة على الخط المباشـــر Online تتـــيح قراءة امهات الكتب وتتيح طباعتها على الورق وتخزينهــا علـــى الوســـائط الالكترونية او داخل نظام المستخدم ، تكوّن الإنترنـــت المكتبـــة الخاصـــة ، مجموعة من الموسوعات المعرفية في كل الفروع ، في الاداب والشعر وفي الطب والهندسة وفي البناء والتزيين (الديكور) وفي اللغة والصوتيات وفـــي التاريخ والسياسة والجغرافيا فضلاً عن القوانيـــــن والإتفاقيـــات الدوليـــة ، وموسوعات عريقة على شبكة المعلومات (الانترنت)[١٨] ، ومواقع معرفية كثيرة وشاملة ، منها المجاني والاخر بثمن لقاء اشتراك شهري او ســـنوي ، مما خفض كلف الاشـــتراك الـــى مـــدى كبيـــر، والمـــؤتمرات عـــن بُعْـــد

---

[١٨] من اكثر الموسوعات المعرفية شهرة على الانترنت ـــ :

http://www.nupedia.com/ و http://encarta.msn.com/

- ومن المواقع التاريخية http://history.cc.ukans.edu/history

و http://www.hyperhistory.com/ و http://ihr.sas.ac.uk/ihr

و http://www.rootsworld.com/

وموقع الموسوعة البريطانية http://www.britannica.com وموقع موسوعة كولومبيا http://www.encyclopedia.com/ وموقع التراجم http://www.biography.com

- وقاموس مصطلحات الانترنت على موقع www.matisee.net/files/glossary .
- أما عربيا يعد موقع صخر الرائد في انشاء قواعد بيانات موسوعية على الشبكة تضم القواميس والموسوعات ، اما قواعد بيانات صخر ومواقعها الفرعية من خلال الموقع http://www.sakhr.com .

(E- Conferences) وصارت (انترنت ٢) متاحة للجميع ، لقد غطت الشبكة جميع مجالات الحياة المختلفة ، فهي دليل اعمال ودليل انشطة وموضع للبحث العلمي ومكان للتسوق وبيئة للمعارف ، انها بوابة المعرفة وفضاء اتصالي مفتوح على مصراعيه يزيل الحدود الجغرافية ويربط المناطق المتباعدة معا ، ورافق الحرف E والتراسل الإلكتروني والتجارة الإلكترونية والاعمال الإلكترونية والحكومة الإلكترونية والتعليم الإلكتروني والتدريب الإلكتروني والنشر الإلكتروني والأدلة الإلكترونية ، و كل ما هو إلكترون .. ان البيانات هي المادة الخام للمعلومات الناتجة عن معالجة البيانات ، كبرامجيات الحاسوب والمعلومات الشخصية أو المحمية أو السرية لها قيمتها الإجتماعية أو السياسية أو العسكرية ولها قيمة اقتصادية ، أصبحت الإنترنت هذه مخازن لمليارات (الصفحات) من المعلومات والوثائق السياسية والتاريخية والتجارية والثقافية والعلمية والعسكرية والجغرافية والسياحية والقانونية وغير ذلك ، عبر إنشاء مواقع ثقافية وتعليمية ، فالإنترنت بيئة لملايين المواقع الخدمية والتجارية وغير الربحية والحكومية والشخصية ، ولا عجب ان يتسابق العالم الى إحتلال موقع ضمن هذه الشبكة ، من الإنسان الفرد الى اعظم مؤسسات علوم الفضاء ، ومن المؤسسات والهيئات الاهلية الى الحكومات والبرلمانات والمنظمات الدولية[١٩] وتمكّن من أخذ المعلومات أي التحميل (Downloading) .

---

(١٩) فوريستر ، توم . مجتمع التقنية العالية ــ قصة ثورة تقنية المعلومات / ترجمة مركز الكتاب الأردني . ــ عمان : مركز الكتاب الأردني الأردن ، ١٩٨٩ ص٣٣٣ .

ان من خدمات الإنترنت المفيدة في مجالنا هـذا هـي منتـديات الحـوار المتخصصة ، وهي الى مجتمعات ذات فائدة ثقافية ، يمكن اسـتغلال الكلفـة المنخفضة الإنترنت والكفاءة الاتصالية العالية والقدرة على تبادل المعلومـات بكل صورها والقدرة على اللقاءات الشخصية والإجتماعات الحقيقة لتوجه الى بحث موضوعات اكثـر شـمولية تخـدم البـاحثين فـي تنميـة معـارفهم ومهاراتهم[٢٠].

وفي مجـال بحثنا تقـدم الإنترنت خدمة النشـر الإلكتروني التي يمكن الإستفادة منـها في نشر المؤلفـات والدوريـات بموضوعاتـها المختلفة وبصورة رقميـة تتـيح استعراضها وتصفحها مجانـا او مقابل اشتراك ، وقـد تطور النشـر الإلكتروني الى مـدى كبير حتى أثّر على صناعـة النشر والطباعـة الورقية ، بعد انخفاض كلـف المنشورات الإلكترونية قياسـا بالورقية ، وهنـاك عشرة آلاف صحيفـة ودورية في جميـع المـياديـن والفروع وبكـل اللغـات ، ومـن مزاياهـا عـدم حاجـة المنشـورات الإلكترونيـة الـى مساحـات للخزن وعامليـن لإدارتـها والحـفاظ عليها ، ويمكـن تحْميل ملاييـن الكتب على اقراص تحفظ في حقيبـة واحدة ، ان كبرى مؤسسـات النشر أنشأت لها مواقع على الشبكة ، وكثير من جهات النشر الناشئة حديثـا وجدت الشبكة بيئة للعمل من دون

---

(٢٠) من منتديات الدردشة العربية انظر ــ :

, www.web-market.com/pc/chatroom.html

www.geocities.com/area51/4115/arab.html

و www.kern.com/~bahrain/ و www.fares.net/chat .

• اما دوليا فان كل موقع محرك بحث او دليل يشير الى غرف الدردشة ومنتديات الحوار.

الحاجة الى مطـــابع ضخمـــة او مكاتب واقعية ، كما ان كل مرجع علمي يتضمن اليوم قرصا مدمجـــا ، ان الكتاب الإلكترون صيغـــة متوفرة عبر الإنترنت[٢١][٢٢] .

---

[٢١] من مواقع النشر الالكتروني العالمية الشهيرة في حقل الكتب ـــ:

http://www.ebokconnections.com/

و http://www.epublishingconnections.com/

و http://www.glassbook.com/ وغيرها الكثير .

وهناك http://www.books-on-line.com/ و http://users.quare.net/ ،

والكتب الالكترونية http://www.books.com/ ،

والمكتبة الافتراضية http://www.libraryspot.com/

والنص الكتابي من اكسفورد http://ota.ox.uk/

وكتب بالصيغة الرقمية http://digital.library.upenn.edu/books/

ومتجر امازن لبيع الكتب على النترنت http://www.amazon.com/

من مواقع النشر الالكتروني العربي موقع الوراق الذي يضم امهات كتب التراث العربي وعنوانه http://www.alwaraq.com/ . ومكتبية النيل والفرات لبيع الكتب العربية عبر النترنت http://www.neelwafurat.com/

والدار العلمية لبيع الكتب http://www.al-ilmiyah.com.lb/

والمكتبة الافتراضية / موسوعات مجانية http://vlib.org/

أما مواقع الصحف اذ يكفي في حالات كثيرة وضع اسم الصحيفة او المجلة بالانجليزية متبوعا بكلمة (com) ، مثل -:http://www.almada.com/ لصحيفة المدى ، او http://www.alzaman.com/ ، ويمكن استعمال محركات البحث لتصفح أي دورية الكترونية .

[٢٢] الصباغ ، عماد عبد الوهاب . الإنترنت وآفاق صناعة النشر في العالم العربي . في مجلة رسالة المكتبة . ـــ عمان : جمعية المكتبات الأردنية ، ١٩٩٩ . مج٣٤ ع١و٢ . ص٤٤ ـــ٥٧ .

٨- أدوات المؤرّخ العراقي والعربي المعاصر ودوره في النشاط التأريخي الرقمي :

ان رسالة المؤرخ هي القيام بدور الذاكرة للجنس البشري ، وهنا تبرز مشكلات تعريف نوع الذاكرة كالذاكرة الاجتماعية والدينية والاقتصادية... فالذاكرة التاريخية ينبغي ان تتسع لنشاطات الجنس البشري كله دون الاقتصار على تاريخ السلطة الحاكمة ، وادراكا لأهمية التأريخ في المعرفة العالمية والعربية[٢٣] ، لابد للمؤرخ العراقي من التعرف على أهمية المعرفة المعلوماتية في المجتمعات :

- بإدراك الحاجة إلى المعلومات .
- وأهمية القدرة على الوصول إلى المعلومات المطلوبة بفاعلية .
- والقدرة على تقييم المعلومات المتاحة ومصادرها .
- واستخدام المعلومات بفاعلية للوصول إلى الأهداف المرجوة.
- الفهم الجيد للقضايا الإقتصادية والإجتماعية والتشريعية المتعلقة باستخدام تكنولوجيا المعلومات.

٩- الإستنتاجات :

تستنتج الباحثة ما يأتي :

١- إفتقار التأليف التأريخي العربي الى التأليف الموسوعي والمرجعي ، كالموسوعات على غرار (Encyclopedia Britannica) ومعاجم التراجم العامة والمتخصصة على غرار (Who's Who)

---

[٢٣] راجع مقدمة البحث ص١ .

و(International Who's Who) والكتب السنوية على غرار (Year Books) والتقاويم على غرار(World Almanacs) التي يسهل مراجعتها والحصول على معلوماتها بسهولة وسرعة.

٢- إن الدراسات التأريخية الحديثة في معظمها لا تؤرخ للنشاطات الإجتماعية والإقتصادية، ولابد من اعتبار ان التاريخ والعلوم الاجتماعية والإقتصادية وحدة واحدة كبيرة ومتناغمة...

٣- ضعف استعمال طرق البحث والبيانات الكمّية في كتابات الباحثين المحدثين ، ربما لعدم اهتمامهم بالنشاطات الإجتماعية والاقتصادية؛ أو لعدم إتاحة الإحصائيات الدقيقة .

٤- أهمال الإهتمام بالوثائق الوطنية (الأرشيف الوطني) وعدم الإهتمام الجدي بتأهيل وثائقنا الألكترونيا ، إذْ يقضي الباحث ساعات طويلة يفتش بين السجلات ، ناهيك عن التخريب والتلف الذي طال الوثائق الوطنية العراقية فيما يعرف بـ (دار الكتب والوثائق) في أثناء احتلال العراق ٢٠٠٣م .

٥- ضعف النشاط التأريخي العربي عامة والعراقي خاصة على صفحات الإنترنت، وللمتصفِّحين من الباحثين عن المعلومات السريعة، مع ضعف مشاركة المؤرخ العراقي في انتاج المعلومات التأريخية الرقمية[٢٤] .

٦- ضعف الإهتمام بتأصيل استعمال تقنيات المعلومات لدى المؤرخ العربي وتمكينه من استعمال التقنيات بما يتناسب مع الأوضاع البيئية والإجتماعية

---

[٢٤] غنيم ، جبرا . التأريخ العربي على الإنترنت غائب بامتياز . في مجلة إنترنت العالم العربي . ــ القاهرة : ٢٠٠٢ . ع مارس / آذار ص٥٩ ــ ٤٦ .

والإقتصادية في العالم ، عبر التطبيق الفعّال لتقنياتيات المعلومات والاتصالات وتنمية الثقافة الإلكترونية[٢٥] ، لتضييق الفجوة الرقمية بين العرب وبين الدول المتقدمة . راجع الشكل رقم (١)

١٠- التوصيات :

توصي الباحثة بما يأتي :

١- معالجة اللغة العربية رقميا مثل الترجمة الآلية والتدقيق الإملائي والنحوي ، ودعم تطوير صناعات المحتوى العربي الرقمي سيفيد منها الناطقون بالعربية ولاسيما في الجوانب المعرفية ، كالبرمجيات وتطوير برنامج يسمح بتحويل النص العربي المطبوع أو المكتوب رقميا ، على غرار برنامج التعرف البصري للغة الإنكليزية OCR .

٢- معالجة أمهات الكتب العربية القديمة (والتي تحوي على بيانات ضخمة) معالجة رقمية (Digitization) ، من خلال تحميلها على الأقراص المدمجة (Compact Disks) ، مما يسهل التعامل معها رقميا .

٣- العمل الجدي لتأهيل الوثائق العراقية الإلكترونية والمحافظة على المتبقي منها ، وجعلها متاحة للباحثين وطلاب المعرفة .

٤- توظيف تقانة المعلومات في تطوير منظومة المعرفة التأريخية العراقية .

٥- الإهتمام بزيادة كتابات الباحثين التأريخية باللغات الأجنبية الشرقية أو الغربية ، والموجهة الى الباحثين ، وطلاب المعرفة من الأجانب ، لزيادة

---

[٢٥] نوريس . المصدر السابق . ص٢٧٥ ـ ٣٠١ .

التعريف بالثقافة العربية والإسلامية ، مما يستدعي تأهيل المؤرخين في لغات عـدة .

٦- الإهتمام بدراسات التأريخ الإجتماعية والإقتصادية ، وتدريب المـؤرخين الجـدد على استخدام الطرق الإحصائية ومعالجة البيانات الكمّية.

٧- إنشـاء مواقع على شـبكة الويب ذات محتوى ثقافي تـأريخي عربي وإسلامي(٢٦) .

٨- إنشاء موقع لتراجم أعلام علماء العراق ورواد نهضته الحديثة والعرب والمسلمين من الرواد والمحدثين ، لإحياء ذكرى العلماء والمبدعين والمفكرين الذين أثروا المعرفة الإنسانية ، وعرض مكانة الحضارة العربية الإسلامية في تاريخ العلم في العالم الإسلامي وفي العربي ، ولتعريف العالم بالإسهامات الفكرية في الحياة البشرية وآثار علمائهم في مجالات العلوم المختلفة ، ان مثل هذا المشروع يتطلب جهدا جمعيا والعمل بروح الفريق الواحد .

٩- تعريف الباحثين بالمواقع المماثلة العربية والعالمية من خلال التدريب .

١٠- إنشاء مواقع للهيئات الثقافية مثل بيت الحكمة على شبكة الإنترنت ، بعد تحديد مستلزماته وأولوياتـه :

- عرض أهـم إعمال البيت وإصداراته ، للحصول على المـواد الثقافية التأريخية والمعرفـة أخرى .
- الإهتمام بجمالية صفحاته .
- جعل الموقع تفاعليا، يفتح صفحاته للمتصفحين في جميع أنحاء الوطن العربي والعالم ، أخذا وعطاء ، ويستلم التعليقات على ما ينشره ويتيح مجالا

---

(٢٦) راجع : جلال ، يسرى صادق . المصدر السابق ص١٠٨ ـ ١٢٩ .

للحوار والإجابة عن الأسئلة التي تطرح وإتاحة عناوين أخرى كمواقع الباحثين العراقيين .

- التعريف بخريطة الموقع والبحث في الموقع، بما يتيح للمتصفحين سهولة الاتصال بالبريد الإلكتروني..
- يتيح الموقع إنشاء مواقع فرعية خاصة بموضوعات رئيسة للتأريخ العربي كموقعِ التراجم الخاص بالثقافة العربية الإسلامية وكالعلوم عند العرب .
- ينشط الموقع التبادل الثقافي في المؤتمرات والزيارات المحلية والإقليمية والدولية ويسهم بالتعرف بالمؤرخين والباحثين الإقليميين والأجانب .
- الحصول على الموارد المالية من خلال مرات زيارة المتصفحين للموقع .

١١- تقديم الوجه المشرق والوضّاء للثقافة العربية الإسلامية ردا على حملات التشويه المضللة التي تستهدف المنظومة القيمية للحضارة العربية الإسلامية ، وللتصدي للمحاولات التي تقوم بها المواقع الأجنبية من تضمينها تحريفات متعمدة تسيء للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وللعرب وحضارتهم .

١٢- بناء قواعد بيانات خاصة بالرسائل الجامعية في المجال التأريخي للجامعات ومراكز البحوث التأريخية العراقية ومستخلصاتها ؛ والتعريف بالباحثين المؤرخين على شبكة المعلومات ، ضمانا لحقوقهم الفكرية والمادية ، بعد تعرّض بعض من الرسائل الجامعية العراقية الى السرقة العلمية .

١٣- كما يمكن الإستعانة بالنشر الألكتروني في عرض أدبيات المؤرخين العراقيين والدوريات التأريخية العراقية ، تسهم في التعريف بهم وبأفكارهم ، فضلا عن ضمان حقوقهم الثقافية .

١٤- ضمان حقوق المؤلف والباحث العراقي من السرقة الثقافية ، عبر التوقيع على اتفاقية حماية الملكيّة الفكرية، والتي ترعاها المنظمة الدوليّة لحماية الملكية الفكرية (WIPO) .

١٥- المشاركة في التأليف المرجعي والموسوعي ، واللحاق بالثقافات العالمية للأمم والشعوب المتقدمة والنامية التي لها تأليف موسوعي بثقافتها .

ان تحقيق ما سبق سيدعم المعرفة التأريخية ، وسيسهم الى درجة كبيرة في :

- تكوين وعي ثقافي لدى المثقف العربي يعزز ثقته بالحضارة والتراث العربي ودورهما في تنمية ورقي الإنسانية .
- إدامة الإتصال المتجدد والدائم بين الأجيال العربية بالتعهد بالتحديث والتطوير جيلا بعد آخر ، مع مراجعة العلماء المستمرة لهذه المواقع .
- توفير مصادر علمية عربية موثوقة ، متاحة لطلاب المعرفة من الباحثين والطلبة .
- إتاحة الفرصة للعلماء والباحثين العرب لكتابة التاريخ الثقافي والحضاري ، وتصويب ما تسرب من الأخطاء وتدليس فيه من غيرهم ، سواء عن قصد أو عن جهل .

المصادر :

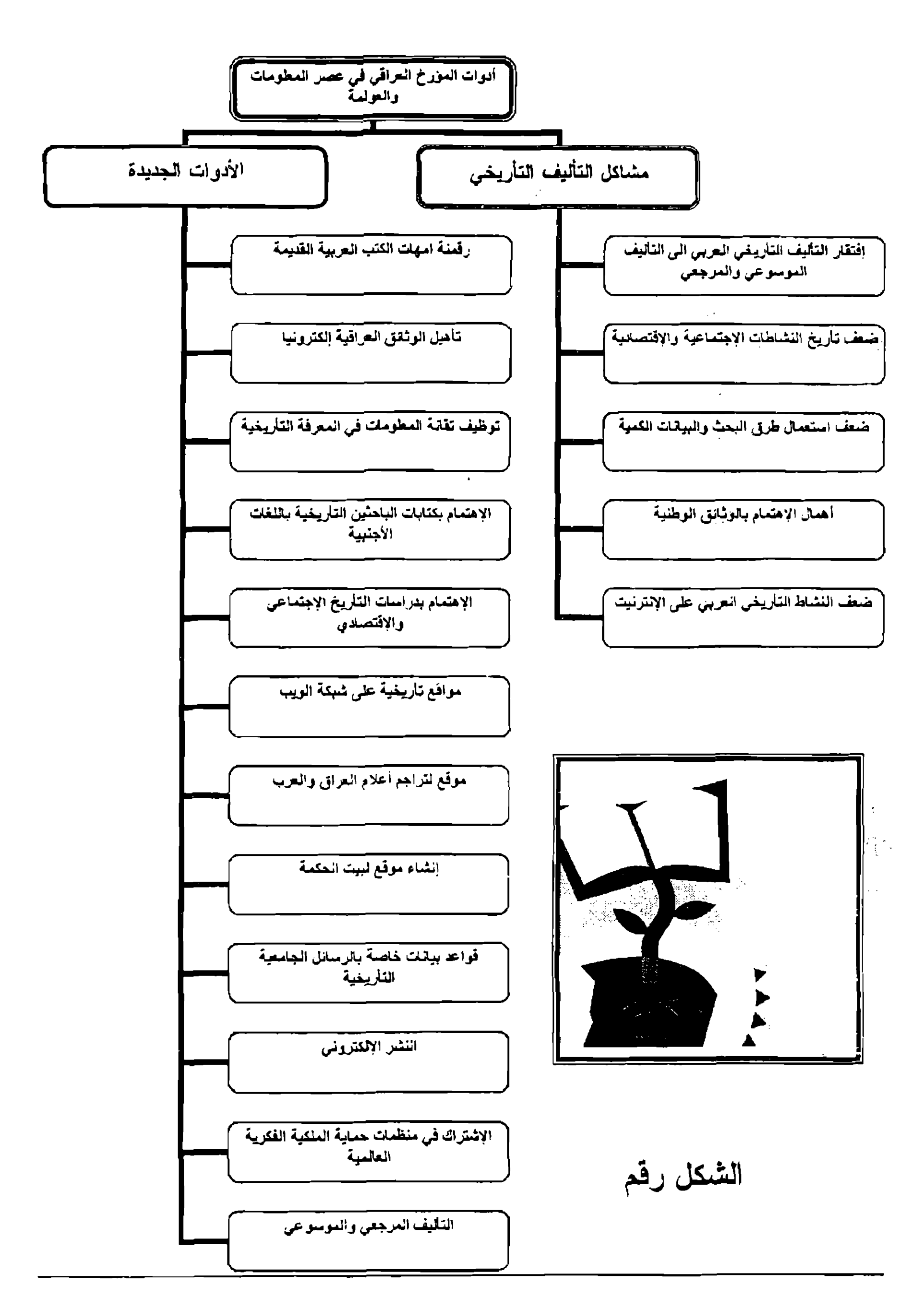
١- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد . مقدمة إبن خلدون / تحقيق علي عبد الواحد وافي . ــ القاهرة : لجنة البيان العربي ، ١٩٥٧ . ج ١.

٢- جلال ، يسرى صادق . نظام معلومات المواقع الأثرية العراقية ؛ دراسة تطبيقية . ــ بغداد : الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥ . (رسالة ماجستير غير منشورة) .
٣- حسن ، سعيد عبد اللطيف . اثبات جرائم الكمبيوتر . ــ القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٩٩.
٤- خليل ، عماد الدين . حول اعادة كتابة التأريخ . – الدوحة : دار الثقافة ، ١٩٨٦. ص ٣٦-٣٧ وص ٥٥ .
٥- رستم ، هشام محمد فريد . قانون العقوبات ومخاطر تقنية المعلومات . اسيوط : مكتبة الآلات الحديثة ، ١٩٩٢ .
٦- روزنثال ، فرانز . علم التأرخ عند المسلمين / ترجمة أحمد صالح العلي ، مراجعة محمد توفيق حسين . ــ بغداد : مكتبة المثنى ، ١٩٦٣ .
٧- الصباغ ، عماد عبد الوهاب . الإنترنيت وآفاق صناعة النشر في العالم العربي . في مجلة رسالة المكتبة . ــ عمان : جمعية المكتبات الأردنية ، ١٩٩٩. مج ٣٤ ع ١و٢ .
٨- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير. تأريخ الرسل والملوك / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ــ القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٠ . ج١ (ذخائر العرب ٣٠) .
٩- عرب ، يونس . قانون الكمبيوتر . ــ القاهرة : منشورات اتحاد المصارف العربية ، ٢٠٠١ .

١٠- علي ، نبيل . ثورة المعلومات : الجوانب التقانية (التكنولوجية) في العرب والعولمة ؛ بحوث ومناقشات الندوة الفكرية . ــ بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩ .
١١- غنيم ، جبرا . التأريخ العربي على الإنترنيت غائب بامتياز . في مجلة إنترنت العالم العربي . ــ القاهرة :٢٠٠٢ . ع مارس/آذار .
١٢- فوريستر ، توم . مجتمع التقنية العالية – قصة ثورة تقنية المعلومات/ ترجمة مركز الكتاب الأردني ــ عمان: مركز الكتاب الأردني الأردن١٩٨٩.
١٣- مكاوي ، حسن عماد و محمود سليمان علم الدين . تكنولوجيا المعلومات والاتصال . ــ القاهرة : مركز تكنولوجيا التعليم ، ٢٠٠٠.
١٤- مجلة انترنت شوبر . ــ عدد ٦ / ٢٠٠٠ .
١٥- نوريس ، بيبا . الفارق الرقمي ؛ الميثاق المدني ، فقر المعلومات والإنترنيت / ترجمة هشام عبدالله ، مراجعة محمود الزواوي . عمان : الدار الأهلية ، ٢٠٠٦ .
١٦- Daniels, Robert V. Studying History; How and why. N.J.: Englewood Cliff, 1966.@
١٧- Encyclopedia Americana._ N.Y.:Americana Corporation, .1962. Vol. 14
١٨- Finchman, Robbin and Peter Rhodes. Principles of rganizational Behavior,3rd.ed.- NY.: Oxford Univ.Pr.,1999.
١٩- Koelsch, Frank. The Info media Revolution.- Toronto: McGraw-Hill Ryerson, 1995.
٢٠- Stephen P.and Mary Coulter. Management,6rd.ed.- Robins, Hall,2000. N.Y.: Prentice-

بعض المواقع المذكورة :

http://digital.library.upenn.edu/books/
http://encarta.msn.com/
http://history.cc.ukans.edu/history
http://ihr.sas.ac.uk/ihr
http://ota.ox.ac.uk/
http://www.books.com/ http://users.quare.net/
http://vlib.org/
http://www.al-ilmiyah.com.lb/
http://www.alwaraq.com/
http://www.amazon.com/
http://www.biography.com/
http://www.books-on-line.com/
http://www.britannica.com/
http://www.ebokconnections.com/
http://www.encyclopedia.com/
http://www.epublishingconnections.com/
http://www.glassbook.com/
http://www.hyperhistory.com/
http://www.libraryspot.com/
http://www.neelwafurat.com/
http://www.nupedia.com/
http://www.rootsworld.com/
http://www.sakhr.com/
www.web-market.com/pc/chatroom.html
www.fares.net/chat
www.geocities.com/area51/4115/arab.html
www.kern.com/~bahrain/
www.matisee.net/files/glossary

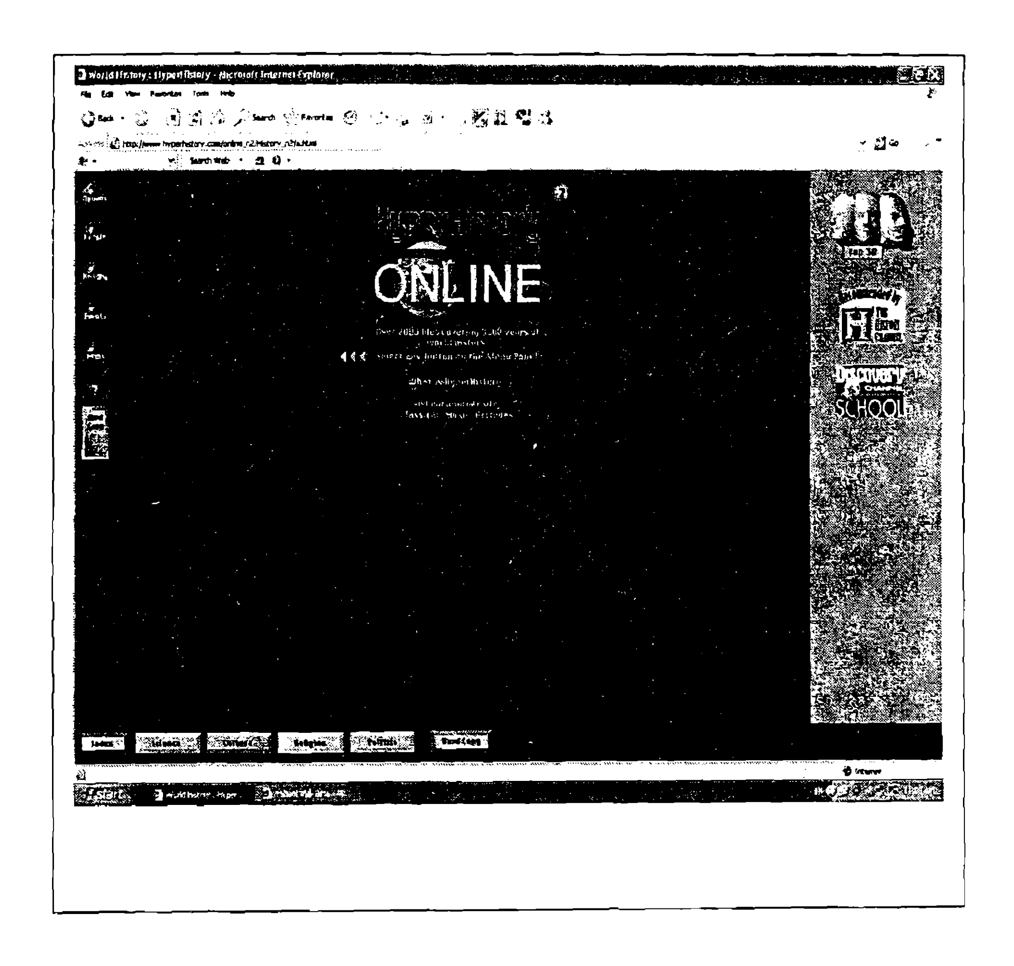

أدوات المؤرخ العراقي في عصر المعلومات والعولمة
مشاكل التأليف التأريخي
الأدوات الجديدة
إفتقار التأليف التاريخي العربي الى التأليف الموسوعي والمرجعي
ضعف تاريخ النشاطات الإجتماعية والإقتصادية
ضعف استعمال طرق البحث والبيانات الكمية
أهمال الإهتمام بالوثائق الوطنية
ضعف النشاط التاريخي العربي على الإنترنيت
رقمنة امهات الكتب العربية القديمة
تأهيل الوثائق العراقية إلكترونيا
توظيف تقانة المعلومات في المعرفة التاريخية
الاهتمام بكتابات الباحثين التاريخية باللغات الأجنبية
الإهتمام بدراسات التاريخ الإجتماعي والإقتصادي
مواقع تاريخية على شبكة الويب
موقع لتراجم أعلام العراق والعرب
إنشاء موقع لبيت الحكمة
قواعد بيانات خاصة بالرسائل الجامعية التاريخية
النشر الالكتروني
الاشتراك في منظمات حماية الملكية الفكرية العالمية
التأليف المرجعي والموسوعي

الشكل رقم

الملحق (نمـــاذج لمواقع تأريخية)

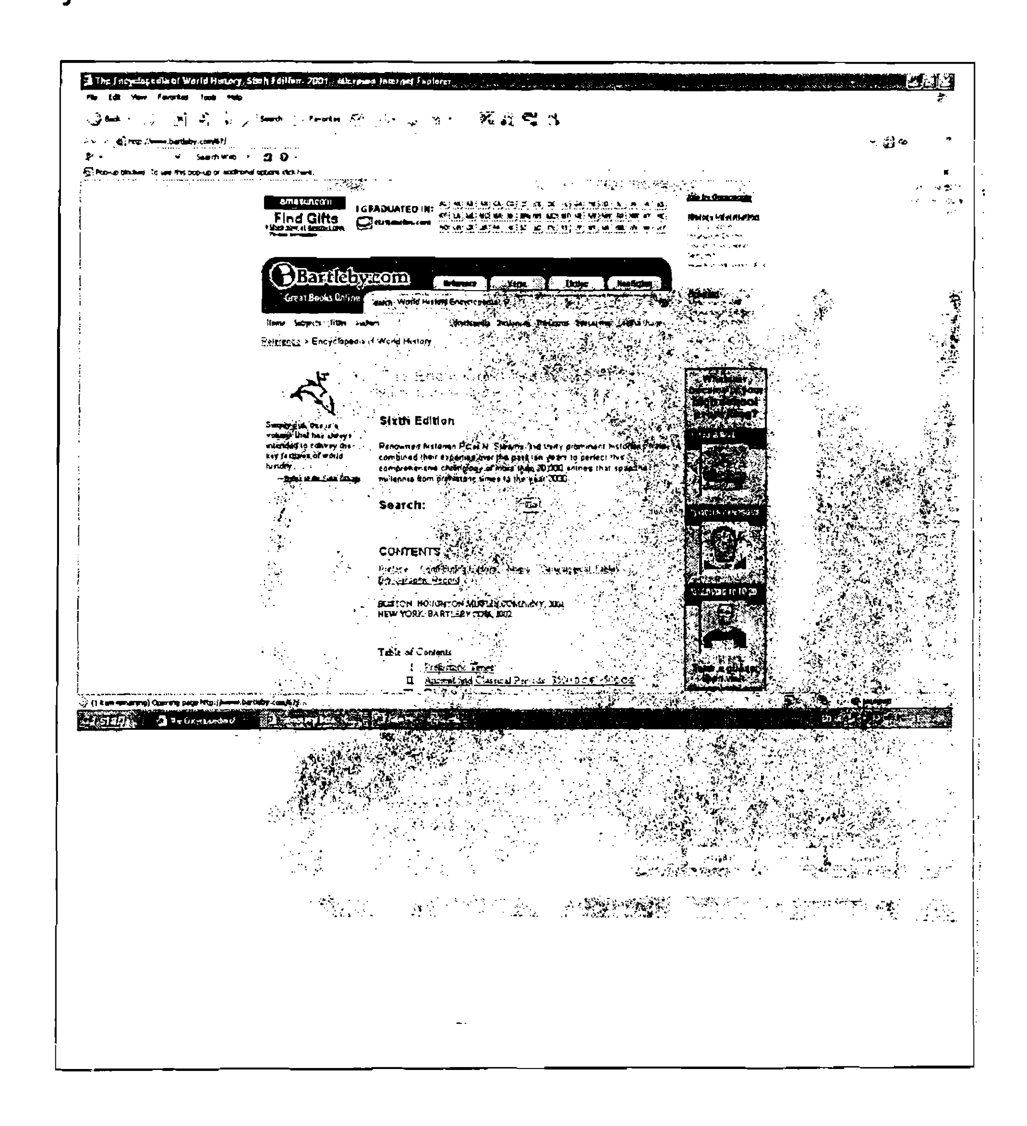
http://www.hyperhistory.com/online_n2/History_n2/a.html

Hyper History Online navigates through 3000 years of world history with timelines of civilizations (plus maps), people, and events.

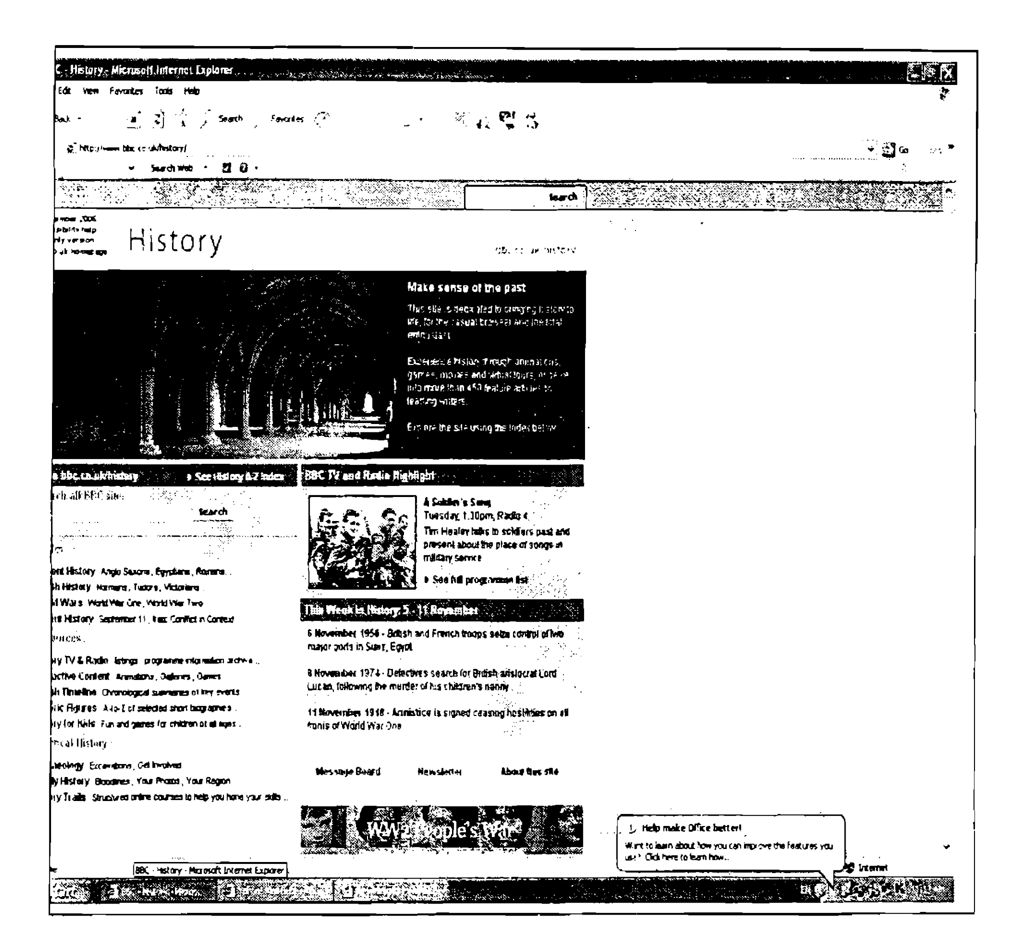


http://www.bartleby.com/67/

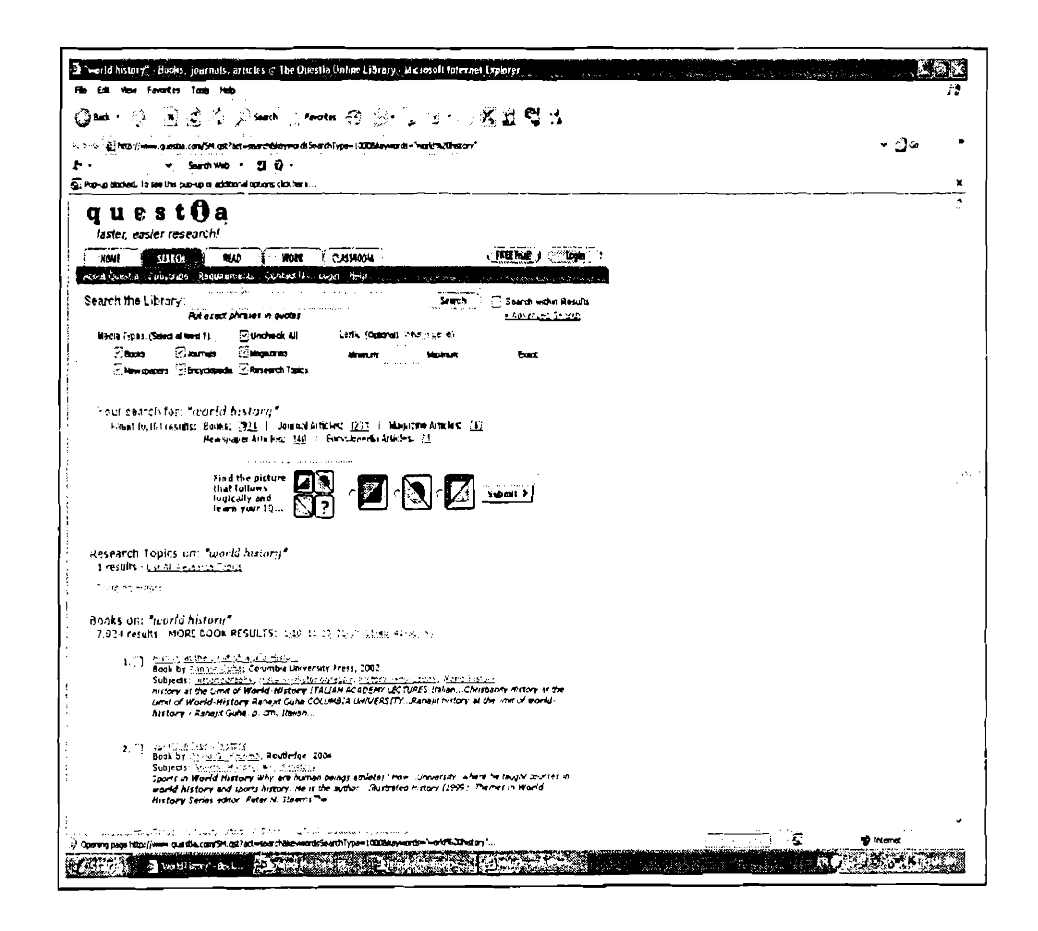
Comprehensive chronology of more than 20000 entries that span the millennia from prehistoric times to the year 2000.



http://www.bbc.co.uk/history/
Homepage of the BBC History website. ... This site is dedicated to bringing history to life, for the casual browser and the total enthusiast. ...



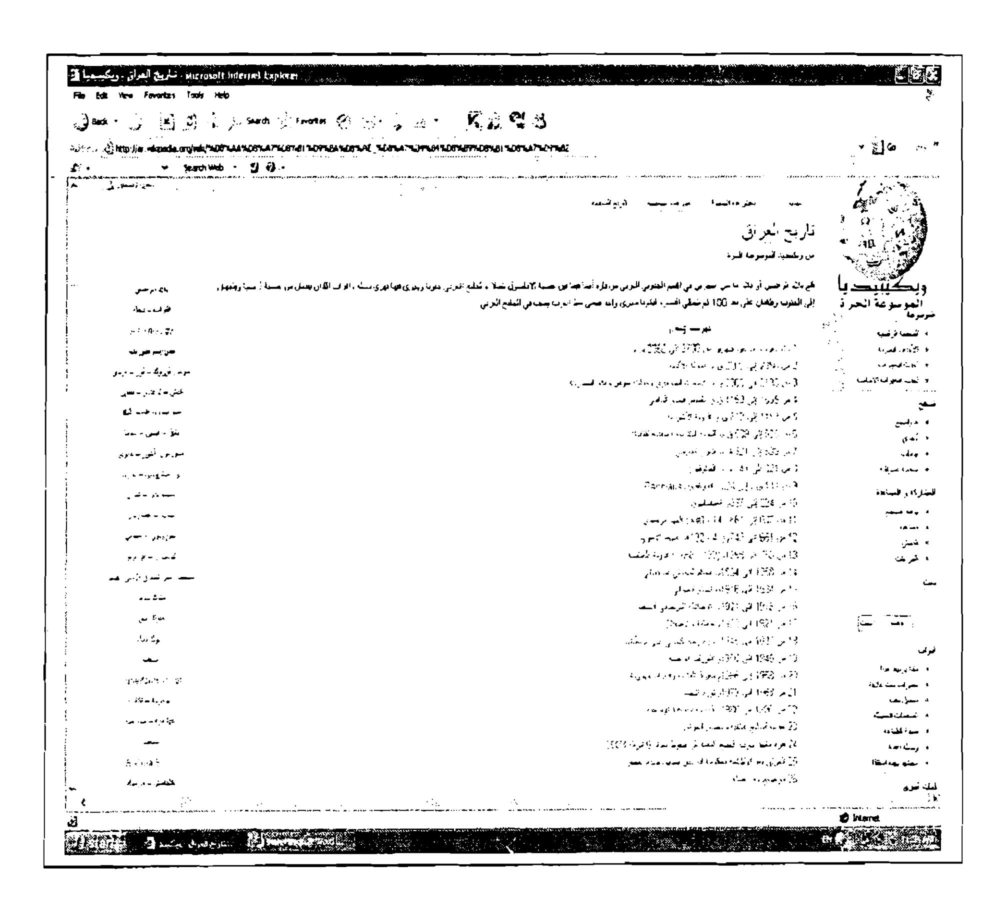
http://www.questia.com/
Research World History at Questia. Subscription Required.



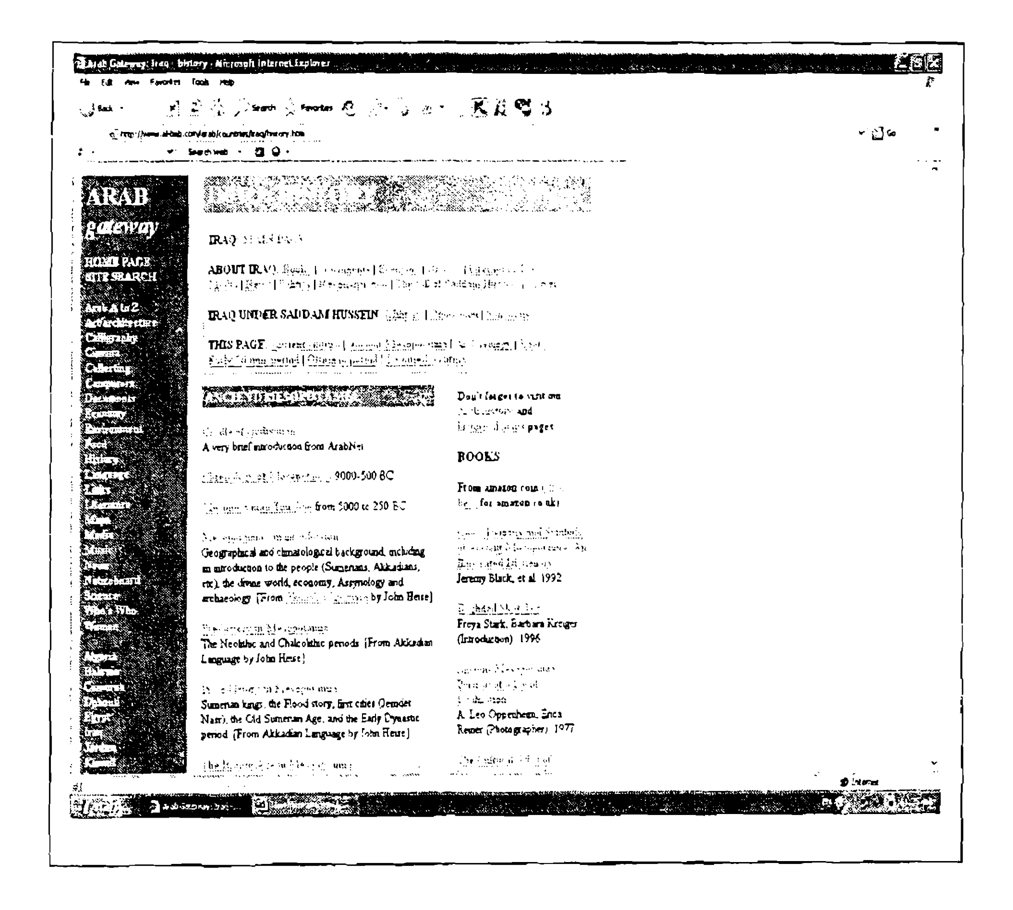
مواقع لتأريخ العراق

http://ar.wikipedia.org/wiki/

[edit] Modern History. Ottoman rule over Iraq lasted until the Great War ... In retrospect, the 1970s can be seen as a high point in Iraq's modern history.



http://www.al-bab.com/arab/countries/iraq/history.htm
Ancient and Modern Chaldean History: A Comprehensive Bibliography of Sources Ray Kamoo. 1999. A History of Iraq Charles Tripp. 2000 ...



الثنائيات الأخلاقية في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام

الدكتورة نضال احمد باقر

الملخص :

يتعرض هذا البحث لاهمية الثنائيات الأخلاقية في شعر المخضرمين ، ويبين أن بؤرة التضاد وفاعليته تظهر حينما يجتمع الضدان على خط مستقيم واحد ، فيتركان خلفهما ظلال المعاني ليظهر احدهما ـ أي المتضادين ـ موضوعة الآخر ومحاسنه وكل أبعاده المعنوية والجمالية التي كانت متماهية خلف آثار اصطراع المتضادات ، ولإيضاح أهمية الثنائيات الأخلاقية . تطرّق البحث إلى اثر الثنائيات في تنظيم فعاليات سلوك الشعراء المخضرمين ورغباتهم ، إذْ يحكم بعضها التقابل الثنائي ، فالخير يقابله الشر ، والصدق يقابله الكذب ، والوفاء يقابله الغدر ، وانتهى البحث إلى أن لظاهرة الثنائيات الأخلاقية في شعر المخضرمين صلة وأثرا واضحا في حياة المجتمع ، ففيها تبرز أحوال الناس ومعتقداتهم ومشاعرهم ، وتتضح من خلالها أخلاقهم وطبيعة تعاملهم ، يستطيع المتلقي أن يتبين أثرها النفسي لدى الشعراء من خلال نتاجهم الشعري .

المقدمة :

الثنائيات المتضادة مفهوم شعري نجده في الشعر العربي واضحا مؤديا دورا جوهريا في إيصال الفكرة التي يروم الشاعر إيصالها إلى المتلقي ، ولا تبدو الثنائيات المتضادة واضحة إلاّ إذا نظر إليها من خلال حالة

شعرية تهزُّ كيان الشاعر ؛ وليس أكثر من الإسلام تأثيرا في الشاعر الجاهلي ، الذي أصبح أمام حالة إنسانية جديدة غيّرت حياته كليا ؛ وفي كل نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية ؛ لذا كان الالتفات إليها ضرورة ملحّة ؛ ودرسها ضرورة يقتضيها البحث الأدبي ؛ لهذا درستُ الثنائيات الأخلاقية في شعر المخضرمين لما لها من بالغ الأثر في تنظيم الحياة الاجتماعية وشد أواصرها وتوجيه السلوك الاجتماعي نحو وجهة الخير والمحبة والتعاون ، وقد أحدث الإسلام ثورة في حياة العرب أدت إلى تغيير شامل في كل مفردات الحياة وتفاصيلها فتأثرت المفاهيم والأفكار والقيم السائدة آنذاك بما جاء به الإسلام من مبادئ وأفكار جديدة ، وكان للشاعر دوره الفاعل والمؤثر في تلك الأحداث والوقائع للدفاع عن الإسلام والرد على مناوئيه ، فكان الشعر مرآة صادقة أثرت فيها كل صور الحياة ، وما يتعلق بها من قيم ، ومثُل عليا ؛ لذلك اخترت ثنائية الخير ضد الشر ، والصدق ضد الكذب ، والوفاء ضد الغدر ؛ لتكون أنموذجا للثنائيات الأخلاقية . ونستطيع من خلالها أن نكوّن صورة شاملة للحياة الاجتماعية ، وما يرافقها من قيم ومثُل عليا وأفكار ترسخت في الأذهان وتجسدت في المجتمع وظهرت آثارها واضحة في الشعر المخضرم ؛ لهذا كان من الضروري دراستها والإحاطة بها .

المبحث الأول

الثنائية المتضادة (الخير ضد الشر)

الخير في اللغة ضد الشر وجمعه خيور وفيه قال النمر بن تولب :

وَلاقيــتُ الخُـــيُورَ وأخطَأتنِـــي   شـــرُورٌ جـــةً وَعَلوتُ قِرني[1]

والخير كل فعل فيه صلاح الآخرين ، والشر نقيضه وهــو كــل رذيلــة يستكرهها الناس وترفضها الأذواق السليمة ((وجمعه شرور))[2] .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان على وجه البسيطة خليفته في أرضه قال تعالى : ((إِنّي جَاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَة))[3] . وأوجد معه الخير والشر يصطرعان في داخله . قال تعــالى : ((وَنَفْــس وَمَــا سَــوَّاهَا * فألْهَمَهــا فُجُورَها وتَقْواها))[4] .

لذلك اختلفت آراء العلماء في طبيعة الإنسان الشريرة والخيّرة ، فبعضهم يرى إنَّ الشر يغلب عليها ولا تستطيع منه فكاكا ((فالإنسان شرير بطبيعــة غرائزه المتأصلة فيه ، كما إنَّ رغباته شريرة أكثر منهــا خيــرة))[5] وإنَّ الإنسان جُبِل على فعل الشر ، وهو بطبيعته التي خُلق عليها إنــسان شــرير لا يعرف الخير ولا يستطيع التسامي إليه .

ومنهــم مَــنْ يرى أن طبيعــة الشخصيــة الإنسانية خيرة وإن الــشر يأتي من المجتمع ((فإذا أردنــا أن نــصلح الحيــاة الإجتماعيــة فعلينــا أن نربي الناشئة تربية طبيعية بعيدة عن مــؤثرات المجتمــع وشــروره))[6] .

---

[1] شعراء إسلاميون ، شعره : ٣٩٢، الخيور مفردها خير .

[2] لسان العرب ، مادة : (شرر) .

[3] سورة البقرة ، من الآية : ٣٠.

[4] سورة الشمس ، الآيتان : ٧ــ ٨ .

[5] منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته : ٩٥ .

[6] المصدر نفسه : ٩٦ .

ولعل جان جاك روسو هو أكثر مَنْ دعا إلى هذا الرأي في كتابة العقد الإجتماعي ، وكانت فلسفة هذه مستقاة من مبادئ الإسلام العظيمة ، وقد تأثر به بعض علماء التربية والإجتماع الغربيين وصاروا يؤكدون ما ذهب إليه من إن الإنسان خير بطبيعته لأنه جاء عن طريق خالق الكون ، فإذا ما مسته يد الشر أحالته إلى شرير[٧] .

وقد نظر الشعراءُ المخضرمون في العصر الجاهلي إلى موضوعة الخير ضد الشر فأوجدوا لها معنيين مرتبطين مع بعضهما الأول مادي وهو ((ما يرغب فيه وما يكره))[٨]. ومنه قول كعب بن زهير :

لَعَمرُك لَـوْلاَ رَحْمَـةُ اللهِ إنَّنـي	لأمْطُو بِجَدٍّ ما يُرِيدُ لِيَرْفَعَا
فَلو كنتُ حُوتاً ركضَ المَاءُ فَوْقَهُ	ولَوْ كنتُ يَرْبُوعاً سَرَى ثم قَصَّعَا
إذا مَا نتجنا أربعاً عامَ كفأة	بَغَاهَا خَنَاسِيرٌ فَأَهْلَكَ أَرْبَعَا
إذا قُلْتُ إنِّي فِي بَلاَدٍ مَضَلَّةٍ	أَبَى أنَّ مَمْسَانا ومُصْبَحَنَا مَعا[٩]

والمعنى الثاني دارَ حول المعنى الأخلاقي وهو ((تابع للمعنى المادي .. فالخير بالمعنى الخلقي هو صنع ما ينفع الناس ويسعدهم والشر يقابله))[١٠]

---

[٧] ينظر : منهج التربية ، أصوله وتطبيقاته : ٩٧.

[٨] الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٠٣ .

[٩] شرح ديوانه : ٢٢٧ ، أمطوا : أخذ ، الجَدُّ : الحظ وإنما يشكو حظه ، قصع دخل القعصاء وهي حجرة اليربوع ، الخناسر : الدواهي .

[١٠] الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٠٥ .

وعمرو بن معد يكرب في جاهليته استعمل الثنائية المتضادة (الخير ضد الشر) إستعمالا يدل على إظهار الإعتداء والشر حين قال :

فَلَمَ نقتلْ شِرارُهمُ ولكن   قتلنا الصالحينَ ذوي السلاحِ
قَتَلْنا مُطعمِ الأَضيافِ منهم   وأصحابَ الكريهةِ والصباحِ[11]

إنّ متأمل النص يجد أن الواقع الأصلي له هو الفخر وقد عبّر الشاعر عن هذا الواقع شعرا فنقلنا إلى ساحة الصراع والتخاصم والتحارب ، فكانت هذه الثنائية المتضادة (الشر ضد الخير) بمثابة وعاء هذا الصراع ، فقد استطاع الشاعر أن يوظف أسلوب التضاد بالكلمات لأنه الأسلوب المناسب لهذا الواقع ، ولأن كل متضادتين متصارعتان متخاصمتان في الوقت عينه ، فهما إذن لا تجتمعان أبدا ؛ لأن أساس وجودهما التنافر والضدية . ومنذ بداية غرض النص الأصلي يبدأ الشاعر باستعمال أسلوب التضاد المتقابل على مستوى الأفعال المتقابلة والمتصارعة في بنية النص وهي (فلم نقتل ضد قتلنا) ، واستعمل لفظة شرارهم التي يقابلها في جداول المتضادات المعجمية (خيارهم) قد عدل عنها إلى الصالحين وهي نتيجة لخيارهم وقد كثّف الشاعر جملته ، فأبعد خيارهم وجاء بلفظة الصالحين ، وبذلك استطاع أن يرسم الواقع بالكلمات ليفرز صورة حيةَ للواقع العربي المعاش آنذاك القائم على الصراع القبلي .

---

[11] ديوانه : ٥٢ ــ ٥٣ ، وينظر مثل ذلك : ١٤٨ ، وشرح ديوان الخنساء : ١٨٥.

وشغلت الأنساب تفكير العرب كثيرا ، لأنها علم من علومهم التي عقدوا لها مؤلفات ضخمة[١٢] ، وهذا يدلُّ دلالة واضحة على مكانتها المهمة لديهم ، فقد أفتخر حسان ابن ثابت في جاهليته بأنه لا يستطيع أن يخلف أباه ، لأنه أفضل منه وجاء ذلك ردا على قول أبي سفيان بن الحارث الذي كان قد هجاه قائلا :

ألاَّ مَنْ مبلغ حسان أني   خلفت أبي ولم تخلف أباك

فأجابه حسان قائلا :

إِني لَعَمرُ أبيكَ شرٌّ من أبي   ولأنتَ خيرٌ مِن أبيكَ وأكْرَمُ
وَبَنُوكَ نوكَى كلُّهُمْ ذُو عِلَّةٍ   وَلأنْتَ شَرٌّ من بنيكَ وَألأمُ [١٣]

يبدو أن حسانا بن ثابت في جاهليته يستشعر العار إن قيل له أنك خير من أبيك ، لأن أعرافهم وتقاليدهم تفرض عليهم الافتخار بالأنساب[١٤] ، لهذا نجد الشاعر قد ثارت حميته فأخذ يظهر امتعاضه من ذلك القول من خلال توظيفه الثنائية المتضادة (الشر ضد الخير) وهما أسما تفضيل يحملان في ذاتيهما ثنائية ضدية أُخرى هي (الشاعر ضد الممدوح) فالممدوح يتمتع بالشرف والسيادة والتفوق على أبناء جنسه ، بمعنى إنه يتفوق عليهم بالخير الذي يحمله وهي صفة من صفات التكامل

---

[١٢] يلاحظ مثلا كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، وكتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) ، وكتاب الأنساب لأبي سعد التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)

[١٣] شرح ديوانه : ٤٥٦ ، نوكى : حمقى .

[١٤] ينظر الإنتماء في الشعر الجاهلي : ٨٢.

الاجتماعي والأخلاقي ، والتفاخر بالأنساب من الصفات النافعة لإنهاء جزء من الخير العام الذي ينمي القيم والمفاهيم الأخلاقية والاجتماعية في المجتمع الجاهلي ، ولكنه يقود إلى الشطط والتخلف إذا لم يرافقه ما يثبت ذلك الأصل ، فالأصل تتبعه الفروع وحسان في النص ينفي كون الفروع جزءً من الأصل ، ومن هنا ندرك أنهم قبل الإسلام كانوا يؤمنون بأن النسب الوضيع لا يرفعه أو يزكيه أي عمل مهما كان نافعا ، وهذا المفهوم جعل حسان متغطرسا .

نستنتج من ذلك إن ثنائية (الشر ضد الخير) أظهرت النظرة القاصرة التي ولدت الاتكالية والضعف ، وإنها منعت التطور والتجدد الذي كان يمكن أن يحصل لو أن الشاعر أجهد نفسه ليكون أفضل من أبيه .

ويبدو أنَّ غالبية الشعراء المخضرمين كانوا ممن يؤمنون بالقدر ويعتقدون بمسؤوليته عن خيرهم وشرهم(١٥) حين وجدوا أنفسهم في خضم المتناقضات منحنين منقادين صاغرين له ، فقد شعروا بعدم جدوى مقاومته . ومن هنا وجدنا النابغة الجعدي يجسد فكرته القائلة بوجود الخير والشر وهما في صراع دائم مع القدر ، فالعالم ليس كله خيرا أو جلّه شرا بل يتعاقب النقيضان على هذا الوجود ، فعلى الإنسان أن يأخذ من هذا عبرة ويتعامل مع الحياة بحذر حين قال :

وأعلم إن الخيرَ ليسَ بدائمٍ علينا وإن الشرَّ لا هو يرتَبْ (١٦)

---

(١٥) ينظر الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٠١ .

(١٦) شعره : ١١ .

أورد الشاعر عنصري الثنائية المتضادة (الخير ضد الشر) في شطري البيت بحيث يكون الصدر مطابقا للعجز ، وبذلك يكون قد حقق بفعله هذا شيئا من التوازن والتعادل الذي أراده .

وأبو ذؤيب الهذلي بعدما قتلَ ناسٌ من بني سليم ناسا من هذيل ، تألم كثيرا لما أصاب قومه[١٧] وأحسَّ بفداحة المصاب والوجيعة فقال :

فدعْ عنكَ هذا ولا تغتبِطْ　　لخيرٍ ولا تَتَبأس لِضُرْ

وَخفِّضْ عليكَ منَ النائباتِ　　ولا تَكُ مِنْهَا كَئِيبًا بِشَرْ

فإنَّ الرِّجَالَ إلى الحادِثا　　تِ فاستَيقنَنّ أحبُّ الجُزُرْ [١٨]

تتجلى من النص الثنائيتان المتضادتان (تغتبط ضد تبتأس) و (الخير ضد الضر) على الرغم من أن الخير ضده الشر وليس الضر ، وما الضر إلاّ نتيجة من نتائج الشر أو هو قرينة من قرائنه والشاعر يجسد من خلال هاتين الثنائيتين قضية القدر ، فهو يرى على المرءِ أنْ لا يفرح ويبتهج كثيرا لقدوم الخير ، ولا يحزن ويكتئب إذا تجلى له الشر ، لأن كل ذلك قدر من الأقدار التي لا يمكن أن تُجابه ، وقد أفاد الشاعر من أسلوب الثنائيات المتضادة في تدعيم حجته وتقوية المعنى وتحريك المشاعر للعمل على الإقناع للتخلص من الحزن الذي اعتراه بسبب تلك الحادثة .

والخنساء بنت عمرو بن الشريد في جاهليتها وظفت الثنائية المتضادة (النفع ضد الضر) في رثاء أخيها صخر ، لتظهر من خلالها القيمة الحقيقية للمرثي من خلال ما يقدمه للقبيلة من الخير ، فضلا عن تمكنه من إنزال الشر

---

[١٧] ينظر شرح أشعار ديوان الهذليين : ١/ ١١٢ .

[١٨] ديوان الهذليين : ١/ ١٤٩ ـ ١٥٠ .

باعدائه ، فقيمة الإنسان في الجاهلية تتوقف على مقدار ما يقدمه من النفع أو الضر في الحياة . فقالت :

فإنْ كانَ صخرُ الجودِ أصبَحَ ثَاوِيا   فَقَدْ كَانَ فِي الدُنْيا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ[١٩]

أقامت الشاعرة علاقة تحالف مع الثنائيتين المتضادتين (النفع ضد الضر) ظاهريا و (الخير ضد الشر) ضمنيا ، لأن النفع ضده الضر ـ والخير ضده الشر ، إلا أنها أقامت علاقة التحالف ؛ لأن النفع داخل في الخير والخير لفظ عام يدل على منافع كثيرة ، ومثلهما الضر والشر .

وبعد مجيء الإسلام تغيّر مفهوم ثنائية الخير ضد الشر ، فقد جعلها الله تعالى امتحانا وابتلاءً لعباده حين قال : ((كُل نفسٍ ذائقة الموت ونبلوكم بالشرِ والخيرِ فتنةً وإلينا ترجعون))[٢٠] . ومن هنا جاء التسليم بإرادة الله سبحانه وتعالى والإحساس بعنايته نابعين من الإيمان بالقدر ، لأن ((المسلم الذي يؤمن بالتصور الإسلامي على بصيرة فلا يجزع ولا يقلق ولا يضطرب لما يترقبه من قدر الله لأنه قد سلّم أمره إلى الله واطمأن إلى أرادته فيه ، واطمأن إلى أنه لا يريد له في النهاية إلاّ الخير ، تهديه في ذلك علاقة المودة لله والحب ، والرغبة المتبادلة من الجانبين))[٢١] . وفي هذا يرى معن بن أوس المزني عدم دوام الشر ولزومه وعلى الإنسان في الدنيا أن يظل مؤملا الخير في أمسى الظروف حين قال :

---

[١٩] شرح ديوانها : ١٨٥ ، وينظر مثل ذلك : ٢٣٤ ، وديوان عمرو بن معد يكرب : ١٤٨ ، وديوان قيس بن الخطيم : ٨٠ .

[٢٠] سورة الأنبياء ، الآية : ٣٥.

[٢١] منهج الفن الإسلامي : ١٠٧ ــ ١٠٨ .

فَلاَ تَحْسِبَنَّ الشرَّ ضَرْبَةَ لازمٍ ولا الخَيْرَ في الدُّنيا على المرء سرْمَدا[٢٢]

ولا يستوي الشاعر المؤمن بالشاعر الكافر في رؤيتهما إذ يرى عبد الله بن الزبعرى يوم أُحد في هجائه حسان بن ثابت أنَّ للخير والشر غاية أوجدها الله سبحانه وتعالى ينتهيان إليها ولكل منهما وجهة يوجهها الله فيها وأن العيش ونعيمه لا يدومان لأحد حين قال :

يا غراب البينِ أسمعت فقلْ إنما تنطقُ شيئاً قد فعل

إن للخيرِ وللشرِ مدى وكلا ذلكَ وجه وقبل

كُلُّ بؤسٍ ونعيمٍ زائلٌ وبناتُ الدهرِ يلعبنَّ بكُلّ[٢٣]

وتميم بن أُبي بن مقبل قال بعد إسلامه :

إنا مشائيم إن أرشت جاهِلَنا يومَ الطعانِ ، وتلقانا ميامينا [٢٤]

لقد مثلت ثقافة الشاعر الدينية التي اكتسبها من خلال إيمانه بالدين الإسلامي والعقائدية الموروثة التي اكتسبها من مجتمعه في العصر الجاهلي بوصفة عضوا فيه وسيلة موجهة لخدمة القضية الإسلامية وقد امتزجت رؤاه الشعرية واختلطت بما هو راسخ في نفسه حتى قيل عن قصيدته التي اقتطعنا منها هذا البيت أنها من المشوبات ، ومشوبات العرب سبع قصائد جياد شابهن الكفر والإسلام[٢٥] .

---

[٢٢] ديوانه : ٨١ .

[٢٣] السيرة : ٣/ ١٣٦ ــ ١٣٧ .

[٢٤] ديوانه : ٣٣١ .

[٢٥] ينظر هامش ديوان الشاعر : ٣١٥ .

فالشاعر استعمل الثنائية المتضادة (مشائيم ضد ميامين) للتعبير عن الثنائية المتضادة (الشر ضد الخير) وقد استعمل مفردة مشائيم وهي جمع مشؤوم وهو الذي يجلب الشر والشؤم والفراق ضد مفردة ميامين وهي جمع ميمون وهو ذو البركة والخير واليُمن ، وقد جاء استعماله مفردة مشائيم مثلما استعملها الجاهليون ، فقد كانوا يعمدون إلى هذا الوهم في مقاومة الحجج والمنطق فكانوا يقولون كما جاء القرآن الكريم بلسانهم : ((قَالوا إنَّا تطيرْنا بِكُمْ لئن لمْ تنتهُوا لنرجُمنّكُم وليُمسنّكم منَّا عذابٌ عظيم))[٢٦] . وقد عدَّ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الطيرة شركا تؤدي بصاحبها الى الكفر الصريح حين قال : ((الطيرة الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك))[٢٧] . ومن هنا نجد خروج الشاعر عن إطار التعبير المألوف إلى التعبير الساخر المتهكم الذي ينتقد بلغة لا يمكن الفصل معها بين رؤية وأُخرى ، ومن زحمة المتناقضات التي تعتمل في داخل الشاعر نجده يوظف ثنائية (مشائيم ضد ميامين) توظيفا يخدم به الدعوة الإسلامية فهو يحذر أعداء الإسلام من أن المسلمين مشائيم أشرار في الحرب يجرون الشؤم على أعدائهم ، وهم في ذات الوقت ميامين وأصحاب خير وبركة ، لمن يطلب الصلح والسلام معهم .

ويظهر الشاعر المخضرم حسان بن ثابت أُصولا عالية من الأخلاق الإسلامية المستمدة من روح الإسلام ، حين جَعَلَ مصطلح الشر شاملا لكل ما هو من الرذائل والخطايا والذنوب وجميعها متمثلة بالكفر حين قال :

---

[٢٦] سورة ياسين ، الآية : ١٨ .

[٢٧] التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول : ٧/ ٦٧٠ .

أَتَهْجُوه ولَستَ لهُ بِكُفءٍ فَشَرّكُما لِخيرِكُما الفداءُ [28]
هَجَوْتَ مُبَارَكا برا حنيفا أَمينَ اللهِ شيمتُهُ الوَفاءُ
فمنْ يَهْجُو رسُولَ اللهِ منْكُمْ ويَمدحُهُ وَيَنْصرُهُ سَوَاءُ [29]

يعلو صوت الشاعر معبّرا عن توحد الثنائيات المتضادة (الشر ضد الخير) و (يهجو ضد يمدح) على الرغم من تضادهما الصارخ مستخفا بها ، لأنها صادرة من عدوٍ كافر يحمل صفة الكفر ، والكفر هو الشر بعينه ، ولا يحتمل صدور الخير منه ، لذلك استوت لديه هذه المتضادات فكانت حافزا قويا للتحدي المضاد لإبراز مستوى عالٍ من التميز والتفوق في المجال الأخلاقي والإجتماعي ، اتخذه الشاعر منفذا للتعبير عن الإحساس بالحب وبالقيمة الجليلة التي يحملها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأن أول شرائط عمل الخير لدى الأفراد هو التعرف على بنية واقعهم ورسم صورتهم من خلاله ، وقد أظهر الشاعر قدرة متميزة على حماية ذلك التميز والتفوق ، لأن هناك تداخلا بين كيان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وجماعته ، وأن كيان هذه الجماعة يظهر بفعاليته أفرادها وقدرتهم على الدفاع عنها .

ويبدو أن الأخلاق الفاضلة عند بعض الشعراء المخضرمين هي أثر من آثار التغييرات التي أحدثها الإسلام ، وقد عمل صفاء نفوس بعض الشعراء

---

[28] عدَّ العلماء هذا البيت أنصف ما قالته العرب في الهجاء . ينظر ديوان المعاني : ١/ ١٩١.

[29] شرح ديوانه : ٦٤ .

الذين صاروا يستشعرون المعاني الإسلامية الروحية ويتقيدون بما جاء به الإسلام من أخلاق فاضلة جعلتهم يدافعون عنها في شعرهم ، فهذا هدبة بن خشرم قال :

ولا أبتغي الشرَّ والشرُّ تَارِكي ولكن متى أُحملْ على الشرِّ اركبِ[٣٠]

يفخر الشاعر المخضرم في العصر الإسلامي بكره الشر وابتعاده عنه ، وبميله إلى الخير وحبه له ، أما إذا حلَّ الشر بساحته فإنه حين ذاك لا يتوانى عن مقابلته بالشر حفاظا وصونا لكرامته .

وقد نجح أبو الأسود الدؤلي في شكر صاحبيه من خلال استعماله الثنائية المتضادة (الخير ضد الشر) وقد كان حريصا على أن يكون معجمه اللغوي في هذا النص قريب المأخذ بعيد المرمى ، لأن الكلام السهل أقدر على التأثير في النفس وإحداث التخيير المناسب لشد السامع إلى الغرض لاتخاذ الموقف المناسب حين قال :

أميران كانا صاحبَيَّ كلاهُما فكلٌّ جزاهُ الله عني بما عَمِلْ
فإن كانَ خَيْرًا كانَ خيرا جزاؤهُ وإن كانَ شرا كانَ شرا كما فعلْ[٣١]

(الخير ضد الشر) لفظان متضادان جمع الشاعر بينهما لإظهار تناوب الحركة واستمرارها في دلالة المعاني المتضادة ، وقد استعمل الشاعر صيغة الشرط ، لأن فيها ترابطا واجتماعا بين الشرط وجوابه ؛ لأن حصول الأول

---

(٣٠) شعره : ٦٩ .

(٣١) ديوانه : ١٣٥ ـ ١٣٦ .

يستلزم منطقيا حصول الثاني ، وهذا متأت من التأثر بالقرآن الكريم في قوله تعالى:((فمَنْ يعمل مثقال ذرةٍ خيرا يره * ومَنْ يعمل مثقال ذرةٍ شرا يره))[٣٢].

ويرى الشاعر ذاته في شأن صدور الخير عن النفس الإنسانية أن هناك دائما عائقا من النفس يحول دون عمل الخير ، وعلى الرغم من إن نزعه الخير مغروسة في النفس الإنسانية ، إلاّ أن ما يعوقها هو أهواؤها وما فيها من ألوان النزعات كالطمع والحرص حين قال :

أراكَ مَتَى تَهممْ يمينُكَ مرة   لتفعلَ خَيرا تغتصبْها شمالكا [٣٣]

أعتمد الشاعر في هذا البيت على المتضادات الملموسة (يمينك ضد شمالك) لإثبات وجود الثنائية المتضادة والمتصارعة (الخير ضد الشر) وهي من المتضادات المحسوسة ، واختار لها بيئة واحدة هي اجتماعهما في الشخصية الإنسانية وقد جاء هذا الأمر بتأثير نزعته العقائدية الموروثة من العصر الجاهلي ، فقد كان الناس يتفاءلون باليمين ويتشاءمون من الشمال ((نظرا لطبيعة الحياة الصحراوية ومتاعبها فإن ريح الشمال كانت قاسية على مَن في الصحراء صيفا وشتاءً ، فتذمر العرب منها وذموها ، وتبعا لذلك أصبحت الشمال عند العرب تمثّل موضوع الشؤم والتطير والمنزلة السيئة والضعف ، وفي المقابل أصبحوا يميلون إلى اليمين ممثلا بالخير والتفاؤل والبركة والقوة))[٣٤]. وربما يكون هذا التضاد مأخوذا من نزعته الدينية

---

[٣٢] سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ــ ٨ .

[٣٣] ديوانه : ١٤٢ .

[٣٤] الألفاظ الإسلامية وتطور دلالتها : ٤٠ .

المتأثرة بالقرآن الكريم وهذا هو الأرجح ، فأصحاب اليمين هم المؤمنون المتقون في الدنيا وهم الذين يستحقون الجنة ، أما أصحاب الشمال فهم الكفار الذين يكون مصيرهم النار في الآخرة[٣٥] ، قال تعالى : ((ثم كانَ من الذينَ آمنوا وتواصوا بالصبرِ وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة * والذين كفروا بآياتِنا هم أصحابُ المشئمة * عليهم نارٌ مؤصدة))[٣٦] والذي يتجلى لنا من خلال تتبع شعر أبي الأسود الدؤلي أن مجموع آرائه تشكل فصلا خاصا في التربية الإسلامية الفاضلة ، وتربية المُثل العليا .

ومن هنا نرى أن الشعراء المخضرمين قادرون على التحويل والتبديل ، وقدرة التحويل والتبديل موجودة في زوبعة الثنائيات المتضادة التي تدفع النفوس إلى سبيل الرشاد والخير ، والعلو بها نحو أهداف سامية ، واختيار الطريق السليم جعلهم قادرين على ضغط مراحل زمنية كبيرة ، إذ قضى على كثير من المشكلات الأخلاقية والاجتماعية المعقدة التي كان المجتمع الجاهلي يعاني منها .

المبحث الثاني

الثنائية المتضادة (الصدق ضد الكذب)

((الصدق نقيض الكذب))[٣٧] والصدق هو مطابقة الكلام للواقع وهي حقيقة علمية يراد بها ((صدق الفعل لأنه يعني موافقة أو مطابقة وقائعه

---

[٣٥] ينظر التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : ٥٣١ ــ ٥٣٢ .

[٣٦] سورة البلد ، الآيات : ١٧ ــ ١٨ ــ ١٩ ــ ٢٠ .

[٣٧] لسان العرب ، مادة (صدق) .

للواقع))[٣٨] وهو بذلك يتباين مع الحقيقة الأدبية التي لا تعتمد على برهان خارجي بل تسكبها العاطفة حية نابضة في قلوب متلقيها ، وهي نتاج الشعور الفردي للشاعر الذي يعرضها فتكون فاعلة مؤثرة في النفوس مما تدفع متلقيها إلى قبولها أو رفضها .

وقد كان للشعر دورٌ بارز في حياة العرب في الجاهلية إذ كان الشاعر حين يمدح أو يهجو يذهب كلامه مثلا حتى قيل ((لا شيء أسبق إلى الأسماع ، وأوقع في القلوب وأبقى على الليالي والأيام من مثل سائر ، وشعر نادر))[٣٩] . وبهذا يكون الشعر قادرا على الحطِ من منزلة قوم كانت لهم منزلة رفيعة ، ويرفع من منزلة قوم آخرين لم تكن لهم منزلة تذكر ، فبنو آنف الناقة كانوا يخجلون من لقبهم هذا ، ولا يريدون أن يذكروا به حتى مدحهم الشاعر المخضرم الحطيئة في قوله :

قومٌ هم الأنف والأذناب غيرُهُمُ ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا[٤٠]

فصارَ بعد ذلك لقبهم فخرا لهم ومدحا[٤١] ، ويذهب الشعر في الجاهلية إلى أكثر من ذلك إذ أنه يصبح قادرا على إن يحط من منزلة القوم ثم يعود ليرفعها في ذات الوقت في أبيات تسير بين العرب ، فبنو عبد المدان كانوا يفخرون بطول أجسامهم وقديم شرفهم حتى هجاهم حسان بن ثابت حين قال :

---

(٣٨) من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم : ١٤٥ .

(٣٩) كتاب الصناعتين : ١٤١ .

(٤٠) ديوانه : ٩٣ .

(٤١) المصر نفسه : ٩٤ .

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عَظم جِسْمُ البِغَالِ وأحلامُ العصافير[٤٢]

فقالوا له يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحيي من أجسامنا بعد أن كنا نفخر بها فقال لهم سأصلح منكم ما أفسدت فقال فيهم :

وقد كنا نقولُ إذا رأينا لذي جسم يُعدُّ وذي بيانِ
كأنكَ أيها المعطي بيانا وجسما من بني عبد المدان[٤٣]

ونخلص من كل هذا إلى أن العرب في الجاهلية لم تكن تحفل بالصدق فيما يقوله شاعرهم ، فقد كان الشعر يسير فيهم لما فيه من قوة بيان ودقة معنى وإذا صحت الرواية القائلة أن حجر بن عمرو الكندي قد قال يوما لابنه امرئ ألقيس ((يابني أحسن الشعر أكذبه ، ولا يحسن الكذب بالملوك))[٤٤] فهذا يدل على قدم النظرة القائلة ((أحسن الشعر أكذبه)) فلا أهمية بعد ذلك إذا كان ما أنشده الشاعر مطابقا للحقيقة أَم غير مطابق .

أما بعد مجيء الإسلام فقد تغيرت وتميزت قيمة الصدق عند الشعراء المخضرمين المسلمين ((إذ لولاها لانقطعت الروابط الإنسانية وأعتراها الضعف وعدم الثقة وفقدت العقود والعهود قيمتها في التعامل الإنساني))[٤٥]، إذ قال الله تعالى : ((من المؤمنينَ رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه))[٤٦] ،

---

[٤٢] شرح ديوانه : ٢٧٠ .

[٤٣] ينظر هامش شرح ديوانه : ٢٧٠ .

[٤٤] الإعجاز والإيجاز : ٦٢ .

[٤٥] القيم الخلقية والاجتماعية في الشعر العربي في صدر الإسلام : ٢٩٦ .

[٤٦] سورة الأحزاب ، الآية : ٢٣ .

وقد كثرت الاتجاهات الأخلاقية التي نبه عليها القرآن الكريم والسنّة النبوية ونهوا عن نقائضها ، إذ قال تعالى في أصحاب رسول الله : ((وينصرونَ الله ورسولهُ أولئكَ هم الصادقون))[٤٧] ، وقال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : ((إنَّ الصدقَ برٌّ وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة وإنَّ العبدَ ليتحرى الصدق حتى يكتبَ عند الله صديقا وإنَّ الكذب فجور وإنَّ الفجور يهدي إلى النارَ وإنَّ العبد ليتحرى الكذب حتى يكتبَ عند الله كذابا))[٤٨]. وبهذا النفس الإيماني الذي جاء به الإسلام أصبحت دعوة الشعراء صريحة تدعو إلى النطق بالصدق ، وعدم الإيغال في الوصف أو الإنجراف وراء العاطفة التي قد تقودهم إلى الوهم والخيال الذي يخالف الصدق ، وبذلك لم يعد (أحسن الشعر أكذبه) كما كان بل صار كما يريد الإسلام وكما جاء في قول حسان بن ثابت :

وإنَّما الشّعْرُ لُبُّ المرءِ يَعْرِضُهُ   علَى المَجَالس إنْ كَيْسا وإن حُمقا
وإنَّ أشعر بيتٍ أنتَ قائلُهُ   بَيْتٌ يقال إذا أنشدتَهُ صدَقا [٤٩]

وبذلك صارَ الحديث في الشعر يستقيم مع الحقيقة ولا سيما إذا كانت مقدسة مع الخط البياني المتصاعد للانفعال الشعري المتجمهر في بؤرة الإشعاع الواعي للحظة الشعرية المتكونة في أثناء التعاطي مع كيان سماوي ، ذي خصوصية بلغت حد التقديس المطلق أو كادت ، ولعل تأكيد إبراز أقدس جانب تتركز عليه حقيقة ذلك الكيان بل تلك الأفكار برمتها يُعدُّ أمرا مهما ؛

---

[٤٧] سورة الحشر ، الآية : ٨ .

[٤٨] صحيح مسلم : ٨ / ٢٩ .

[٤٩] شرح ديوانه : ٣٤٨ .

فحينما نتعامل معه ؛ ونحاول تعاطي وصفا من أوصـــافه أو الـــدخول إلـــى جزيئة مـــن جزئياته التي أكد الخالق امتلاكه لها ، أو ضرورة امتلاكه لها .
لذلك نجد الثنائيات المتضادة حاضرة في قول رافع بن عميرة (٥٠) حين قال:

فـــألفيتُ النبـــيَّ يقـــولُ قـــولا   صدوقا لـــيسَ بالقـــولِ الكـــذوبِ
فبـــشرني بـــدينِ الحـــقِ حتـــى   تبينـــت الـــــشريعةَ للمُنيـــــبِ
وأبصرتُ الـــضياءَ يضيءُ حولي   أمامي إنْ سعيتُ ومن جنوني (٥١)

وهذا الحضور قد جاء حضورا كليا عبر صوت لا ينكفئ فـــي دواخـــل تقتات على بقايا صمتٍ ، أو أسطورة بليدة ... لذا نجد (الصدق ضد الكذب) ضدين قصدهما الشاعر ، فعمد إلى الأَول بالإثبات ناحيا فيه صوب صـــيغة المبالغة بنائيا ــ الحقيقة باطنيا ــ في وصف النبي محمد (صـــلى الله عليـــه وسلم) فقال (قولا) ووصف الأول القول (بالصدق) زنة فعول ، ولم يحتج إلى أية مؤكدات لترسيخ ذلك المعنى وتأكيده ، ولكنه حينما نفى الضد احتـــاج إلى التأكيد من جهة الموصوف بل من جهة الموصوف لهـــم مجانـــسا بـــين الصفتين (صدوق ضد كذوب) بنائيا غير إن فارقا أســـلوبيا انـــدفقت منـــه الصورة على صهوة المعنى ففي إثبات صفـــة الصـــدق وصف بالمـــصـــدر الموصوف (قولا صدوقا) وهو أثبت في تقرير المعنى وتأطير الصورة مما

---

(٥٠) كان رافع بن عميرة الطائي نصرانيا ، ومن اللصوص في الجاهلية ولما جاء الإسلام كان لإسلامه حكاية ذكرها في شعره هي أن الذئب كلّمهَ ودعاه إلى إتباع دين محمـــد (صلى الله عليه وسلم) ويبشره بنصرة من اتبعه فاســـلم ، ينظـــر أُســـد الغابـــة : ٢ / ٢٤١ .

(٥١) أُسد الغابة : ٢ / ٢٤١ ، وينظر مثل ذلك شرح ديوان حسان بن ثابت : ٧١ .

يدل على أن هذه الصفة مسلّمة لا تحتاج إلى برهان يظهر أبعادها لما تحقق في النفوس من الإيمان بها ، في حين أن نفيها يأتي دعما لموقف سماوي منصوص عليه في القرآن الكريم ، فقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا (صلى الله عليه وسلم) بالصدق في قوله : ((وما ينطقُ عن الهوى* إن هُو إلا وحيٌ يوُحى))[٥٢] . وقد ((كان مشهورا بصدقه وأمانته كاشتهاره بوسامته وحنانه ، وشهد له بالصدق والأمانة أعداؤه ومخالفوه كما شهد بهما أحبابه وموافقوه))[٥٣] . كما أن الممارسة الحية الواقعية للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كانت قد قررت مسبقا إثبات صفة الصدق للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على الرغم من رفض الواقع في أثبات صفة ما لأحد ما أو سلبها منه .

وبما إنَّ الإسلام التزم وشجع ما يوافق الخلق القويم والفضائل الإنسانية ، ورفض ما يتنافى مع المُثل والقيم والأخلاق الإسلامية ومبادئها السامية ، لذا نجد عاتكة بنت عبد المطلب[٥٤] تلوم الكفار لتكذيبهم لها واستهزائهم بها حين قالت في رؤياها التي رأت في غزوة بدر :

---

[٥٢] سورة النجم ، الآيتان ٣ ـــ ٤ .

[٥٣] عبقرية محمد : ١٧ .

[٥٤] هي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة الرسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) شاعرة مخضرمة لها شعر قبل الإسلام وبعده ، ينظر شعر المخضرمات بين الجاهلية والإسلام : ٧٩ .

ألم تـَكُ رؤيايَ حقًّا وفـــاتكُمْ   بتأويلها فـلّ مـن القـومِ هـاربُ
رأى فأتاكم بـاليقينِ الذي رأى   بعينهِ ما يَفري الـسيوفُ القواضبُ
فقلتم ولـم أكذبَ علـيكم وإنما   يُكذبني بالصِدقِ من هو كـاذبُ[٥٥]

إنَّ المتضادتين (الصدق ضد الكذب) اسمان للقائل أو للقـول ، ولكـن الاعتياد عليهما يغرس في النفس صفة الصدق أو الكذب ، لذا فـإن صـدق الحديث من لوازم إكتمال أخلاق المرء عند الشاعرة ، لأنهم يعدونه منجـاة ، وما ذلك إلاّ لإيمانهم بأن الصدق هو حال تقترن بالروح النقيـة الطـاهرة ، وضده الكذب الذي هو أبغض الأخلاق وأذمها عندهم ، وما ذلك إلاّ لإعتقادهم أن الصدق يجلب لصاحبه كل فضيلة ، والكذب يجلب لصاحبه كل رذيلـة ، فكيف بالكافر الذي يكذب هازلا ؟ لا بد من أن يكون أشد جهلا وأكبر جريمة لأنه يهزأ بحرمات الله وحرمات الأخلاق وهو مهتوك الحرمة لأنه متجـاهر بالأثم ، ويتعدى الأمر ذلك إلى كون (الصدق ضد الكـذب) ضـدية علـى أساسها ومنها تتشظى باقي المتضادات الأخرى المشعة في مـساحة المـتن الشعري المرصود .

والذي نلحظه في الشعر الإسلامي للمخضرمين ، أن كثيرا مـنهم تـأثر بأسلوب القرآن الكريم ، وما يتضمنه من معانٍ سامية ، فحسان بن ثابت وهو شاعر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ، كان قد اسـتوعب المعـاني القرآنية ، فاستطاع أن يفرغها في شعره في قوله :

يا أَيها النَّاسُ أبْدوا ذَاتَ أنفسِكُمْ   لا يستوي الصِّدقَ عند اللهِ والكَذِبُ[٥٦]

---

[٥٥] معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام : ١٢١ .
[٥٦] شرح ديوانه : ٧٨ .

في البدء لا بد من الإشارة إلى التأثر الأسلوبي الواضح في النص بأسلوب الخطاب القرآني الذي أعتاد على استهلال خطابه بعبارة (ياايها ..) ولا سيما في الطور المكي (المرحلة المكية) وقد تولد من الخطاب الديني هذا (الشعر الديني) وبدا التركيز جليا على ضديتين (الصدق ضد الكذب) إذ هما أساس بناء كيان الإنسان بالنسبة للصدق ، والمعول الذي يهدم به ذلك الكيان بالنسبة للكذب ، وقد ورد في الخطاب الديني تغليظ وتشديد على التمسك بالصدق قيمةً ، كونها أساس القيم الأُخرى ، بل لكونها أساس هذا الخطاب الذي تبناه شاعر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يخرج عن إطار عام ونظرية قرآنية صرفة عرضها الشاعر من خلال شعره بل هي فكرة أن التغير يبدأ من الذات ، وهو ما نص عليه قول الله عز وجل ((إنَّ الله لا يُغيّر ما بقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفُسِهم))[٥٧] .

وتابع لبيد بن ربيعة حسان بن ثابت في الامتثال لمعاني القرآن الكريم وأسلوبه ، إذ قال :

واكذبِ النفسَ إذا حَدَّثتها	إنَّ صدقَ النفس يُزْري بالأَمل
غيْرَ أن لا تَكْذِبَنها في التُقى	وأخرُهَا بالبِّر لله الأجلْ [٥٨]

إنَّ البداية مع مجتمع ما تكون خطرة وصعبة ، لأننا يجب أن نبدأ بالجزئيات نحو الكليات لأجل إعداد النفوس إعدادا منطقيا واعيا مبنيا على أساس تفعيل القيم الروحية المتوطنة في النفوس ، القابعة في مديات الصراع الممتد من الجاهلية إلى الإسلام ، فالشاعر

---

[٥٧] سورة الرعد ، الآية : ١١ .

[٥٨] شرح ديوانه : ١٨٠ .

في وصف سعيه في البيت الأول إلى السمو وهمته وطلبه الأمور العظيمة من خلال استعماله مفردة الضدية الأولى (أكذب) في الثنائية المتضادة (أكذب ضد لا تكذبنها) التي عاد وتراجع عنها في المفردة الثانية للضدية نفسها بقوله (لا تكذبها) ليؤكد من خلالها أنّه قانع بها إذا اتقت ربها في حين لا مناص من تكذيبها في غير ذلك ، وفي هذا ما يدل على أن ذات الشاعر قد اختلفت في وقت عنها في وقت آخر مما جعل كلامه هو الآخر مختلفا في ظرف معين عنه في ظرف آخر ، إذ ليس الشاعر مطالبا دائما بأن يقول الأفكار نفسها والأحكام ذاتها ، وإلاّ كانت أشعاره تكرارا لا طائل منه ، ولكن ذات الشاعر هنا متلونة متغيرة بتلون ظروفها وبيئتها ومواقفها ، وبهذا يكون الشاعر قد وضع المعاني في مواضعها التي تليق بها بعد أن تغير موقفه إذ استثنى النفس التي تتمسك بتقوى الله سبحانه وتعالى من أن تكذب ، وفي هذا قال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) عندما سئل ((المسلم يسرق ؟ قال : نعم قالوا المسلم يزني ؟ قال : نعم قالوا المسلم يكذب ؟ قال : لا))[٥٩].

دأب الناس على حصر الثنائية المتضادة (الصدق ضد الكذب) في نطاق الكلام المنطوق والكلام المكتوب . ولكن الواقع أن الصدق والكذب يتسعان لأكثر من هذين المجالين إلى مجال السلوك الذي تنتهجه الشخصية ، فقد تجلت الثنائية المتضادة

---

[٥٩] لم أجد الحديث في الصحيحين ولا في المسانيد ولا في التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ، لذا خرّجته من الموطأ : ٢/ ٩٩٠ حيث ورد .

(الصدق ضد الكذب) عند الشعراء المخضرمين الإسلاميين من خلال تعاملهم الاجتماعي فهو من الأدلة الدامغة على أخلاصهم وتمسكهم بفضيلة الصدق التي لها أثر كبير في إقامة حدود الله وتجنب نواهيه ، وبذلك نالوا النصر والعزّة .

أما المشركون فقد ضلّوا عن سواء السبيل بتكذيبهم للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فكعب بن مالك قال :

مَنْ يتبعْ قولَ النبي فإنه فينا مطاع الأمرِ حقٌ مصَدقِ
فبذاك ينصرّنا ويُظهرُ عزنَا ويصيبُنا من نَيلِ ذاكَ بمَرْفَقِ
إنَّ الذينَ يُكذّبونَ محمدا كَفَروا وضلّوا عن سبيلِ المُتَقي[٦٠]

والشاعر المخضرم بشر بن قطبه[٦١] يدخل عنصر اللاوعي في عمله الأدبي غير أنه يعمل جاهدا في احتوائه وتقييده حيث نرى ارتكاز النص على آثار الغي الواقعة عليه من طرف الثنائية المتضادة (الأنا ضد الآخر) وهو المنافق مما أدى به إلى تحريك شعوره ونفسه دون عقله واعتقاده فقال :

اقولُ لنفْسي بَعْدَ ما رَقّ بالها رُوَيْدك لَمَا تَشَقَقَنَ حينَ تُشقّقِ
وكوني مع الراعي وصاة محمدٍ وإنْ كذبتْ نفسُ المنافقِ فاصْدقي[٦٢]

---

(٦٠) ديوانه : ٢٤٧ .

(٦١) بشر بن قطبة بن سفيان الفقعسي وهو شاعر فارس مخضرم ، شهد اليمامة في عهد أبي بكر (رضي الله عنه) مع خالد بن الوليد . ينظر الإصابة : ١ / ٣٤٤ .

(٦٢) الإصابة : ١ / ٣٤٤ .

سعى الشاعر إلى تصوير حالة القلق الفكري التي كان يعيشها من خلال توظيفه للثنائية المتضادة (كذبت ضد اصدقي) فيها استطاع الشاعر أن يُظهر ذلك التناقض الذي راود نفسه ، فقد أحسَّ في داخله شيئا من التردد والقلق على الرغم من إيمانه بالله سبحانه وتعالى وبرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، لذا نراه يخرج من ميدان نفسه بتجريدها إلى ميدان الأنا ، حين واصل حواره معها فأوصاها أن تسلك سبيل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتثبت على الحق وتخالف نفس المنافق الذي هو الطرف الآخر من ثنائية (الأنا ضد الآخر) التي تطالبه بترويج الكذب في ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ومن هنا نرى أنَّ الثنائية المتضادة (الصدق ضد الكذب) عبر تاريخها الجاهلي والإسلامي كانت شيئا وأصبحت شيئا آخر ، فقد تظافرت على نسجها جملة من الأمور منها المعيار الديني الذي صاغته أحكام القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، فضلا عن طبيعة المجتمع الجديد وأصالته وقيمه .

المبحث الثالث

الثنائية المتضادة (الوفاء ضد الغدر)

الوفاء : وفي يفي وفاءً فهو وافٍ ، يقال وفيَّ فلان بعهدهِ إذا أتمّهُ[٦٣] ، ويقال إنَّ ((الوفي الذي يعطي الحقَّ ويأخذ الحق))[٦٤] . والوفاء صفة ترادف الأمانة ، وهو صورة من صور الكرم النفسي .

---

[٦٣] ينظر لسان العرب ، مادة : (وفي) .

[٦٤] المصدر نفسه ، والمادة نفسها .

الغدر هو الصفة المناقضة للوفاء ، وقيل هي ترك الوفـاء بالعهـد[٦٥] ، والغدر صفة ترادف الخيانة .

إذا أخذ الإنسان هاتين الصفتين (الوفاء ضد الغدر) بالحسبان ولم يجعل لصفة الغدر مكانا في حياته كان أنسانا سويا ، لأن الغـدر لا يمـتُ بـصلة للإنسانية فهو لا يمثل دينا أو مذهبا ، وبدون الوفاء تنعدم الثقة بـين النـاس ويقل الأمان ويعتزل الناسُ بعضهم بعضا ، فالغدر صـفة مـستقبحة غيـر مرغوب فيها وقد رفضها بعض رجالات العرب فـي الجاهليـة ، إذ كـانوا ((إذا غدر الرجل أو جني جناية عظيمة انطلق أحدهم حتى يرفع لـه رايـة غدر بعكاظ فيقوم رجل فيخطب بذلك الغدر فيقول ألاّ أنَّ فلان بن فلان غدر ، فأعرفوا وجهه ولا تصاهروه ولا تجالسوه ولا تستمعوا منـه))[٦٦] . ولهـذا عمد الشعراء المخضرمون إلى تسجيل خيانة مَنْ يخون أو يغدر من القبائل أو الأفراد تشهيرا وإظهارا للخيانة الجماعية أو الفردية على إنها أمـر محتقـر منبوذ لكي ينفر الناس منها ويبتعدوا عنها .

وقد عاب حسان بن ثابت على قبيلة هوازن الخيانة والغدر وعدّهُ خرقـا لعاداتهم وتقاليدهم حين بات الشاعر يهجو هذه هذه القبيلة ويعطيهـا وجهـا مغايرا عن وجوه الأقوام الآخرين .

وقد تقاطر أسلوب التضاد مع أسلوب السخرية والهزء لكي يزيـد مـن فعالية الكره والإشمئزاز لهذه الصفة الذميمة ولكي يعود الناس إلـى الأمانـة والوفاء فقال حسان :

---

[٦٥] ينظر المصدر نفسه ، مادة : (غدر) .

[٦٦] أسواق العرب في الجاهلية : ٣٢٤.

أبلــغْ هَــوَازِن أَعْلاَهــا وَأَسْــفَلَها   أنْ لسْتُ هَــاجِيِها إلاّ بِما فِيهــا

قَبيلــــةٌ ألأمُ الأحْيـــاءِ أكْرَمُهــــا   وَأغدَرُ النـــاسِ بـــالجيرانِ وَافِيها

وَشَرُّ مَنْ يَحْضُرُ الأَمْصَارِ حاضِرُها   وشــرُّ باديــةِ الأعــرابِ بَــادِيها

تُبْلَى عِظَامُـــهُمُ إمَّــاهُــمُ دُفِــنــوا   تحتَ الترابِ ولا تفنى مَخازِيَها[٦٧]

الملاحظ في النص تقاطر المتضادات على نحو يتلاءم مع المرمى الذي قصد إليه الشاعر وهو الهجاء ، وقد حدا بشاعريته نحو رسم صورة ثلاثيــة الأبعاد لتجسيد صورة القبيلة المهجوة ثم تأطيرها بكل المقــابح والمقــادح ، فيورد عبر مسافة الإنفتاح النصي ما يملأ أشداقه من المعاني ليلفظهــا علــى القبيلة المهجوة على نحو تشخيصي بارع ، فهو يرى أنَّ (أكرم) مــا فــي القبيلة المهجوة هو (ألأمهم) و (أوفاهم) (أغدرهم) وقد استوقفني إتكــاء الشاعر على صيغة التفضيل في بيان المتضادات ، غير أنَّ ما تؤسسه هــذه الصيغة في هذا المتن الشعري لا يراد بها المفاضلة حقيقة ، بل تهويل حجـم القبح ، وتفاهة صورة القبيلة المهجوة ، وقد نجانب الصواب لو سمينا مثل هذا البناء التضادي بـــ (التضاد التفضيلي) ، ونريد به الأضداد التي ترد علــى صيغة (افعل التفضيل الصرفية) ويراد بها التفاضل المعروف عرفا .

ثم أننا لو نظرنا إلى النص من زاوية أُخرى لوجــدنا أنَّ قمــة التــضاد فيه قمة مكانية أي تضاد مكاني (أعلاهــا ضــد أَســفلها) و (حاضــرها ضد باديها) ، وكذلك (تبلى ضد تفنى) حيث ورد الفناء الذي هو ضد تبلى بقرينة لفظية هي لا ، كما إننا لا نغفل عن الإشارة إلى أنَّ الأضداد القيمة قد إنحصرت بين الأضداد المكانية مما يدل على أَنَّ للبيئة أثرها في تحديد أبعاد

---

[٦٧] شرح ديوانه : ٤٨٦ .

المتضادات ، وتعيين مدياتها من خلال شبكة العلاقات التي يربط بينها المؤشر التضادي ، إذ ربما يكون شعاع التضاد واحدا أي ذا أصل واحد أو مرد واحد ، لكنه بعد ذلك يتجمع ليصبح حزمة من المتضادات التي تجتمع في مخيلة الشاعر ليعبّر بها عن حرمانه من مساحة الوعي في التأمل ، والتروي والبقاء .. وهذا هو المحمل الذي تُحمل عليه جملة الأضداد التي تقاطرت في شعر حسان بن ثابت ذي التجربة الشعرية المتغايرة (المخضرمة) ، فقد شهد التبدل والتحول الاجتماعي والأخلاقي الذي ألقى بظلاله على مساحة واسعة من فكره وشعره ولا سيما انه كان يمثل المنبر الإعلامي للدعوة الإسلامية بعد البعثة المحمدية الشريفة .

ويبدو أنَّ جانبا من جوانب الوفاء الذي أَبدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد حيال أخيها صخر امتزج مع مقدار الرعاية التي قدّمها لها في حياته[٦٨] مما حدا بها إلى أنْ تذكره أكثر من أخيها معاوية في دائبة في ذكره وذكر وفائه وحرصه على الأمانة والحفاظ عليها فقالت :

سَمحٌ سَجِيتهُ جَزِلٌ عطيتهُ ... وللأمانةِ راعٍ غيرَ خوّانِ[٦٩]

الأمانة ضد الخيانة ثنائية متضادة جاءت مفرداتها مرادفة للثنائية المتضادة (الوفاء ضد الغدر) وقد حصل التضاد بها إلاّ أنَّ

---

[٦٨] قالت الخنساء ترثي أخاها وتذكر جانبا من كرمه معها .

ألا يا صخرُ إن ابكيتَ عيني ... لقد أضحكتني دهرا طويلا

دفعتُ بكَ الجليلَ وأنتَ حيٌّ ... فمن ذا يدفعُ الخطبَ الجليلا

البيتان أخلت بهما رواية شرح ديوانها لذلك خرّجتهما من أنيس الجلساء : ٢٢٥ ـ ٢٢٦ حيث وردا .

[٦٩] البيت أخلت به رواية شرح ديوانها ، لذلك خرّجته من أنيس الجلساء : ٢٤٧ إذ ورد .

الشاعرة قد انتهكت ذلك التضاد عبر توظيفها كلمة (غير) النافيـة لتحقـق الدلالة المبتغاة .

يكشف البحث عن الثنائيات المتضادة في شعر الشعراء المخضرمين عن قدر هائل من الأخلاق الفاضلة التي حاول الشعراء أن يتلبسوها ويظهروا من خلالها بمظهر الرجال الحافظين الأمانة والعهد ، الكارهين الخيانة والغـدر ، الكاتمين الأسرار .

علـى أنـه مهمـا عـرف عـن العـرب فـي الجاهليـة مـن فضائل ومكارم أخـلاق ، فلـم يكونـوا يفعلونهـا لـذاتها فحسـب ، بـل إتقـاءً للـذم وإجتلابـا للثناء ومحافظـة علـى الحسـب والمجـد وطلبـا لحسن الأُحدوثة .

ولهذا كان فيهم عفة واعتدال وابتعاد عن كل ما يخلُّ بالمروءة والـشرف والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ذكرنا بعضها ونذكر قول قـيس بـن الخطـيم يفخر بنفسه :

ياعمـروُ إنْ تُسْـدِ الأمانة بينـنا	فأنـا الـذي إن خُنْتُهـا يرعاهـا
ياعمرو ليسَ أخو الأمانةَ بالـذي	مَـا رابَـهُ مـن خطـةٍ أفشاهـا
ياعمـرو إنّ أخـا الأمانة كـاتمٌ	لو يـستَطيعَ بجلـدِهِ أخفاهـا [٧٠]

يعمد الشاعر إلى إشاعة الثنائيات المتضادة في الـنص ليؤكـد معنـى من المعاني عن طريق خلق حالـة مـن التـضاد ، لإبـراز التمـايز بـين المتضادات ، فمن المعلوم أنّ الطبيعة البشرية فـي تكوينهـا قائمـة علـى نوع من العلاقات الثنائية لما بين المـدركات المحـسوسة ، أمـا الـصور

---

[٧٠] ديوانه : ٧٠ ، وينظر مثل ذلك : ٥٦ ، ٧٨ .

الفنية التي تصور معاني ذهنية فـ ((ليس لها ما يقابلها في العالم ـ الحسي سوى ما يبدو من أثارها))[٧١] . لذلك حصل التضاد في البيت الأول بين (الأمانة ضد الخيانة) كما حصل في عجز البيت الثاني والثالث بين (أفشاها ضد أخفاها) من أجل خلق صورة ذهنية في عقل المتلقي تشير إلى إنسانية الشاعر وأخلاقه الفاضلة وصفاته الحميدة ، لأن العرف الاجتماعي السائد لدى العرب حينذاك كان يدعو إلى المحافظة على الأمانة وكتمان الأسرار ، فقد قال أكثم بن صيفي ((إنَّ سرك من دمك فأنظر أين تريقه))[٧٢] فالسر بحد ذاته أمانة معنوية ، والإنسان يرتقي بمعنوياته أكثر من مادياته .

وبعد هذا فإنَّ الشعراء المخضرمين قبل الإسلام كانوا كما رأينا على شيء من التفكير الأخلاقي ومعرفة الفضائل والعمل بها .

ولما جاء الإسلام لم يتنكر لكل ما كان عليه العرب من آداب وأخلاق ، بل أقر منها ما رآه صالحا لبناء أمة وإنهاض شعب ، ونهى عما رآه سيئا ، وجاءهم فيما جاءهم في قوله تعالى : ((وأوفوا بالعهدِ إنَّ العهدَ كانَ مسؤولا))[٧٣] . وقوله تعالى : ((يا أُيها الذين آمنوا أوفوا بالعقودِ))[٧٤] .

---

[٧١] الصورة الفنية في شعر الصعاليك قبل الإسلام : ١٦٨ ، وينظر الصورة في الشعر العربي : ٢٨ ، يعدُّ الدكتور علي البطل الصورة الحسية جزءا لا يتجزأ من الصورة الذهنية .

[٧٢] عيون الأخبار : ١ / ٣٤ .

[٧٣] سورة الإسراء ، الآية : ٣٤ .

[٧٤] سورة المائدة ، الآية : ١ .

وقد جسّد الشعراء المخضرمون في العصر الإسلامي القيم الأخلاقية الفاضلة والصفات الإنسانية الحميدة في شخص النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إذ ((يندر أن نجد في التاريخ وفاءً يشابه وفاء الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بل لا نجد مثيلا في التاريخ كله لهذا الوفاء))[٧٥] . وبذلك استطاع الشعراء تثبيت صفة الوفاء في شخصه الكريم ونقضهم صفة الغدر التي كان المشركون يتصفون بها ، إذ قال حسان بن ثابت يهجو الحارث بن عوف[٧٦] :

يَاحَارِ مَنْ يَغْدِرْ بذِمَّةِ جَارِهِ ... مِنْكُمْ فإنَّ مُحمدا لَمْ يَغْدِرِ

إن تَغْدِرُوا فالغَدْرُ مِنْكُمْ شيمَةٌ ... والغَدْرُ يَنْبتُ في أُصُولِ السَّخْبَرِ

وأمانةُ المُرِّيِّ حَيْثُ لقيتَهُ ... مِثْلُ الزجَاجةِ صَدْعُها لَمْ يُجْبَرِ[٧٧]

اتخذ الشاعر من نفس المهجو الفضاء الذي يدور فيه التضاد ، إذ قابل بين (يغدر ضد لم يغدر) فقد جعل المتضادة تتصارع في نفس المهجو ، لأن الجمع بين اللفظة وضدها ((يسهم في خلق تواتر إيقاعي يمكن أن يكون عنصرا جذب في القصيدة))[٧٨] وقد زاد من

---

[٧٥] الرسول القائد : ٢٤٠ .

[٧٦] الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري رجل من المشركين قدم على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأعلن إسلامه أمامه وبعث معه النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلا من الأنصار إلى قومه فقتل الأنصاري ولم يستطع الحارث حمايته ، ينظر هامش شرح ديوان حسان بن ثابت : ٢٦٦ .

[٧٧] شرح ديوانه : ٢٦٦ ــ ٢٦٧ . السخبر : نوع إذا انتهى استرخى رأسه ولم يبقَ على استقامته وهو لا يثبت على حال .

[٧٨] المناسبات في الشعر العربي الحديث : ١٢٦ .

عمق هذا التضاد في نفس المهجو أسلوب الشاعر في عرض هذه الثنائية فهتو يعمل إلى تقرير حالة الغدر عندهم ، إذ شبهها قائلا (مثل الزجاجة صدعها لم يجبر) ، مما حدا بالمهجو أن يتعامل معها ويركز جهده على تفنيدها ، لذا جاء إلى النبي محمد (صلى الله عيه وسلم) وطلب منه الإجارة من شعر حسان إذ قال : (أجرني من شعر حسان فوالله لو مزج به ماء البحر لمزجه)[79] وهنا نجد أنَّ حسانا يشكك في توجه الحارث ونيته إذ يغوص في الأدلة التي تكشف عن الغدر الثابت والمقيم الذي لا يمكن رتقه مهما فعل .

العتاب هو طلبك إلى المسيء ، الرجوع عن إساءته[80] ، وهو شاهد من شواهد المودة ودليل على الوفاء بين الناس إلاّ أن فيه شيئا من المخادعة إذا مازجه بعض الهجاء ، أو قد يكون سببا من أسباب القطعية والجفاء إذا كثر وخشن جانبه وثقل صاحبه ، وإذا قلَّ كان أدعى للألفة وإدامة الصحبة[81] ، وهذا كله يعتمد بدوره على المعنى الذي يرتكز عليه الشاعر في عتابه ، فحُميد بن ثور يقف عند صورة الأمانة والوفاء يمتدحها ويشيد بها ليوجد أنموذجا يقتدي به في بيئته الجديدة التي ترفض الغدر والخيانة وتضع لها عقوبة دنيوية وأُخرى أخروية وهو يُذكر الخائن أنَّه سيلقى يوما ما حسابا عسيرا عند الله تعالى فقال :

---

[79] أدباء العرب : ١ / ٢٨١ .

[80] ينظر لسان العرب ، مادة : (عتب) .

[81] ينظر العمدة : ٢ / ١٦٠ .

خَليليَّ إنـــي مشتك مـــا أصَابني　　لِتَـستَيْقِـنَا مَـا قَدْ لَـقيتُ وتَعلَمَـا
أُمليكُمـــا إنَّ الأمانـــةَ مَـنْ يَخنْ　　بِهـا يَحتَمِـلْ يومـا منَ اللهِ مأثَمَـا
فلا تُفشيا سرِّي ولا تخـذلا أخا　　أبثكُمَـا منـهُ الحَـديثَ المُكَتَمَـا[٨٢]

المكونات الفنية في نص حُميد بن ثور تقوم بدور فعّال في توضيح حركة العلاقات الداخلية للنص وتفعيلها ، الأمر الذي يجعل الأضداد من العناصر المؤسسة للبنية الحركية في نص الشاعر ، وهذا ما تجلى من خلال البنية الحركية للتضاد الذي يجتمع فيه الأسم والفعل ، ففي الثنائيتين المتضادتين (الأمانة ضد يخن) و (وتفشيا ضد المكتما) نجد المفارقة بين الثبات والديمومة من جهة أولى ، والحيوية والتجدد من جهة ثانية ، فالأسماء أو الصفات تدل على الثبات والتقرير لحالة الشاعر المستقرة وهي التي تشكل المحور الإرتكازي الذي تدور حوله المتضادات وقد تجلت فيها كل معاني الأخلاق النبيلة .

من المعلوم أنَ الهجاء يظهر المعاني السلبية ، لأنه يقابل المُثل والمناقب والصفات الكريمة التي كان الشعراء يبنون عليها مدائحهم ، لذلك فإن لهذا الأسلوب أثرا ووقعا شديدا في نفس المهجو ، وهو من أكثر الأساليب هجاء ؛ لأنه يجرد المهجو من معاني القيم والعادات الكريمة التي يحافظ عليها الإنسان العربي ، فكلما كثرت أضداد المديح كان الهجاء أمر وأشد[٨٣] فكان لا بد من أن تدخل ضمن هذا الفن جملة تغييرات تشتمل على المعاني والأفكار والصور حين

---

(٨٢) ديوانه : ٢٨ ، وينظر مثل ذلك ديوان ابن مقبل : ٢٩٨ ، وشرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٩٦.

(٨٣) ينظر نقد الشعر : ٩٢ .

انضوى الشعراء تحت راية الإسلام ، وربما يعد هذا من الأغراض التقليدية التي طرأت عليها التغييرات بصورة كبيرة منذ أن أُستعمل الشعر وسيلة من وسائل الدفاع عن مبادئ الدين الإسلامي[٨٤] ، فهذا النمر بن تولب تنازع مع رجل من بني ربيعة اسمه وهب ، في بئر تدعى (الدحول) وهي في أرض عكل ، وقيل إنما نزاعهما أن النمر سقاه فلم يشكر له فلم يزد أن قال فيه :

يُريدُ خيانتي وَهبٌ وأرجو ... من اللهِ البراءَة والأمانا

فإن اللهَ يعلمني ووهبا ... ويعلمُ أنْ سنلْقاهُ كِلانا

وأنْ بني ربيعةَ بَعْدَ وهبٍ ... كراعي البيتَ يَحْفَظُهُ فخانا[٨٥]

من خلال تحليل الألفاظ الداخلة في الثنائية المتضادة (الوفاء ضد الغدر) تتضح لدينا ثنائية (الخيانة ضد الأمانة) وهي من مرادفاتها ، وهاتان المتضادتان من الصفات التي تنسب إلى الإنسان بالسلب والإيجاب ، فالخيانة تستوجب نقيضا لها وهو الأمانة ، ومن خلال النظر إلى متون المعاني المتجمهرة في النص نستشف علاقة التضاد التي بها يمكننا أَنْ نكتشف علاقة مهيمنة على النص تضمها المقابلة بين اللفظتين المتضادتين مشيرة إلى أهمية الصفة لدى الشاعر ، فالخيانة هي اللفظة الإرتكازية التي حاول الشاعر إظهارها في صراعه مع المهجو ، فقد كررها مرتين وقد أشرك قبيلته معه فيها على الرغم من إسلامها لعله يجعلها تقوم

---

[٨٤] ينظر ديوان ابن مقبل : ٧٦ حين قال :

لَوْلا الحَياءُ ولولا الدِّينُ عبتُكُما ... ببعضِ ما فيكُما إذ عبتُكما عَوري

[٨٥] شعراء إسلاميون ، شعره : ٣٩٤ ــ ٣٩٥ .

بنبذه وطرده من المجتمع الإسلامي ، وبذلك يكون قد حقق ما يريد بإشـــاعة أحد النقيضين .

ويظلُ الباب مفتوحا لصور جديدة في شعر الشعراء المخــضرمين فيهـــا أشكال من صور التضاد السياقية ؛ لذا كانت كثيرة ، لأن أغلب صور التضاد السياقية جاءت لضرورة إنبجست عنها صورهم الشعرية المتــضادة وهــي تحمل بين طياتها ثقلا فكريا جديدا يهفو الشاعر من ورائه إلى تعيين الدلالـــة الموروثة ، فكعب بن زهير في أثناء دعوته قومه إلى الإسلام بعد أن عــرف الحق وآمن به ليظهر الفرق بين ما يكون عليه حال المسلمين مــن الالتــزام بالعهد والوفاء به وبين ما كان عليه حال قومه المشركين من الغدر والخيانـــة وعدم التمسك بالعهود ، قال :

لَشَتَّانَ مَنْ يَدْعُو فَيُوفي بِعهْـــدِهِ ومَنْ هَــوَ للعهدِ المُؤكَّـــدِ خالِعُ[٨٦]

فيوفي هذه المفردة الأولى من الثنائية المتضادة (الوفاء ضد الغدر) التي يقابلها في جداول المتضادات المعجمية (يغدر) لكن الشاعر عدل عنها إلـــى مفردة خالع وهي نتيجة للغدر الواقع عليها ليــصل إلـــى غرضـــه بــسرعة وخفة ، فبدلا من أن يقـــول لقومـــه الـــذين يـــدعوهم إلـــى الإســـلام أن المسلمين أصحاب وفاء وقد وقع عليهم الغدر من جـــانبكم خفــف الـــشاعر جملته الشعرية وابعد لفظة (يغدر) وجـــاء بلفظـــة خـــالع التـــي يختفـــي بين حروفها معنى الغدر (اللفظ المبعد) لأنه لم يكن يريد أن يكون فظاً غليظ الجانب معهم آملا في هدايتهم ، إذ استبدلها بهذه اللفظة لكي يجعـــل وقعهـــا

---

[٨٦] شرح ديوانه : ١١٣ .

أخف عليهم وليجعل قلوبهم ترق وتلين للدخول في الإسلام وتؤمن بالله سبحانه وتعالى .

وفي الختام لا بد أن نقول إن وجود الثنائيات المتضادة في شعر الشعراء المخضرمين بهذه الكثرة يرجع إلى الإنقلاب والثورة الفكرية التي حدثت في حياتهم ، مما جعلهم يقيمون موازنة في أحوالهم الاجتماعية والأخلاقية فظهر لهم الفرق بين حالهم في الجاهلية والإسلام .

المصادر :

- القرآن الكريم .
- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ـ حياتهم ـ آثارهم ـ نقد آثارهم ـ بطرس البستاني ، دار المكشوف ودار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة العاشرة ـ أيلول ، ١٩٦٨.
- أسواق العرب في الجاهلية ، سعيد الأفغاني ، الطبعة الثانية ، مطابع دار الفكر بدمشق ، ١٩٦٠م .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق الشيخ علي محمد عوض والشيخ علوان أحمد عبد الموجود ، قدّم له محمد عبد المنعم العربي و د. عبد الفتاح أبو سنه و د. جمعة طاهر النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، د. ت .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبن عبد البر القرطبي

(ت ٤٦٣هـ) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨هـ .

- الإعجاز والإيجاز ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق اسكندر آصاف ، الطبعة الأولى ، مصر ، المطبعة العمومية ، ١٨٩٧م .

- الألفاظ الإسلامية وتطور دلالتها إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، يعرب مجيد مطشر العبيدي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

- الانتماء في الشعر الجاهلي ، د. فاروق أحمد أسليم ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، ١٩٩٨م.

- الأنساب ، لأبي سعيد التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ، نشر د.س. مرجليوث ، ١٩١٢م وتصوير الاوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٧٠ م.

- أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ، طبع لأول مرة نقلا عن ست نسخ خطية قديمة ، اعتنى بطبعه وتصحيحه وجمع رواياته وتعليق حواشيه وفهارسه الأب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ١٨٨٦م .

- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، الشيخ علي ناصف ، وعليه غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

- جمهرة انساب العرب ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢م.

- جمهرة النسب ، لأبن السائب الكلبي ، تحقيق د. ناجي حسن ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦م .
- الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، د. مصطفى عبد اللطيف جياووك ، منشورات وزارة الأعلام ، الجمهورية العراقية ، بغداد ، ١٩٧٧م .
- ديوان ابن مقبل ، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، دمشق ، ١٣٨١هـ ــ ١٩٦٢م.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي ، حققه وشرحه وقدّم له عبد الكريم الدجيلي ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م .
- ديوان الحطيئة ، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق نعمان أمين طه ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٨م .
- ديوان حُميد بن ثور ، وفيه بائية أبي داود الأيادي ، صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧١هـ ــ ١٩٥١م .
- ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، هاشم الطعان ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠م.
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٥م.
- ديوان المعاني ، للإمام اللغوي والأديب أبي هلال العسكري عن نسخة الإمامين العظيمين الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني ، عالم الكتب ، د. ت .

- ديوان معن بن أوس المزني (ت ٦٤هـ) صنعة د. نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن ، مطبعة دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٧٧م .
- ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، قدّم له أحمد الزين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م.
- الرسول القائد ، محمود شيت خطاب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠ م .
- السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان ، د.ت .
- شرح أشعار ديوان الهذليين ، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥هـ) ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، راجعه محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، ومطبعة المولى ، القاهرة ، د.ت .
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- شرح ديوان الخنساء ، أبو العباس ثعلب ، قدّم له وشرحه د. فايز محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م .
- شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٩هـ ــ ١٩٥٠ م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م .

- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، حققه وقدّم له د. إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٤م .
- شعراء إسلاميون ، د. نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٤م .
- شعر المخضرمات بين الجاهلية والإسلام ، (جمع وتوثيق ودراسة) ، نضال أحمد باقر الزبيدي ، رسالة ماجستير ، جامعة ديالى ، كلية التربية ، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.
- شعر النابغة الجعدي (ت ٦٥هـ) ، تحقيق عبد العزيز رباح ، الطبعة الأولى ، نشر المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م .
- شعر هدبه بن الخشرم العذري ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٧٦م .
- صحيح مسلم ، لأبي الحسن بن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، مشكول ، مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، د.ت .
- الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، د. علي البطل ، دار الأندلس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م .
- عبقرية محمد (صلى الله عليه وسلم) ، عباس محمود العقاد ، نشر وتوزيع مكتبة العروبة ، دار التضامن ، بغداد ، ١٩٦٤م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، أبو الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (ت ٤٥٦هـ) ، حققه وفصله وعلّق

على هوامشه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م .

- عيون الأخبار ، لأبن قتيبة ، أبو محمد عبد اللّه بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥م .
- كتاب الصناعتين ، والكتابة والشعر ، تصنيف أبي هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، الطبعة الثانية ، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، د.ت .
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
- معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام ، د. ليلى محمد ناظم الحيالي ، مكتبة لبنان ـــ ناشرون ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .
- المناسبات في الشعر العراقي الحديث ، مرحلة الإحياء ـــ دراسة موضوعية فنية ، فالح عبد سلامي ألشمري ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ١٩٩٩م .
- من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم ، د. عثمان موافي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، د.ت .
- منهج التربية الإسلامية ـــ أصوله وتطبيقاته ، د. علي احمد مدكور ، مكتب الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .
- منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ـــ القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م .

- الموطأ ، للإمام مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، د.ت .
- نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامه بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م .